النار

أهوالها وعذابها

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

موسوعة الآخرة



النار أهوالها وعذابها

ماهر أحمد الصوفي



المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — جنان الخلد — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — النار أهوالها وعذابها — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — بداية يوم القيامة — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — الميزان - الصحف - الصراط - أنواع الشفاعات — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — الحساب والعرض على الله سبحانه جل جلاله — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — البعث والنشور — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — الحشر وقيام الساعة — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — الموت وعالم البرزخ — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — أشراط الساعة العلامات الكبرى — المكتبة العصرية

ماهر أحمد الصوفي — أشراط الساعة العلامات الصغرى والوسطى — المكتبة العصرية

سلسلة
موسوعة الآخرة

النار

أهوالها وعذابها

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم　　الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور　　الدكتور فاروق حمادة

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

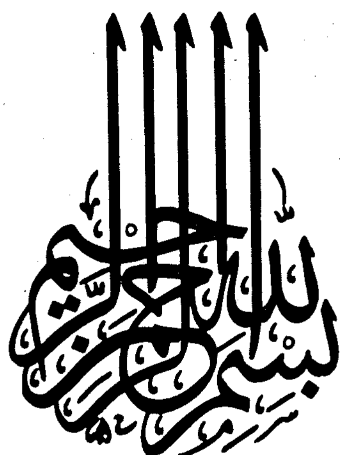
٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-340-3


بسم الله الرحمن الرحيم




قدَّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة




أسماء وعناوين أجزاء
سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول	: علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني	: علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث	: الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع	: الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس	: البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس	: بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع	: الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن	: الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع	: النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر	: جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤ ـ ٦٨]

ويقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

حديث شريف:

ـ عن عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**».

[متفق عليه]

ـ وزاد مسلم عن أبي سعيد رضي اللّٰه عنه قال: ثم قرأ رسول اللّٰه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا.

[رواه مسلم رقم الحديث ٢٨٤٩]

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة**».

[رواه البخاري]

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ:

«**إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشِراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً**».

[رواه مسلم رقم الحديث ٢١٣]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات، القائلِ في محكم كتابه:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم.

إلى رسول اللَّه ﷺ:

الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بَدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة.

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة. . فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.



ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكوُن سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلَهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللَّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللّه بها عليه، فأسأل اللّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الفرق كبير عندما يتكلم الإنسان عن الجنان ونعيمها وقصورها وحورها وبين أن يتكلم عن النار وأهوالها. . ويقف الكاتب مرات عديدة ويستعيذ باللَّه كلما مرت عليه آية من آيات النار، أو آية من آيات جهنم وعذابهما. . وكلما كتبت أتخيل نفسي وأقول: إنني أو غيري لا يحتمل في هذه الدنيا ناراً تخرج من عود ثِقاب وهو أضعف ما يكون من النار. . فكيف يكون الحديث عن نار جهنم وما فيها من الأهوال العظام.

. . . فالناس لاهون عن حساب ربهم، ومنهم معترض، ومنهم من هو في غفلة ومنهم مَنْ يتناسى، ومنهم مَنْ لا يحاول أن يذكر مثل هذا الأمر من عذاب جهنم ولا يحب أن يذكر أمامه.

يقول تعالى:

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١]

. . . والذي يقرأ أجزاء الموسوعة الثمانية، يدرك تماماً مدى خطورة أمر اللاهية قلوبهم، والذين لا يحفلون بيوم القيامة الذي يمتد إلى خمسين ألف سنة على الكافرين والمشركين والمنافقين، بما فيه من الأهوال والشدائد وعظائم الأمور، التي لا تحتملها نفس ولا يقدر عليها مخلوق مهما عظم أمر خلقه وخلقته. . فقد مر معنا أهوال قيام الساعة وأهوال الحشر والنشور، وأهوال الوقوف في أرض المحشر والشمس تدنو من رؤوس العباد قدر مِيل، فيغطهم العرق حتى يصل ببعضهم إلى

أذنيه، ويغط بعضهم فيلجمه إلجاماً، والناس يستغيثون، ويصرخون، ويستجيرون، ولا مجيب للكافرين والمشركين والمنافقين وأهل المعاصي والكبائر من أمة محمد ﷺ، وبعد الشفاعة، شفاعةِ رسول اللّه ﷺ يأذن اللّه بالعرض عليه وحساب الخلائق.. تصوَّر نفسك وأنت بين يدي اللّه سبحانه يحاسبك ويقررك على ذنوبك.. تصوَّر الكافر والمشرك والمنافق وأهل الكبائر وهم يقفون بين يدي اللّه سبحانه.

وليس من كافر أو مشرك أو عاص إلا ويعَضُّ يديه ندماً وحسرة على ما فرط في جنب اللّه.. ولكن لات ساعة مندم.. وقد أنذرهم اللّه سبحانه في الدنيا.. وليس هذا فحسب ولكنهم يتمنون لو تُسوَّى بهم الأرض، وكذلك أصحاب الكبائر فإن أعمالهم تكون عليهم حسرات، والندم يقطّع أفئدتهم على ما فرطوا في جنب اللّه ولم يطيعوه ولم يقدموا ما عليهم من فرائضَ وواجباتٍ... ذلك لما يرون ما أنعم اللّه سبحانه به على المؤمنين من نعم العز والكرامة، وأظلهم في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

... إن موقف المهانة والذِّلة بكل أشكالهما هي حال الكافرين والمشركين والمنافقين والعصاة، ومنذ اللحظة الأولى لنفخة البعث، وفي أرض المحشر، وعند العرض على اللّه سبحانه، حيث يخرج لهم عنق من النار له زفير وشهيق، يجثو حتى الرسل على ركبهم، يقول كل منهم: اللهم نفسي نفسي، من الخوف والفزع ورهبة الوقوف بين يدي اللّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٩]

وبعد الحساب من اللّه سبحانه لكل الأمم فرداً، فرداً، يؤمر بالكافرين والمشركين فيتبعون ما كانوا يعبدون من دون اللّه، ثم

يتساقطون في نار جهنم أمة أمة، كلما ألقي بأمة لعنت الأمة التي سبقتها الأمة التي لحقتها.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

ثم يؤمر بالمؤمنين ومعهم المنافقون والعصاة من أمة محمد، بعد أن يضرب على جهنم الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، فيعبرون عليه، فيمر المؤمنون الصادقون الصالحون كالبرق وكالريح وأجاويد الخيل، والماشي، وتبدأ الخطاطيف والشوك تلتقف المنافقين والعصاة من أمة محمد ﷺ وأهل الكبائر، ثم تهوي بهم في نار جهنم.

... نعم في نار جهنم وإنها الطامة الكبرى.. وأي منا يتحمل تلك النار وما فيها، والتي وصفها اللّه سبحانه بأن وقودها الناس والحجارة.

يقول اللّه تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

... فإذا استقر الكافرون والمشركون والمنافقون في نار جهنم بدأت النار معهم رحلة الأبد التي لا تنتهي، وبدأ صراخهم وعويلهم وبكاؤهم، ولا من مجيب ولا شفيع لهم، ويظلون على حال البكاء والعويل والاستنجاد حتى يأتيهم الجواب على لسان مالك خازن النار بأمر من ربه، إنكم ماكثون في النار لا خروج لكم منها خالدون فيها

وإلى أبد الآبدين لا يفتر عنكم العذاب وأنتم فيها خالدون.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٧٤ ـ ٧٨]

... وحقيقة الأمر أن الناس لن يدركوا حقيقة النار وجهنم إلا أن يروْها عِياناً، فيومئذٍ سيعلمون ما أعدَّ اللَّه سبحانه للمجرمين من الكافرين والمشركين من سوء المآل والمصير.

... إن كلمة خالدون فيها أي في النار لا يسع تفسيرها مجلداتٌ، لأن الأمر جِدٌّ خطير وأليم ومهين ودائم... وكل هذا العذاب والألم، معهما زيادة: أنه لا يفتر عنهم كما في الآية الكريمة: ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ... ﴾.. فالعامل إذا عمل يستريح بعدها وينام ليأخذ قسطاً من الراحة ثم يستأنف عمله، أما في جهنم فلا راحة و﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ ولا استراحة ولا تخفيف ولو لبعض من ساعات أو دقائق أو ثوانٍ، مع أنه في جهنم لا أيام ولا وقت ولا ساعة ولا دقيقة فالزمن خالد.. إنما نعبِّر بما نفهمه في الدنيا..

فهذه صفات أهل النار: خلودَ، مهانة، ذل، لهم فيها عذاب أليم وعذاب عظيم، لا يفتر عنهم العذاب، وما هم بخارجين منها كما في قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢٠]

. . . من يقرأْ هذا الجزء من الموسوعة (النار أهوالها وعذابها)، يدركْ تماماً كيف أن اللَّه سبحانه صابر في الدنيا على الكافرين والمشركين والعصاة، لأن اللَّه سبحانه يعلم ما أعدَّ لهم من عذاب عظيم فيه الخلود والمهانة والذل، وما اللَّه بغافل عما يعمل الظالمون. . ولكن يمدهم في طغيانهم ويرزقهم من المال والبنين ليزدادوا إثماً وظلماً.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢]

ومع هذا الجزء من الموسوعة لنقرأْ عن النار وأهوالها وجهنم والسعير، وما أعدَّ اللَّه للَّذِين استكبروا عن عبادته وأبوا إلا أن يشركوا باللَّه ويكفروا.

. . . وكذلك ما أعدَّ اللَّه سبحانه للمنافقين والعصاة وأهل الكبائر الذين آثروا متع الدنيا، واستكبروا أيضاً عن طاعة اللَّه وماتوا على غير طاعة وعبادة اللَّه وظلموا واعتدوا.

مع هذا الجزء عسى أن تكون قراءته حافزاً لنا للعودة إلى اللَّه سبحانه وإلى طريقه المستقيم.

الفصل الأول

أحوال المنافقين والعصاة بعد الحساب

- مدخل .
- حديث الصراط .
- أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط .
- إخراج عصاة المؤمنين من النار على اختلاف في المدة وإدخالهم الجنة .
- آخر الناس دخولاً الجنة .
- النار جزاء العمل .
- الرسل وإنذارهم أقوامهم النارَ وعذابها .
- هل النار والجنة مخلوقتان؟؟
- الرد على شبهة من قال: النار لم تخلق بعد .
- عرض الأمم على النار وهم في أرض المحشر .

أحوال المنافقين والعصاة بعد الحساب

مدخل:

الناس يوم القيامة على ثلاث حالات في مجمل القول، ولكل حالة من هذه الحالات درجات كثيرة وتفاوت بين الناس.

.. **فالحالة الأولى** من الناس: هم المؤمنون السابقون الأوائل والمؤمنون من أصحاب اليمين ـ فهؤلاء يدخلون الجنة ويمرون على الصراط قبل دخولهم الجنة، وهم على حالات: فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح المرسلة، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمشي على قدميه، ومنهم من يزحف على بطنه.. ولكن في النهاية هم ناجون.

.. **والحالة الثانية** من الناس: هم الكافرون والمشركون على اختلاف عقائدهم ومللهم ونِحَلهم.. فهؤلاء ليس لهم مرور على الصراط وإنما يساقون إلى جهنم زمَراً يتقدمهم من كانوا يعبدونه ويقدسونه في الدنيا.. وعندما يقتربون من النار يتساقطون فيها جماعات جماعات، كلما جاءت جماعة أو أمة لعنت أختها حتى يدّاركوا فيها جميعاً، وهؤلاء هم خالدون في النار خلود الأبد، وما هم بخارجين منها وما لهم من شافعين.

.. **وأما الحالة الثالثة**: فهم المنافقون والعصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة أمة محمد ﷺ أمة الإسلام.. فهؤلاء لا يدخلون النار مع الكافرين والمشركين.. ولكن يعبرون الصراط مع المؤمنين... ولا

يكونون من الفئات الناجية، الذين يمرون على الصراط كما تقدم كمر البرق والريح وأجاويد الخيل.. بل تتخطفهم الأشواك والخطاطيف التي وضعها اللَّه سبحانه على جانبي الصراط، وهي التي تقوم بعملية سحبهم وخطفهم من على الصراط بقدر نفاقهم وذنوبهم، وترميهم في النار بأمر اللَّه سبحانه، فأما المنافقون فهم خالدون في النار وفي الدرك الأسفل منها، وأما العصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة.. فهم ليسوا على حالة واحدة بل هم حالات كثيرة، ومدة مكثهم في النار على حالات كثيرة أيضاً كل حسب عمله وما اقترف من الذنوب والمعاصي، فكما أن الجنة درجات بعضها فوق بعض وجهنم درجات بعضها تحت بعض... كذلك أهل المعاصي درجات، كل حسب ما اقترفت يداه من معاصٍ وذنوب وفواحش وآثامٍ وكبائرَ ومات على هذه الذنوب والكبائر ولم يتب منها، فاستوجبوا النارَ من فعلها وإصرارهم عليها.. ولكنهم لم يكونوا مشركين ولا كافرين ولا منافقين، إنما استجرَّهم الشيطان ونفوسُهم الفاجرة إلى ارتكاب تلك المعاصي وترك الفرائض واتباع الشهوات، ولكن لم ينكروا التوحيد وشهادة أنْ لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، ولم يبطنوا الكفر ويظهروا الإيمان، ولم يحاربوا اللَّه سبحانه ورسوله، وكذلك لم يكونوا حرباً على المسلمين وما كانوا أعداء لهم.

لو تاب أهل المعاصي في الدنيا واستثمروا رحمة اللَّه تعالى لما استوجبوا النار وَهَوَوْا من على الصراط

... وكذلك هم على حالات كثيرة في ارتكابهم للمعاصي والكبائر.. فمنهم من كان صاحب كبيرة واحدة، ومنهم صاحب كبيرتين، ومنهم صاحب ثلاث كبائر وأربع وخمس وست، ومنهم من

يكون من أصحاب الموبقات السبع التي ذكرها رسول اللَّه ﷺ التي توبق صاحبها في النار قطعاً وحتماً، منها السحر وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

. . . ومنهم من كان يظلم الناس، ومنهم من كان يأكل حقوقهم، ومنهم المعتدي والمتكبر والجائر في الحكم، والذي كذب على رسول اللَّه ﷺ والمصوِّرون والذين يركَنون للظالم. . . وكثير من الآثام التي تغضب اللَّه سبحانه، فهؤلاء يمكثون في النار كل بحسب ما جاء به وما كتب عليه في صحيفته المكلَّف بها ملكان من ملائكة اللَّه سبحانه. . واللَّه سبحانه لا يظلم مقدار حبة من خردل ولا مقدار ذرة واحدة، فمن يقدم مثقال ذرة خيراً سيراها أمامه يوم القيامة، ومن يقدم مثقال ذرة من شر سيراها أمامه يوم القيامة.

. . . وهؤلاء الذين يسقطون في النار من أمة محمد ﷺ وهم يعبرون الصراط، أولئك الذين ازدادت سيئاتهم على حسناتهم، أمّا أهل الأعراف فتشملهم رحمة اللَّه سبحانه فيما بعد، وأما من زادت حسناته ولو بحسنة واحدة علىٰ سيئاته فسيدخل الجنة بإذن اللَّه تعالى.

. . . وفي نوعية الحساب عند اللَّه سبحانه غاية الكمال والعدل الإلٰهي.

فالحسنة بعشرة أمثالها في أي عمل تقدمه طالما أنت مؤمن ومسلم، واللَّه سبحانه يضاعف أضعافاً كثيرة لمن شاء وهو أرحم الراحمين. . والسيئة بواحدة ولا تزيد. . ولم يأت في القرآن الكريم

ولا عن رسول اللّه ﷺ بأن السيئة بعشر سيئات، واللّه سبحانه يزيد إذا شاء أضعافاً، لا كما يكون من أمر السيئة الواحدة، بل هي واحدة لا تزيد وذلك من واقع رحمته وعفوه وعدله بخلقه.

تصوَّر رحمة اللّه سبحانه بعباده حتى بالعصاة من أمة الإسلام، وتصوَّر أن الذين زادت سيئاتهم على حسناتهم التي تضاعف بعشرة أمثالها، كم ارتكبوا من الذنوب والمعاصي والكبائر حتى زادت سيئاتهم على حسناتهم؟

وتصوَّر أيضاً مغفرة اللّه وسَعة عفوه، وهو الذي وصف نفسه بأنه الغفور الرحيم وأنه الغفار.. وبعد كل عفوه ومغفرته لأهل المعاصي جاء أحدهم يوم القيامة بسيئات تزيد على حسناته؟ وتصوَّر كم كان مذنباً في الحياة الدنيا؟ وتصوَّر كم عصى اللّه سبحانه في الدنيا وارتكب من الفواحش والآثام؟

... إن رحمة اللّه سبحانه لا يقاربها شيء، ولا يدانيها شيء، وما يهلِك على اللّه إلا هالك... ولو أن أحداً من هؤلاء الذين استوجبوا النار بمعاصيهم استجاب لِلّه سبحانه في الدنيا وتاب إليه لوجد اللّه توّاباً رحيماً غفوراً شكوراً.

يقول تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

فلما استوجب النار وهوى من على الصراط، فمعنى ذلك أنه لم يتب ولم يغتنم سعة رحمة اللّه في الدنيا.. فاللّه سبحانه لا يظلم أحداً من خلقه.. وكم دعا اللّه سبحانه عباده إلى التوبة في الدنيا وجعل

لهم باب التوبة مفتوحاً لا يغلق حتى تشرق الشمس من مغربها، ولا يغلقه على عبده في الدنيا طالما أنه لم يغرغر، أي لم تصل الروح عند خروجها إلى حلقه، وهي آخر مرحلة للإنسان في حياته، تصوَّروا رحمة اللَّه! وتصوَّروا من هوى من فوق الصراط وسقط في النار، كم كان مقصراً في حق ربه ومقصراً ومجحفاً بحق نفسه فأوردها الهلاك والنار!!

حديث الصراط

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلنا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: « **هل تضارون**[١] **في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟** ». قلنا: لا، قال: « **فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما** »، ثم قال: « **ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل إلٰه مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بر أو فاجر وغبرات**[٢] **من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزيراً ابن اللَّه، قال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقيَنا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه، فيقال: كذبتم لم يكن للَّه صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقيَنا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون، حتى يبقى من كان يعبد اللَّه من بَر وفاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم**[٣] **، وإنا**

---

(١) تضارون: رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيها ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غبرات: أي بقاياهم جمع غابر.

(٣) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه، فهم يتضرعون إلى اللَّه سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم.

سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ـ وفي رواية عند البخاري[١] ـ **فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ـ فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً[٢]، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم»[٣]**، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر[٤]؟ قال: «**مدحضة مزلة[٥] عليه خطاطيف وكلاليب[٦] وحسكة[٧] مفلطحة[٨] لها شوكة عقيفة[٩] تكون**

---

(١) الفتح ١٧/ ١٩٧.

(٢) الطبق: فَقار الظهر، أي صار فقاره واحداً، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى.

(٣) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً ـ حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر فيها أول مرة على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا» . مسلم ١٨٣.

(٤) الجسر بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٥) مدحضة مزلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضِع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٦) الخطاطيف والكلاليب: جمع خُطّاف وكلوب أو كُلّاب. والخطاف حديدةٌ حجناء أي معوجة، والكلوب أيضاً حديدة معطوفة الرأس.

(٧) الحسكة: شوكة صُلبة معروفة.

(٨) مفلطحة: أي عريضة.

(٩) عقيفة: أي ملوية كالصّنارة.

بنجدٍ يقال لها السعدان، يمرُّ المؤمن عليه كالطرف[(١)] وكالبرق وكالرياح وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم[(٢)] حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم[(٣)] يقولون: ربنا، إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون[(٤)] معنا، فيقول اللَّه تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرِّم اللَّه صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرَفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»، قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا[(٥)]، فيلقون في نهر بأفواه الجنة في حَميل السيل[(٦)]، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة

---

(١) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرْف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

(٢) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكدس ويسقط في جهنم مكدوس في النار أو مدفوع.

(٣) أي العصاة الذين سقطوا في النار.

(٤) وفي رواية: ويحجون.

(٥) امتحشوا: أي احترقوا.

(٦) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.

إلى جنب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيضَ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه».

[متفق عليه](١)

(١) الفتح ١٧/١٩٨، ومسلم ١٨٣.

أحوال المؤمنين في جوازهم الصراط

أحوال المؤمنين في عبورهم الصراط تختلف باختلاف درجات إيمانهم وأعمالهم ونفقاتهم ومعاصيهم وكبائرهم.. فمنهم السالم الذي يمر مرَّ الريح فينجو، ومنهم من يخدش ثم ينجو، ومنهم الهالك الذي تتخطفه الكلاليب ثم يهوي في جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في حديث طويل قال فيه ﷺ: «**ثم يُضرب الصراط بين ظهرانَي جهنم**»[(١)] . وفي رواية: «**ويضرب جسر جهنم** (أي الصراط) **فأكون أولَ من يجوز**[(٢)] **من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل**[(٣)] **، وكلام الرسل يومئذٍ اللهم سَلِّم سَلِّم**[(٤)] **، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإنها مثلها غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه تعالى تخطَف**[(٥)] **الناس بأعمالهم**»[(٦)] .

---

(١) والمعنى أن الصراط يُنصَبُ ويمدّ بين ظهراني جهنم أي بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

(٢) أي يقطعه ويمضي عليه، يقال: جاز الوادي وأجازه قطعه. حكاه النووي وغيره.

(٣) أي لا يتكلم حين الإجازة على الصراط إلا الرسل، وذلك لشدة الهول وعظم الفزع. أما في غيره من المواطن فهم يسأل بعضهم بعضاً، ويلوم بعضهم بعضاً، ويجادل بعضهم بعضاً.

(٤) وهذا الدعاء من الرسل هو لأمتهم شفقة عليهم ورحمة بهم.

(٥) جمع خُطَّاف، وهي حديدة يختطف بها.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثم يُضرَب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقولون: اللهم سلِّم سلّم**».
قيل: يا رسول اللَّه، وما الجسر؟

فقال ﷺ: «**دحض مزلة، فيه خطاطيف، وكلاليب**[1]**، وحسك تكون بنجدٍ فيها شويكة يقال لها: السعدان**[2]**، فيمر المؤمن كطرْف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.**

فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوش[3] **مرسل، ومكدوس**[4] **في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدة للَّه تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين للَّه يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار.**

يقولون: ربنا كانوا يصومون، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا مَنْ عرفتم فتحرَّم صُورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار بعضهم إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه»[5].

يقول الإمام النووي رضي اللَّه عنه في تفسيره للحديث الشريف:
إن الناس على الصراط ثلاثة أقسام:
١ ـ قسم يسلَّم فلا يناله شيء أصلاً.
٢ ـ وقسم يُخدش ثم يُرسل فيخلص.
٣ ـ وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم.

---

(١) جمع كلوب: حديدة معكوفة الرأس يعلق فيها، ويقال لها: الكُلّاب.
(٢) قال الزرقاني: السعدان بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملة. سعدان جمع سعدانة: نبات ذو شوك والتشبيه به لسرعة اختطافه وكثرة الانتشاب فيها.
(٣) أي مخموش ممزَّق.
(٤) أي يلقى بعضهم فوق بعض في جهنم.
(٥) رواه مسلم في صحيحه.

فالمؤمنون الصادقون يمرون على الصراط وهم في أمان وسلام، يضيء لهم نور إيمانهم وأعمالهم الصالحة ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

ـ عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال:

قال رسول اللّه ﷺ: «**بشِّر المشّائين في الظّلم إلى المساجد بالنور التَّام يوم القيامة**».

[رواه ابن ماجهْ وابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له].

فحال كل مؤمن على الصراط أنه يمشي على نور إيمانه الشامل في العمل والاعتقاد والقول، وتكون قوة النور على قدر قوة إيمانهم.

ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رسول اللّه ﷺ كان يقول:

«**من المؤمنين مَنْ يضيء نوره من المدينة إلى عَدَن أبين، وصنعاء، فدون ذلك حتى إن من المؤمنين مَن يضيء نوره موضع قدميه**»(١).

ـ روى ابن أبي حاتِم وابن جرير عن ابن مسعود رضي اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط: منهم مَنْ نوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل

---

(١) تفسير ابن كثير.

النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً مَن نوره في إبهامه يتَّقد مرة ويُطفأ مرة.

- وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**الصراط كحدِّ السيف، دحضَ مزلّة، قال: فيمرّون على قدر نورهم، فمنهم مَنْ يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرْف، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كشدِّ الرجل ويرمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدميه تخرّ يد وتعلق يد، وتخرّ رجل وتعلق رجل فتصيب جوانبه النار**»[1].

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم واللفظ له.

إخراج عصاة المؤمنين من النار على اختلاف في المدة وإدخالهم الجنة

عندما يستفتح رسول اللَّه ﷺ باب الجنة، يدخل معه المؤمنون الجنة وينال كل واحد منهم درجته ومنزلته بحسب ما قدَّم من عمل... وعندما يتم دخول جميع المؤمنين، يبقى عصاة المؤمنين في النار وتبدأ الشفاعة فيهم.. من رسول اللَّه ﷺ ومن المؤمنين الذين يأذن اللَّه سبحانه لهم بالشفاعة لمن يعرفونه وقد غلبت عليه سيئاته فدخل في النار... وبعد أن تنتهي الشفاعة تكون رحمة اللَّه سبحانه بخلقه وهو أعلم بهم جميعاً يغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء.

عن أبي سعيد، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أمّا أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال: بخطاياهم) فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل**»[1].

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**»[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١/ ١٧٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٧٨).

عن عمران بن حُصين رضي اللَّه عنهما: عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنميين**»[١] .

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بعدما مسَّهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين**»[٢] .

وقد سمّاهم أهل الجنة بالجهنميين، ذلك أنهم خرجوا ربما بعد طول مكث في النار، فتكون لهم علامة واللَّه أعلم، لذلك سماهم أهل الجنة بالجهنميين لأنهم هم الذين يرشون عليهم من ماء الجنة بعد أن يخرجوا من النار.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: « **ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير مثقال شَعيرة، فيجعلون بفِناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في حَميل السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها**»[٣] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد لِأَن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئاً، ممن أراد اللَّه أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل**»[٤] . امتحشوا: احترقوا.

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).

(٢) رواه البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).

(٣) صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

(٤) صحيح مسلم، باب كتاب الإيمان رقم الحديث (١٧٢).

وقد ورد في أكثر من حديث أن اللَّه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان، بل يخرج أقواماً لم يعملوا خيراً قط، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يُدخل اللَّه أهل الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه**»[(١)].

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه ما يزن بُرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[(٢)]. والأحاديث في هذا كثيرة.

آخر الناس دخولاً الجنة:

يأتي وقت في الآخرة تغلق فيه أبواب الجنة، وأبواب النار، ومن الطبيعي أن هناك رجلاً لا بد أن يكون آخرَ من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة.. ولقد حدّثنا رسول اللَّه ﷺ عن قصة آخر رجل يخرج من النار ويدخل الجنة.

... ولعظيم رحمة اللَّه سبحانه، ينال هذا الرجل من الإكرام والنعيم ما يفوق الخيال والتصور حتى إن الرجل ذاته يتعجب مما يعطيه اللَّه سبحانه ويظن أن ربه (حاشىٰ للَّه ذلك) يهزأ به عندما يعطيه من رحمته وكرمه.

... وفي جامع الأصول **جمع ابن الأثير** روايات هذا الحديث.

---

(١) صحيح مسلم ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (١/ ١٧٢).
(٢) صحيح مسلم ١/ ١٨٢.

في صحيح مسلم: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له: انطلق فادخلِ الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟** قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه»(١).

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟** قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»(٢).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة: رجل صرف اللَّه وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب، قرِّبني من هذه الشجرة لأكون في ظلها . .**» وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود، ولم يذكر: فيقول: يا ابن آدم، ما يَصْريني منك؟ إلى آخر الحديث.

وزاد فيه: «**ويُذكِّره اللَّه، سل كذا وكذا، فإذا انقطعت منه الأماني، قال اللَّه: هو لك وعشرة أمثاله**»، قال: «**ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فيقولان: الحمد للَّه الذي**

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٨٦) ومسلم برقم (١٨٦) والترمذي برقم (٢٥٩٨).
(٢) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٥٥٣).

أحياك لنا، وأحيانا لك»، قال: «فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت»(١).

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منكِ، لقد أعطاني اللَّه شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلِّها، وأشرب من مائها، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، قال: وربه عزّ وجلّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلِّها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلِّها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهدُ أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأُوليين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه لأستظل بظلِّها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا رب، لا أسألك غيرها، وربه عزّ وجلّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا دنا منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يَصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟» فضحك**

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨) باب أدنى أهل الجنة منزلة.

ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول اللَّه؟ فقال: «**من ضِحْك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر**»[١].

ـ يَصْريني: المعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك.

(١) رواه مسلم برقم (١٨٧) باب آخر أهل النار خروجاً.

النار جزاء العمل

إن القلم ليعجِز عن ذكر صفات النار وأهوالها وأحدنا لا يستطيع أن يصف حريقاً في مكان ما وعلى مِساحة لا تزيد عن مِائة متر طولاً وعرضاً، لأنك لا تستطيع الاقتراب فيبقى وصفك ناقصاً. . فإذا نظرت إلى نار الحريق من بُعد، كأنك لا ترى إلا النار وهي تأكل بعضها بعضاً وتأكل ما تحتها وما عن يمينها وشمالها وتأكل ما فوقها.

. . . ثم انظر إلى حريق صغير في منزل أو مصنع أو مزرعة ثم انظر إلى رجال الإطفاء كم عددهم؟ وكم سيارة إطفاء مجهزة ومخصصة لإطفاء الحريق؟ . . ومع كلٍّ تلك التجهيزات فإن الوقت الذي يحتاجه رجال الإطفاء ومعدَّاتهم المطورة ساعاتٌ، وربما ساعاتٌ طوالٌ لإطفاء الحريق.

. . . أو انظر إلى حريق في غابة، والجهود الجبارة التي تبذل وأعداد رجال الإطفاء والآليات الكثيرة والأيام الطويلة التي تبذل في إطفائه، وقد ينجحون وقد يفشلون وقد يستمر الحريق لأشهر طويلة.

هذا في الدنيا وفي جزء صغير ومكان ما من الأرض، ونار الدنيا كما جاء في الحديث الشريف لا تتجاوز حرارتها واحداً من سبعينَ من نار جهنم.

وفي البخاري ومسلم أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**»، قيل: يا رسول اللَّه، إن كانت لكافية، قال: «**فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها**»[(١)].

وما شمسنا التي تشع علينا بضوئها وحرارتها، والتي قال عنها

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

علماء الفلك: إن لها ألسنةً من اللهب تخرج منها تصل إلى خمسة عشر ألف كم ومن جميع اتجاهاتها، وإلا كيف يصل ضوؤها وتصل حرارتها إلى الأرض؟.. والأرض تبعد عنها ٩٤ مِليون ميل.. هذه الشمس على عظيم أمرها والتي تبلغ في حجمها ١,٣٠٠ مِليوناً وثلاثمائة ألف مرة حجم الأرض، ما هي ومعها القمر إلا ثوران مكوَّران يقبعان في زاوية من زوايا جهنم.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«الشمس والقمر ثوران مكوَّران في النار يوم القيامة»[(١)].

فتصوَّر النار، وتصوَّر جهنم، وتصوَّر النار التي في جهنم، وتصوَّر من كانت منزلَه ومستقره ونهايته؟!

.. فإذا كانت هذه الشمس تكوَّر وترمى فيها فكم أمرها عظيم؟ وإذا كان مقعد الكافر فيها كما بين مكة والمدينة أي ما يزيد عن ٤٠٠ كم فكم حجمها؟ وتصوَّر سكانها وأعدادهم الهائلة، وكلهم في النار التي تأكل جلودهم ثم يبدلهم اللَّه جلوداً غيرها، وهكذا بلا نهاية؟

... لقد وصف اللَّه سبحانه في كتابه الكريم الساعة وأمر قيام الساعة وأهوالها، وهي بالنسبة إلىٰ أمرِ جهنّم لا تشكل شيئاً يذكر، ومع ذلك لنسمع ما قال تعالى عن قيام الساعة.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١، ٢]

---

(١) رواه البيهقي في البعث والنشور، ورواه البزار بإسناد صحيح على شرط البخاري، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٢٤).

يقول سبحانه: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وكلمة عظيم عند اللّه سبحانه غير كلمة (عظيم) بمفهوم الإنسان، فأي هول بسيط أو أمر صغير قد نقول عنه: أمر عظيم. . .

. . . رسول اللّه ﷺ يقول في بعض أحاديثه الشريفة: لو أن قطرة من الزقوم نزلت إلى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم.

ـ عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]

قال ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قَطَرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامَه**»[١].

فاللّه سبحانه وحده هو أعلم بجهنم وبنار جهنم وبالسعير وسقر والحطمة وغيرها، وأعلم بحال أهلها وما يكون من أمرهم. . لذلك لا وصف لها إلا ما وصفه اللّه سبحانه ورسوله ﷺ، ولا ذكر لها إلا ما ذكره اللّه ورسولُه ﷺ، فاللّه سبحانه خالق النار فهو أعلم بقوة حرّها وبخزنتها، ومما توقد، وبمَ تسعَّر فلا تنطفئ أبد الآبدين.

. . . في الدنيا مهما كان الحريق ضخماً وعظيماً حتى لو كان في غابة شاسعة ممتدة الأطراف فيها ملايين الأشجار، فلا بد من يوم تطفأ فيه النار لانتهاء المادة التي تشعلها وتزيد من أُوارها كالشجر والزرع. . . ولكن النار في جهنم لا تطفأ ولا يخف أُوارها بل يزداد على الدوام. يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩٧].

. . . وتصوَّر أن وقود النار المستمر هو (الناس) ومعهم

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٩٢) وقال حسن صحيح وصححه الألباني.

الحجارة ـ فالناس في جهنم جزء من جزأين من وقود النار ـ الناس والحجارة.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ .

[سورة التحريم، الآية: ٦]

. . . نعم الناس الكفرة بأعدادهم الهائلة وعظيم أجسادهم التي تُضخَّم، فهي مِنْ لحم وشحم يذوبان ويشتعلان مرات كثيرة لا نهاية لها، فيزيد من حر النار واشتعالها وزيادة لهيبها.

. . . إن تصوّر النار، والناس يشتعلون فيها وكلما نضِجت جلودهم بدلهم اللّه جلوداً غيرها وعلى الدوام وبلا نهاية، لأمر يعجِز العقل عن التفكير فيه أو تخيله أو تصوّره، وكيف يكون هذا بلا نهاية وعبر آلاف بل مليارات ومليارات السنين؟

. . . وإن قلت هذا للكافرين وأن ما ينتظرهم من العذاب أليمٌ وخالد لقالوا:

كما قال اللّه تعالى:

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٢٥]

. . . وإن قلت: إن وعد اللّه حق لقالوا:

كما قال اللّه تعالى:

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآية: ٨٣]

وإن قلت لهم: اتقوا اللّه واتقوا الساعة والبعث والحساب والنار لقالوا:

كما يقول تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

وكما يقول تعالى:

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٣٥]

الرسل وإنذارهم
أقوامهم النارَ وعذابها

يقول تعالى:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

. . . ما أرسل اللّه سبحانه من رسول ولا نبي إلا أنذر قومه جهنم وعذاب النار تماماً مثلما بشّرهم بالجنة ونعيمها.

فالتبشير والإنذار أمران متلازمان في دعوة القرآن الكريم وكذلك أحاديث رسول اللّه ﷺ.

كما قال اللّه سبحانه لسيدنا محمد ﷺ:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١١٩]

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ .

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦]

. . . ولقد جعل اللّه سبحانه هذا الأمر ومنذ أهبط آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض ترغيباً وترهيباً.

يقول تعالى:

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . .

[سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وما من نبي أرسله اللَّه سبحانه، ومنذ آدمَ ونوحٍ عليهما السلام إلا بشَّر الناس إن أطاعوا اللَّه ورسله بجنات لهم فيها نعيم مقيم، وإن لم يطيعوا اللَّه ورسوله أنذرهم بالنار خالدين فيها أبداً.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨، ٤٩]

ويقول تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٥٦]

. . . وهذا نبي اللَّه سبحانه نوح ينذر قومه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ .

[سورة نوح، الآيتان: ١، ٢]

وهذا نبي اللَّه سبحانه هودٌ عليه السلام ينذر قومَه (عاداً) عذاباً شديداً.

يقول تعالى:

﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢١]

وهذا نبي اللَّه صالح إذ أنذر قومه ثمودَ ولكنهم كذبوه.

يقول تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

[سورة الشعراء، الآيات: ١٤١ ـ ١٤٤]

ولقد بيّن اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم أن هؤلاء الذين استحقوا النار يوم القيامة أنذروا عن طريق رسلهم مراتٍ كثيرةً، ولكنهم أبوا ورضُوا بالكفر طريقاً وبالضلال منهجاً.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٩]

ولقد بيّن اللَّه سبحانه في كتابه أن أهل النار جاءهم في الدنيا رسل كثيرون، وكلما جاءهم رسول لينذرهم ازدادوا نفوراً.

يقول تعالى:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٤٢]

وكذلك بيّن اللَّه سبحانه أنه ما جاء في أمة رسولٌ إلا قال مترفوها أي أصحاب النار يوم القيامة: إنا وجدنا آباءنا على عبادة تلك الأصنام ونحن لها عابدون.

يقول تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٢٣]

فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، ولا يظلم حتى أهلَ النار، فقد جاءهم الأنبياء والمرسلون وهدوهم إلى الإيمان باللَّه واليوم الآخر وأن يعملوا صالحاً، ولكنهم أبوا وأصروا وعاندوا واستكبروا.. فالنار إنما استحقوها بكفرهم وعنادهم واستكبارهم، وما اللَّه بظلام للعبيد.

هل النار والجنة مخلوقتان؟؟

النار والجنة مخلوقتان وهذا ما أكَّدته الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ـ **أمَّا عن الجنة** ـ:

فيقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

ويقول تعالى:

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٨٩]

وأما عن النار:

فيقول تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣١]

ويقول تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٤]

□ ومما يؤكِّد وجود الجنة وأنها مخلوقة ومجهزة: أن اللَّه سبحانه ذكرها في كتابه عندما عَرَج بنبيه محمد ﷺ فوصل إلى سدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى.

يقول تعالى:

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾.

[سورة النجم، الآيات: ١٢ ـ ١٨]

وهذه الآيات الكريمة تدل دلالة قطعية على أن النار والجنة مخلوقتان، فالدنيا وما فيها تبع للآخرة وما فيها، فالدنيا دار الامتحان والآخرة دار الاستقرار، سواء أفي الجنة أم في النار، وقد وصف اللَّه سبحانه الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة أنها متاع قليل.

يقول تعالى:

﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٣٨]

ولقد أكَّدت السنّة النبوية المطهرة أن النار والجنة مخلوقتان، ودليل ذلك أحاديث رسول اللَّه ﷺ في هذا الخصوص.

□ في «الصحيحين» من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مَقْعدك حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة**».

وتقدم حديث البَرَاء بن عازب وفيه: «**ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها**».

□ وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: خَسفت الشمس على عهد رسول اللَّه ﷺ، فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول اللَّه ﷺ: «**رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قِطْفاً من الجنة حين رأيتموني تقدّمت، ولقد رأيت النار يَحْطِم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت**».

□ وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس: «**وأيم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً**». قالوا: وما رأيت يا رسول اللَّه؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**».

□ وفي «الموطأ والسنن»، من حديث كعب بن مالك، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طيرٌ يَعْلَقُ**: (يأكل ويرعى) **في شجر الجنة، حتى يَرْجعه اللَّه إلى جسده يوم القيامة**». وهذا صريح في دخول الروح إلى الجنة قبل يوم القيامة، وهي بشرى عظيمة لكل مؤمن ومؤمنة.

□ وفي «الصحيحين»، واللفظ للبخاري، عن عبد اللَّه بن عباس، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول اللَّه ﷺ، فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول اللَّه رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «**إني رأيت الجنة، وتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت في الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط**

أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء»، قالوا: بم، يا رسول اللَّه؟ قال: «بكفرهن»، قيل: أيكفرن باللَّه؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كلَّه، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط».

□ وفي سنن الترمذي وأبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لما خلق اللَّه الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد اللَّه لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد.

قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجوَ منها أحد إلا دخلها» ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

قال الطحاوي في العقيدة الطحاوية: «والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن اللَّه تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدَّران على العباد».

وقال محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في شرحه لهذا النص:

أما قوله: «**إن الجنة والنار مخلوقتان**»، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما اللَّه يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلُهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله اللَّه، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبِّهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطِّلة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عَبَث، لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة. فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضلّلوا وبدّعوا من خالف شريعتهم.

ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة التي تدل على أنهما مخلوقتان، فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾، وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في «الصحيحين»، ومن حديث أنس رضي اللَّه عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «**ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[(١)].

وفي فتح الباري:

بيّن أن البخاري عقد باباً في صحيحه قال فيه:

باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة وقد أوردت في هذا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٥ ـ ٤٧٨.

الباب أحاديثَ كثيرةً تبيِّن وتدل على أن الجنة مخلوقة وكذلك النار، وفيها الحديث الذي ينص على رؤية رسول اللَّه ﷺ لقصرٍ لعمرَ بن الخطاب في الجنة، وفيها الحديث الذي ينص على أن اللَّه سبحانه يُري الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجنة أو النار ـ وكذلك حديث رسول اللَّه ﷺ، وفيه اطّلاعه ﷺ على الجنة والنار[١].

(١) فتح الباري (٦/ ٣١٧ ـ ٣٢٠).

الرد على شبهة
من قال النار لم تخلق بعد

لقد رأيت أن من أفضل الرد على شبهة من قال: النار لم تخلق بعد ما قاله شارح الطحاوية:

وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى:

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٥]

وقد روى الترمذي في جامعه، من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غِرَاسها سبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر**» وهو مروي في الصحيحين. وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من قال: سبحان اللَّه وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**» سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن

لهذا الغراس معنى. قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت:

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ١١]

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم: إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد اللَّه فيها لأهلها، وأنها لا يزال اللَّه يُحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث اللَّه فيها عند دخولهم أموراً أخرى ـ فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

فأُتيتم من سوء فهمكم من الآية واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن ـ نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وُفّق لذلك أئمة الإسلام. فمن كلامهم: أن المراد ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مما كتب اللَّه عليه الفناء والهلاك ﴿هَالِكٌ﴾، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقفُ الجنة.

وقيل: المراد إلا ملكه. وقيل: إلا ما أريد به وجهه. وقيل: إن اللَّه تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٢٦]

فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء،

فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكر عن قريب، إن شاء اللّه تعالى[١].

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٩.

عرض الأمم على النار وهم في أرض المحشر

وبعد طول الموقف في أرض المحشر يأذن اللَّه سبحانه بعرض الخلائق عليه للحساب.

وخلال هذا العرض على اللَّه سبحانه يأمر اللَّه سبحانه جهنم فَتُسعَّر، كما يأمر الجنة أن تزلف أي تتقرب من أهلها وأصحابها ووارثيها، وهم في حالة العرض على اللَّه سبحانه... فإذا ما سُعِّرت النار... يأمر اللَّه الملائكة الموكلين بالنار أن يخرجوا منها عنقاً يمر على أهل الموقف وعلى جميع الأمم.

يمر من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وشمائلهم.. تلفح بِحرِّها الكافرين والمشركين والضالين، وتبتعد عن المؤمنين الموحدين المسلمين ولكنهم يرونها تمر أمامهم... فتصبح القلوب عند الحناجر ولولا أن اللَّه سبحانه قضى أنَّهُ لا موت لمات كل من رأى هذه النار ولو من بعيد..!

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ * وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ .

[سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥]

في هذه الآيات الكريمة يبيِّن اللَّه سبحانه لنا كيف تعرض النار على أصحابها، وذلك قبل دخولهم فيها في جهنم... إنما يعرضهم اللَّه سبحانه على النار ويعرض النار عليهم في أكثر من موقف من المواقف الطويلة الرهيبة يوم القيامة على طوله، وأشدها عند العرض عليه. وهذا العرض إنما يكون عند انتظار الناس أن يبدأ اللَّه سبحانه فصل الحساب... ذلك حتى لا يُترك الكافرون والمشركون في راحة أبداً. ومنذ نفخة البعث والحشر في أرض الدنيا ثم الحشر على أرض المحشر بيومه الطويل الذي أسلفنا ذكره، والمواقف فيها ذلةٌ ومهانة، وعذاب للكافرين لا يطاق من اللَّه سبحانه إلى أولئك الذين استكبروا في الأرض بغير الحق، فكفروا وأشركوا وضلوا وأضلوا وحاربوا المؤمنين بكل ما لديهم من وسائلَ وأساليبَ، ولقد تركهم اللَّه في الدنيا يسرحون ويلعبون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام.

... أما اليوم فلا.. فالأمر يومئذ للَّه وحده... في هذه الأثناء يعرضون على النار.. وتسعر النار وتؤمر أن يُخرج منها شيء.

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

فتسعر النار وتجيء وتقترب ويخرج منها الأهوال وتقرب من الكافرين، فيخرج منها عنق وأعناق فتمر من فوقهم كجبل أظلهم.

ويقول تعالى:

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

□ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[(١)]، فإذا خرجت النار من جهنم على شكل زمام يجره الملائكة تتغيظ وتزفر من الكافرين، وتغيظها وزفيرها يُدخل على القلب رعباً لا يوصف.. ثم يزداد غضبها وغيظها على من أنكر وحدانية اللَّه وشهادة لا إله إلا اللَّه.. فتشهق وهي تفور بأصوات مرعبة تزيد من الخوف والألم والحسرة.

يقول تعالى:

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ٧]

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة.. باب في شدة حر جهنم رقم الحديث (٢٨٤٢).

فكيف تتصور حال الناس عندئذ؟ هذه المَشاهِد يراها الكافرون وأعوانهم، ويراها أيضاً المسلمون الموحدون وإن كانوا في مأمن منها ولكنهم يرونها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق ويقول: إني وكلت بثلاثة: بمن دعا مع اللَّه إلٰهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصوِّرين»**[1]، ويعني بالمصوِّرين: الذين ينحتون التماثيل.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يخرج عنق من النار فيتكلم فيقول: وُكِّلْتُ اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللَّه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً، فينطوي عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم»**، رواه الإمام أحمد.

وأما قوله ﷺ: فيقذفهم في غمرات جهنم.. ليس القذف نهائياً، لأنهم في حالة عرض على اللَّه بل وراءه عودة وربما قذف كثير وعَود كثير حتى يدخلوا جهنم خالدين فيها أبداً.. والعلم عند اللَّه.

فهؤلاء الثلاثة الذين ذكرهم رسول اللَّه ﷺ في الحديث، ينطوي عليهم العنق من النار وهم في موقف العرض على اللَّه فيلتقطهم من بين الخلائق لأن لهم سيما سواد الوجوه من الضلال والكفر والشرك ومعصية اللَّه سبحانه.

... تماماً كما يلتقط الطائر حب السِّمْسِم، وكما يلتقط العُقاب والنَّسر فريسته بعد أن يعاينها وهو في السماء فيهوي إليها بسرعة فيلتقطها دون أن يخطئها.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة جهنم رقم الحديث (٢٥٧٤).

كل هذا وما يراه الكافرون، إنما هو من وعد أجّله اللّه سبحانه لهم إلى هذا اليوم.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

ففي هذا الموطن الرهيب كل الأمم جاثية على ركبها، ومنهم أمة محمد ﷺ، لأنه في هذا الموطن لا بد أن تجتمع كل الأمم، لأن اللّه سبحانه بعد هذا سيبدأ ويأْذن بفصل الحساب والقضاء، وأول ما يبدأ بمحاسبة الأمم كأمة مجتمعة ثم يتفرقون في الحساب فرادى.

.. فإذا خرج هذا العنق من النار الذي يسقط القلوب ويحرق النفوس ويدخل الرعب على أي كان من أهل الموقف حتى لو كانوا أنبياء ومرسلين... صحيح أنه لا يصيبهم منه شيء ولكن الإنسان إنسان، وما يراه بأم عينيه ويشاهده يدخل الرعب عليه، فلا يفكر الإنسان إلا بالنجاة ولو على حساب البشرية جمعاء.

قال عبد الرزاق: (حدّثنا مَعْمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال: **إن جهنم تزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرَّ وتُرْعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ويقول: ربِّ لا أسألك إلا نفسي**)(١).

.. نحن في الدنيا إذا سمعنا صوت رعد قوي أتبعه بَرق ثم أتبعه رعد بما يشبه الصاعقة، تطير قلوبنا فزعاً أو حدث زَلزال أو حريق أو هدم أو ما يشبه ذلك، كل ذلك على صغره وبساطته

(١) رواه عبد الرزاق وعبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦/٢٣٩).

لا يشكل شيئاً يُذْكر ولا يقارَن بما سيحدث في الآخرة.. مع ذلك نمتلئ رعباً وتُرتعد فرائصنا ونسأل اللَّه سبحانه اللطف ونلحُّ في الدعاء.

أما ابن كثير في تفسيره فقد أوضح مثل هذه المواقف، فقال:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إنّ إبراهيم الخليل عليه السلام ليقول: « **لا أسألك اليوم إلا نفسي**»، وحتى إن عيسى عليه السلام ليقول: « **لا أسألك اليوم إلا نفسي**» .

[مختصر تفسير ابن كثير ص ٣١٢]

الفصل الثاني

صفات النار

مَدخل :

الصفة الأولى : أبواب النار .

الصفة الثانية : سرادق النار .

الصفة الثالثة : سَعة النار وبعد قعرها .

اتساع وعظم النار في كتاب كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي .

اتساع وعظم جهنم في كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي .

الصفة الرابعة : وَقود النار .

الصفة الخامسة : طبقات النار ودركاتها ودرجاتها .

الصفة السادسة : شدة حر النار وعظيم شرارها ودخانها .

الصفة السابعة : زيادة حر النار في جهنم على الدوام .

الصفة الثامنة : خزنة النار من الملائكة .

الصفة التاسعة : ظلمة النار وشدة سوادها وسواد وجوه أهلها .

الصفة العاشرة : تغيظ النار وزفيرها وشهيقها .

الصفة الحادية عشرة : أودية جهنم .

الصفة الثانية عشرة : جبال جهنم .

الصفة الثالثة عشرة : بقدرة اللَّه سبحانه النار تتكلم وتبصر يوم القيامة .

الصفة الرابعة عشرة : مالك خازن النار واستغاثة أهل النار به .

صفات النار

صفات النار

مدخل:

لقد أعدَّ اللَّه سبحانه النار لمن يستحقها من أولئك الذين استكبروا في الأرض وتجبروا وطغوا وظلموا وكفروا وأشركوا ونافقوا ـ وماتوا على هذا الشرك والكفر والظلم والاستكبار. . ولو أنهم آمنوا وتابوا بعد شركهم وظلمهم وفسقهم وضلالهم قبل موتهم لوجدوا اللَّه تواباً رحيماً.

يقول تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ٨٦ ـ ٨٩]

ومع كل جرائم هؤلاء الكفرة، فإن اللَّه سبحانه جعل لهم باب التوبة مفتوحاً، فإن تابوا وأصلحوا وجدوا اللَّه تواباً رحيماً. . ولكن الذين استحقوا النار، هم الذين لم يتوبوا وماتوا وهم كفار، ولم يغتنموا رحمة اللَّه سبحانه في الدنيا وقبولَ التوبة منهم.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٩١]

فتصوَّر رحمة اللَّه سبحانه حتى في أولئك الذين كفروا باللَّه ولم يؤمنوا به أن دعاهم للتوبة في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٨٩]

... فإن رحمة اللَّه وسعت كل خلقه الذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين تابوا من بعد كفرهم وشركهم وظلمهم... وكم من الذين أمضَوا عمرهم في الكفر والمعاصي، ثم تابوا قبل يوم أو يومين من موتهم، فتاب عليهم أرحم الراحمين وغفر لهم الغفَّار الرحيم.

وأما من ماتوا على الكفر والمعصية ولم يتوبوا، فأولئك الذين ينتقم اللَّه سبحانه منهم يوم القيامة أشدَّ الانتقام وأعدَّ لهم جهنم خالدين فيها.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٢]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٤، ٦٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

[سورة الفتح، الآية: ٦]

. . . نعم إن اللّه سبحانه أعدَّ لهؤلاء الكفرة الفجرة ناراً لهم فيها عذاب مهين خالدين فيها أبداً. . وكيف لا يعدّ اللّه سبحانه لهم نار جهنم، وهم لم يستجيبوا لنداء اللّه سبحانه في كل كتبه السماوية التي أنزلها، وكذلك لرسله وأنبيائه الذين ما فتئوا مع أقوامهم يرشدونهم ويهدونهم ويدلّونهم على طريق اللّه سبحانه. . ولقد بذل الرسل مع أقوامهم كل وسيلة، وتحمَّلوا منهم العذاب والتكذيب والإهانة، ووصفَهم بأبشع الأوصاف. ويضرب اللّه لنا مثلاً نوحاً عليه السلام كم عانى مع قومه؟ وكم بذل معهم الوسائل في سبيل هدايتهم؟ فما أفلحت وسيلة واحدة معهم.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾.

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ١٠]

الصفة الأولى

أبواب النار

. . . إن للجنة أبواباً وللنار أبواباً . . ولا بدَّ أن يدخل أهل الجنة الجنة من أبوابها ولا بد أن يدخل أهل النار النار من أبوابها . . وهؤلاء أي أهل الجنة يُستقبَلون من الملائكة عند دخولهم الأبواب ومنها إلى الجنة . . وهؤلاء أي أهل النار يستقبلون من الملائكة عند دخولهم الأبواب ومنها إلى نار جهنم .

ولنقرأ في كتاب اللّه سبحانه كيف تستقبل الملائكة فريقاً من هؤلاء عند دخولهم الأبواب ـ وتصوَّر الفَرْقَ العظيم بين دخول أبواب الجنة ودخول أبواب النار .

يقول اللّه تعالى :

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ * قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ * وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ * وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ

ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآيات: ٦٩ ـ ٧٥]

فتصوَّر كيف يُستقبل كل فريق، وأدعو اللَّه سبحانه أن يجعلنا من الذين يساقون إلى الجنة، ونُسْتَقبَلُ أحسن استقبال عند الأبواب من ملائكة اللَّه سبحانه.

... وهذا يدل على أن للنار أبواباً كما أن للجنة أبواباً.

ذلك في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٢]

وكذلك في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧١]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه لجهنم تحديداً أن لها سبعة أبواب وأن لكل باب من الكافرين جزءاً معلوماً واللَّه سبحانه أعلم بهم.

يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

وفي **صفوة التفاسير** لمحمد علي الصابوني يقول في تفسير الآيتين الكريمتين: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي موعد إبليس وأتباعه أجمعين، ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ﴾ أي لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها لكثرتهم، وروي عن علي رضي اللَّه عنه: إنها أطباق، طبق فوق طبق وإنها دركات بعضها أشدُّ من بعض، ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ أي لكل جماعة من أتباع إبليس باب معين معلوم. **وقال ابن كثير**: كلٌّ يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في دَرْك بحسب عمله[1].

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٦٨٤).

وفي تفسير ابن كثير يقول عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

[سورة الحجر، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

[سورة الحجر، الآيات: ٣٩ ـ ٤٤]

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وتمرده وعتوه أنه قال للرب: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي بسبب ما أغويتني وأضللتني ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ أي لذرية آدم عليه السلام ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أحبب إليهم المعاصي وأرغبهم فيها ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي كما أغويتني وقدرت عليَّ ذلك ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾، كقوله: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال اللّه تعالى له متهدداً ومتوعداً: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي مرجعكم إليَّ فأجازيكم بأعمالكم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وقيل: طريق الحق مرجعها إلى اللّه تعالى، وإليه تنتهي(١).

كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أي الّذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ استثناء منقطع، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس، كما قال عن القرآن: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾، ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب(٢) لكل باب منهم جزء مقسوم أي قد كتب لكل

---

(١) قاله مجاهد والحسن وقتادة.

(٢) في اللباب: أخرج الثعلبي: أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿وإن جهنم=

باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه، أجارنا اللَّه منها، وكل يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر عمله، وعن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: إن أبواب جهنم هكذا أطباق، بعضها فوق بعض.

وعن هبيرة عن أبي مريم عن علي رضي اللَّه عنه قال: أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلئ كلها، **وقال عِكْرِمة**: سبعة أبواب أطباق، **وقال ابن جريج**: سبعة أبواب أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية[(١)]، **وقال قتادة**: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: هي واللَّه منازل بأعمالهم، **وقال الترمذي**، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سلَّ السيف على أمتي ـ أو قال على أمة محمد**»[(٢)]. وقال ابن أبي حاتم، عن سَمُرَة بن جندب، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قال: «**إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، وإن منهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى تراقيه، منازلهم بأعمالهم، فذلك قوله**: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾»[(٣)]. وهكذا نتبيَّن أن أتباع إبليس (الشيطان) هم المقصود مِنْ قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ أي إن اللَّه سبحانه سيجمعهم في جهنم باختلاف ألوان العذاب وباختلاف دخولهم الأبواب، وذلك بحسب

= **لموعدهم أجمعين**﴾ فرَّ ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى النبي ﷺ؟ فقال: يا رسول اللَّه، أنزل اللَّه هذه الآية؟ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل اللَّه: ﴿**إن المتقين في جنات وعيون**﴾.

(١) روى الضحاك عن ابن عباس نحوه، وكذلك روي عن الأعمش.

(٢) رواه الترمذي وقال: لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مِغْول.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٣١٢) جزء (٣).

جرائمهم في الدنيا ـ فهناك عابد الأصنام، وهناك شارب الخمر، وهناك المرابي، وهناك لاعب الميسر، وهناك المجرم الذي حارب اللَّه سبحانه ورسوله ﷺ، وهناك الذي آذى المسلمين وعمل على الفتك والإضرار بهم، وبيَّت لهم الشر وشجَّع على العدوان عليهم. . . كل ذلك بعلم اللَّه سبحانه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآية: ٧٠]

فكل جماعة لهم جريمة يجتمعون عليها، ولكل جماعة من المجرمين باب يدخلون منه مجتمعين. . .

. . . فالذين كانوا يجتمعون على معصية اللَّه سبحانه، ويعاقرون الخمر ويلعبون الميسر وهم أحبَّاء فيما بينهم، يتنادمون وهم أصدقاء، سيجمعهم اللَّه سبحانه يوم القيامة في نار جهنم، وسيجمعهم أعداءً يلعن بعضهم بعضاً.

يقول تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٧]

ولقد سمَّى الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه اللَّه أبواب جهنم، وبيَّن أصحابها، وفسَّر معنى كل باب من الأبواب السبعة التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه العزيز:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

الباب الأول: يسمى **جهنم** لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذاباً من غيره.

الباب الثاني: يقال له: **لظى** ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ١٥، ١٦]

يقول: أكلة اليدين والرجلين تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد ﷺ.

الباب الثالث: يقال له: **سقر**، وإنما سمّي سقرَ لأنه يأكل اللحم دون العظم.

الباب الرابع: يقال له: **الحطمة**، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾.

[سورة الهمزة، الآيتان: ٥، ٦]

تحطم العظام وتحرقها وتحرق الأفئدة.

قال تعالى:

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

[سورة الهمزة، الآية: ٧]

تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمي بشرر كالقصر كما قال تعالى:

﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾.

[سورة المرسلات، الآيتان: ٣٢، ٣٣]

يعني سوداً فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديَهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفَدَ. ثم يبكون الدماء، ثم يبكون القيح حتى ينفدَ القيح، حتى إن السفن لو أرسلت تجري فيما خرج من أعينهم لجرت.

الباب الخامس: يقال له: **الجحيم**، وإنما سمي جحيماً لأنه عظيم الجمرة، والجمرة الواحدة أعظم من الدنيا.

الباب السادس: يقال له: **السعير**، وإنما سمي السعيرَ؛ لأنه

يسعر بهم ولم يُطَأْ منذ خلق، وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال، وفيه جُبُّ الحزن ليس في النار عذاب أشد منه، إذا فتح باب الحزن لأهل النار حزنوا حزناً شديداً.

الباب السابع: يقال له: **الهاوية**، من وقع فيه لم يخرج منه أبداً، وفيه بئر الهباب، وذلك في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

إذا فتح الهباب يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه: الذي قال عنه اللَّه تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

وقيل الصعُود: هو جبل من نار يوضع أعداء اللَّه على وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم، والزبانية وقوف على رؤوسهم، بأيديهم مقامع من حديد، إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان[١]... فإذا دَخل الذين كفروا بآيات اللَّه سبحانه وأشركوا وعصوا ونافقوا أبواب جهنم غُلّقت عليهم فلا أمل بخروجهم.

يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾.

[سورة البلد، الآيتان: ١٩، ٢٠]

ويقول د. محمد وهبة الزحيلي في التفسير المنير في تفسير تلك الآيتين الكريمتين: أي الذين جحدوا بآياتنا التنزيلية والآيات الكونية الدالة على قدرتنا هم أصحاب الشمال وعليهم نار مُطبَقة

(١) كتاب الدار الآخرة ٢/٣٥٧، ٣٥٨. الشيخ محمد متولي الشعراوي.

مغلَّقة، وأصحاب الشمال هم أهل النار الشؤومة كما قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ولقد ذكر اللَّه سبحانه للمقابلة والمقارنة والعظة أصحاب الشمال بعد أصحاب اليمين، والذين كفروا باللَّه وبالقرآن الكريم هم الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم، ومصيرهم إلى النار التي تطبق وتغلق أبوابها عليهم(١).

ولقد أوضح اللَّه سبحانه وبيّن لنا في كتابه الكريم صفة هذه الأبواب العظيمة أبواب جهنم في سورة الهُمَزة.

يقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ١ ـ ٩]

ويتوعَّد اللَّه سبحانه في هذه الآيات الكريمة من سورة الهمزة الكافرين الذين يجمعون الأموال ويعدِّدونها ويحسَبون أن أموالهم ستخلدهم في الدنيا وتُعِزُّهم، ولن ينالهم أي أذى بقوة ما يملكون من أموال... نعم يتوعَّدهم اللَّه سبحانه بأشدِّ أنواع العذاب في الحطمة التي تطلع على القلوب، والتي ستكون عليهم مغلقة مؤصدة في عمد وأبواب ممددة طويلة جداً مشدودة.

يقول ابن كثير في تفسير سورة الهمزة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ *

(١) التفسير المنير صفحة (٢٥٤) جزء (٢٩، ٣٠).

كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ .

الهمَّاز بالقول، واللمَّاز بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص مِنْهم، قال ابن عباس: ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ طعّان مِعياب، وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليدين والعين، واللمزة باللسان؛ ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق)، وقال مجاهد: هي عامة، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى: ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴾، قال محمد بن كعب: ألهاه ماله بالنهار، فإذا كان الليل فهو نائم كأنه جيفة منتنة، وقوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾ أي يظن أن جمعه المالَ يخلده في هذه الدار، ﴿ كَلَّا ﴾ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال تعالى: ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ أي ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدَّده. ﴿ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴾ وهي اسم من أسماء النار، لأنها تحطم من فيها ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ .

قال ثابت البُناني: تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، وقال محمد ابن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلَغَ فؤادُهُ حذوَ حلقه ترجع على جسده، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد. وقوله تعالى: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ أي عمد من حديد.

وقال السدي: من نار، قال ابن عباس: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ يعني الأبواب هي الممددة، وعنه: أدخلهم في عمد ممددة عليهم

بعماد، في أعناقهم السلاسل، فسدّت بها الأبواب[١].

وقال قتادة: كنا نُحدَّث أنهم يعذبون بعَمَد في النار، واختاره ابن جرير.

وقال أبو صالح: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ يعني القيود الثقال[٢].

يقول الصابوني في تفسير سورة (الهمزة) (صفوة التفاسير):

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۞ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۞ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۞ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

التفسير: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي عذاب شديد وهلاك ودمار، لكل من يعيب الناس ويغتابهم ويطعُن في أعراضهم، أو يلمزهم سراً بعينه أو حاجبه، قال المفسرون: نزلت السورة في «الأخنس بن شريق» لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم مقبلين ومدبرين، والحكم عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣].

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي الذي جمع مالاً كثيراً وأحصاه، وحافظ على عدده لئلا ينقص فمنعه من الخيرات، قال الطبري: أي أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل اللّه، ولم يؤد حق اللّه فيه ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه[٤] ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن هذا الجاهل لفرط غفلته أن ماله سيتركه مخلداً في الدنيا لا يموت ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا

---

(١) هذه رواية العوفي عن ابن عباس والأولى رواية عكرمة عنه.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٦٧٥) جزء (٣).

(٣) انظر القرطبي ٣٠/ ١٨٣. والرازي ٣١/ ٩١.

(٤) تفسير الطبري ٣٠/ ١٨٩.

﴿ٱلْحُطَمَةُ﴾ تفخيم وتهويل لشأنها؛ أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي هي نار اللَّه المسعَّرة بأمره تعالى وإرادته، ليست كسائر النيران فإنها لا تخمُدُ أبداً، وفي الحديث: «**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء عظيمة**»[١]. ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب فتحرقها. قال **القرطبي**: وخصَّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فهم إذاً أحياء في معنى الأموات[٢].

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم، لا يدخل إليهم رَوْح ولا ريحان، ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ أي وهم موثوقون في سلاسل وأغلال، تشدُّ بها أيديهم وأرجلهم بعد إطباق أبواب جهنم عليهم، فقد يئسوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم، وتمدّد العمد إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية[٣].

ولقد ذكر رسول اللَّه ﷺ هذه الأبواب في أحاديثه الشريفة:

□ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سلَّ سيفه على أمتي**»[٤].

□ عن عتبة بن عيد السلمي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٥.

(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، صفحة (١٧٢١).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه.

«إن للجنة ثمانيةَ أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض»[١]. وهذا يدل على أن من أعظم الجرائم التي يعاقب عليها اللَّه سبحانه الاعتداء على الإسلام والمسلمين وكتاب اللَّه سبحانه ونبيّه ﷺ. . . ولقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ أن أبواب النار تغلق في شهر رمضان الكريم إكراماً لهذا الشهر الكريم الذي أنزل فيه القرآن العظيم، ومن رحمة اللَّه سبحانه يفتح أبواب الجنة. . . وهذا دليل على عظيم أمر هذا الشهر وقبول التوبة فيه والعمل الصالح.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا كان أول ليلة من رمضان صفّدت الشياطين ومردة الجن وأغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب»[٢].

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفّدت الشياطين ومردة الجن»[٣].

بُعْدُ أبواب النار بعضها عن بعض:

□ عن أبي رَزين العقيبي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«لَعَمْرُ إلٰهك إن للنار سبعة أبواب، ما منهن بابان إلا ويسير الراكب بينهما سبعين عاماً»**[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الحاكم والطبراني وعبد اللَّه بن الإمام أحمد وابن أبي عاصم.

الصفة الثانية

سرادق النار

يقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وفي تفسير (السرادق) لغةً، يقول **الزجّاج**: السُرادق كل ما أحاط بشيء نحو ـ الشقة في المضرب ـ والحائط المشتمل على الشيء، وقال **ابن قتيبة**: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾: أي أحاط بهم عذاب كأنه سرادق أو خيمة ضربت عليهم.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة»**[(١)].. ومعنى (كثف) الواردة في الحديث الشريف: (غلظة أو ثخانة).

□ وإحاطة السرادق بالظالمين الكافرين المشركين شبيه بما ذكرنا في غلق أبواب جهنم على الكافرين والمشركين.. وكذلك شبه قول من قال: إن السرادق حائط لا باب له.

... ولما كان إحاطة السرادق بهم موجباً لهمهم وكربهم وغمهم وعطشهم لشدة وهج النار المحيطة بهم قال تعالى بعد ذكر: ﴿ سُرَادِقُهَاۚ ﴾:

---

(١) رواه الترمذي.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ .

ذلك أن النار المغلقة والمحاطة بجُدُر ﴿سُرَادِقُهَاۚ﴾ تزداد في حرِّها ولهيبها وقوة اشتعالها .

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقول أصحابها في الآية الكريمة : إنَّا أعددنا وهيَّأنا للظالمين الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب كإحاطة الخيمة أو الفسطاط بمن تحته، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعَكَر[1] الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنُّحاس والرَّصاص يشوي الوجوه من شدة حرارته بئس الشراب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً .

وفي تفسير ابن كثير: في قوله تعالى : ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ أي سورها، وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **لسرادق النار أربعة جدر، كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة** »[2] . **وقال ابن عباس**: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ قال : حائط من نار .

وقال الصابوني: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ أي هيأنا للكافرين باللَّه ورسوله ناراً حامية شديدة أحاط بهم سورها كإحاطة السور بالمعصم .

ومن جميع التفاسير نتبيَّن عظيم ما ينتظر الكافرين والمشركين من صنوف العذاب وألوانه، مع الإهانة والذل من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللَّه سبحانه، سخَّرهم اللَّه سبحانه بصور ووجوه، اللَّهُ سبحانه أعلم بها اكتمالاً لصفة ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ .

وهؤلاء هم الذين افتروا على اللَّه سبحانه وكذبوا الرسل وعادوْا

---

(١) العَكَر : الرواسب من كل شيء .

(٢) رواه أحمد والترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره .

المؤمنين وآذوهم أشدَّ الإيذاء، عبر تاريخ طويل من رسالات اللَّه سبحانه للبشرية، عن طريق كتبه ورسله، ولقد أقسم اللَّه سبحانه في أكثر من آية كريمة على عذاب هؤلاء وعلى إحضارهم حول جهنم وهم يجثون على ركبهم، بل وعدهم بأنه سيحشرهم مع الشياطين.

وما السرادق المذكور في الآية الكريمة: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ إلا لوناً من ألوان العذاب الذي خصَّه اللَّه سبحانه للعُتُلِّ المتجبرين من الكفرة المجرمين في الأرض والذين لم يرعوا حرمة اللَّه سبحانه، وما قدروا اللَّه حق قدره، وما أعطوا لعقولهم وأفكارهم حقها في التفكير في طاعة اللَّه ووحدانيته جلّ جلاله، بل قهروا النفس الطيبة التي خلقها اللَّه سبحانه في الإنسان، وشاركوا الشياطين التمرد والرفض والكفر فما ظهر من نفوسهم إلا الفجور ولذلك سماهم اللَّه سبحانه: ﴿ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ لشدة فجورهم وإيذائهم واعتدائهم وتجرئهم على اللَّه سبحانه.

الصفة الثالثة

سَعة النار وبُعْدُ قعرها

□ **عظيم سعة النار:**

النار التي أعدَّها اللَّه سبحانه للكافرين والمشركين والمنافقين شاسعة واسعة مترامية الأطراف لا يعلم حقيقة سعتها إلا اللَّه سبحانه، وهي كذلك لأن مجلس الكافر الواحد منها كما بين مكة والمدينة... ذلك أن الكافر يضخم فيها حتى يصبح على هيئة عظيمة... فلقد صح في الحديث الشريف أن ضرس الكافر في نار جهنم كجبل أحد وأن جلده مسيرة ثلاثة أيام وكذلك ما بين منكبيه... إضافة إلى أن أهل جهنم كثيرون وأعدادهم هائلة.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ضرس الكافر ـ أو ناب الكافر ـ مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[(١)].

... فإذا كانت هذه حالَ الكافر الواحد في جهنم فكم تكون سعَتها لتسع جميع الكفرة على عظيم أجسادهم واتساع مقعد الواحد منهم؟

... ومما يدل على عظيم اتساعها وبُعْد قعرها ومِساحتها الشاسعة، أن اللَّه سبحانه وبعد أن يُدخل فيها أهل النار وتُضَخَّم أجسادهم على ما أسلفنا يسألها اللَّه سبحانه: هل امتلأتِ؟

(١) رواه مسلم برقم (٢١٨٩).

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

[سورة ق، الآية: ٣٠]

أي إن جهنم لعظيم سعتها وبُعْد قعرها تطلب المزيد من الخلائق لأن فيها متسعاً بَعْدُ، يسع الكثير من الخلائق.

□ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال في احتجاج الجنة والنار... إن اللّه تعالى يقول للنار: «**إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله ـ وفي رواية حتى يضع اللّه تبارك وتعالى رجله ـ فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللّه من خلقه أحداً**»(١).

□ عن أنس رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتنزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط، قط، بعزتك وكرمك**»(٢).

... وممَّا يدل على عظيم اتِّساعها أنها تأتي يوم القيامة كما قال تعالى في محكم كتابه:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

[سورة الفجر، الآيات: ٢١ ـ ٢٣]

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أي وأحضرت جهنم ليراها المجرمون كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

---

(١) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٥٤٤).

(٢) متفق عليه، مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٩).

□ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(١) وهؤلاء الملائكة الذين يجرّون زِمامَ النار لا يعلم قدر حجمهم ولا قوتهم إلا اللَّه سبحانه، ولقد تحدث رسول اللَّه ﷺ عن مَلَكٍ واحد من حملة العرش.

□ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال:

«أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة اللَّه من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعِمائة عام»(٢). فتصوَّر عظيم تلك النار التي تحتاج إلى هذا العدد العظيم من الملائكة والذين هم بعلم اللَّه قدرتهم وقوتهم وعظيم أجسادهم.

وذكر أبو حامد الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة تفسيراً للحديث النبوي الشريف.

اتساع وعظم جهنم في كتاب
كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي

□ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»(٣).

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم وتقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، بيد كل واحد حلْقة لو جُمع حديد الدنيا كله ما عدل منها

(١) رواه مسلم ـ باب في شدة حر جهنم، رقم الحديث (٢٨٤٢)، ورواه الترمذي.
(٢) رواه أبو داود في سننه ورقم الحديث (٤٧٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢/ ٢٩) والترمذي (٢٥٧٣).

بحلقة واحدة، على كل حلقة سبعون ألف زابن (مَلَك)، لو طلب من أحدهم أن يدك الجبال لدكها، وأن يهد الأرض لهدها، وإنها إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها، فيجثو كل مَنْ في الموقف على الركب حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بالعرش. هذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نسي هارون، وهذا قد نسي مريم عليها السلام، وكل واحد منهم يقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها.

قال: وهو الأصح عندي، ومحمد ﷺ يقول: « **أمتي أمتي سلِّمها يا رب، ونجِّها يا رب** »، وليس في الموقف من تحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٨]

وعند تفلتها تكبو من الغيظ والحنق، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

أي تعظيماً لغيظها وحنقها، يقول اللّه تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ٨]

أي تكاد تنشق من شدة غيظها، فيقوم رسول اللّه ﷺ بأمر اللّه تعالى ويأخذ بخِطامها ويقول: ارجعي مدحورة مدحورة إلى خَلْفِك حتى يأتيك أهلك أفواجاً. فتقول: خلِّ سبيلي فإنك يا محمد حرام عليَّ، فينادي منادٍ من سرادقات العرش اسمعي منه وأطيعي له، ثم تُجذب وتُجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بجذبها فيخفُّ وجلُهم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ١٧]

وهناك تُنصب الموازين.

اتساع وعظم جهنم في كتاب التذكرة
في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي

□ **قال القرطبي**: هذا يبيِّن لك ما قلناه: إن جهنم اسم علم لجميع النار. ومعنى يُؤتى بها يُجاء بها من المحل الذي خلقها اللَّه تعالى فيه فتُدار بأرض المحشر، حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم. والزمام: ما يُزم به الشيء أي يُشد ويُربط به وهذه الأزمَّة التي تُساق بها جهنم تمنع من خروجها من أرض المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء اللَّه بأخذه على ما تقدم، وتأتي، وملائكتها كما وصفهم اللَّه ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

□ **وقال العلماء**: إنما خُصَّ النبي بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات اللَّه عليهم، لأنه رآها في مسراه وعُرضت عليه في صلاته حسب ما ثبت في الصحيح، قال: **وفي ذلك فوائد ثمانٍ**:

□ **الفائدة الأولى**: إن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبونه في قوله ويؤذونه أشد الأذى؛ أراه اللَّه النار التي أعدَّها للمستخفين به، فجعلها تنقاد لأمره تطييباً لقلبه وتسكيناً لفؤاده.

□ **الفائدة الثانية**: الإشارة في ذلك أن مَن طيَّب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام، فالأولى أن يطيِّب قلبه في شأن أوليائه وأحبائه بالتحية والشفاعة والإكرام.

□ **الفائدة الثالثة**: ويحتمل أن عرضها عليه ليعلموا منَّة اللَّه تعالىٰ عليهم حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

□ **الفائدة الرابعة**: ويحتمل أن عرضها عليه ليكون في القيامة إذا

قال سائر الأنبياء: نفسي نفسي، فيقول نبينا محمد ﷺ: **أمتي أمتي** وذلك حين تُسجر جهنم، ولذلك أمر اللّه عزّ وجلّ محمداً ﷺ، فقال جلّ من قائل: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

□ قال الحافظ أبو الخطاب: والحكمة في ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمِّنْه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء.

□ **الفائدة الخامسة**: إن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها، فإذا رأوها جَزِعوا وكفت ألسنتهم عن الشفاعة من هولها وشغلتهم أنفسهم عن أممهم، وأما نبينا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك؛ فلا يفزع منه مثلما فزعوا ليقدر على الخطبة، وهو المقام المحمود الذي وعدَهُ ربه تبارك وتعالى في القرآن المجيد وثبت في صحيح السنة.

□ **الفائدة السادسة**: فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خُلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقهما، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

والإعداد دليل الخلق والإيجاد.

□ **الفائدة السابعة**: ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خِسَّة الدنيا في جنب ما أراه، فيكونَ في الدنيا أزهد، وعلى شدائدها أصبرَ حتى يؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء وبؤساً لنعمة تُؤدي بصاحبها إلى البلاء.

□ **الفائدة الثامنة**: ويحتمل أن اللّه تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس عليه السلام كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة، أراد اللّه تعالى أن يكون

ذلك لصفيهِ ونجيه، وأمينه على وحيه محمد ﷺ وكرم وعظم وبُجِّل ووقر، قال ذلك جميعَه الحافظُ بن دِحْيَة رضي اللَّه عنه في كتاب الابتهاج في أحاديث المعراج(١).

بُعد قعرها:

. . . وأمَّا ما جاء عن بُعد قعرها: إن الحجر العظيم إذا ألقي فيها فإنه يحتاج إلى سنوات طويلة للوصول إلى قعرها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ، إذ سمعنا وجبة، فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا**»؟ قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار إلى الآن**»(٢). وجبة: سقطة.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«**لو أن حجراً مثل سبع خَلِفات، ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها**»(٣). الخَلِفة: الحامل من النوق.

□ عن معاذ وأبي أمامة رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لو أن حجراً مِثل سبع خَلِفاتٍ أُلقي عن شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها**»(٤). ورواه هنَّاد بن السَّري عن أنس.

□ وقال عتبة بن غزوان رضي اللَّه عنه: «**ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفا جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يُدْرِكُ لها قعراً، واللَّه لتملأنْ**»(٥).

---

(١) التذكرة (٢/ ٩٦ ـ ٩٩). (٢) رواه مسلم ورقم الحديث (٢٨٤٤).
(٣) رواه الحاكم، صحيح الجامع الصغير (٥/ ٥٨) برقم (٥١٢٤) وإسناده صحيح.
(٤) رواه الطبراني، صحيح الجامع الصغير برقم (٥١٢٤) وإسناده صحيح.
(٥) رواه مسلم برقم (٢٢٧٨).

فتصوَّر بُعْدَ قعرها وعمقها إذ لا يصل إليها الحجر الضخم إذا ألقي فيها إلا بعد سبعين عاماً، وهو يهوي حتى يصل إلى قرارها (قعرها) فأي عمق لها؟ وأي بعد لقعرها؟

وبَعْدُ. . . فإن الأمر عظيم! وهَوْلُ النار عظيم! والعذاب فيها أعظم، فأي مسكن هذا للكافرين والمشركين والمنافقين؟! إنها ساءت مستقراً ومُقاماً، وساء أهلها الخالدون فيها.

الصفة الرابعة

وقـود النَّـار

. . . في الدنيا تشتعل النار من موادَّ خصها اللَّه سبحانه، وجعل فيها خاصية الاشتعال كالخشب وكل مادة تصنع من الخشب، وكذلك مادة الكبريت، وكذلك جعل اللَّه سبحانه مواد كثيرة قابلة للاشتعال كالبِترول في زماننا هذا.

. . . لكن اللَّه سبحانه جعل النار في يوم القيامة توقد وتشتعل من شيئين محددين وهما:

الناس والحجارة وأضاف عليهما في آية كريمة الآلهة المزعومة التي كانوا يعبدونها في الدنيا.

. . . وفي هذا الأمر وِقْفة تأمّلية: حيث إن من أشد أهوال يوم القيامة وأهوال النار فيه، أن جعل اللَّه سبحانه الناس من الكفرة الفجرة وقوداً لتلك النار مع الحجارة.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟

شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

. . . وكما أن الجنة خالدة وأهلها خالدون، كذلك فإن النار خالدة وأهلها خالدون.

. . . ومعنى أن النار خالدة أي إن النار مستمرة في الاشتعال وهي بحاجة إلى وقود حتى تستمر بالاشتِعال. . . ولقد جعل اللّه سبحانه أجساد الكفرة والحجارة هي وقود النار، مادة مستمرة في اشتعالها واستمرارها.

وهنا يكمن السؤال فكم مرة تحترق أجساد الكافرين فتذوب لتكون مادة دائمة لاشتعال النار عبر هذا الخلد الذي لا ينتهي؟ فأجسادُ الكافرين جزء من جزأين من المادة التي تُسعِّرُ النار وتجعلها خالدة دائمة لا تفتير فيها ولا انطفاء ولا خبو، بل كلما خبت زادها اللّه سبحانه سعيراً.

يقول تعالى:

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

. . . فهل لعقل أن يتصوَّر هذا العذاب؟ وهل يمكن لنفس أن تَتَصوَّر هذا العذاب؟

إنَّه عذاب يفوق كل تصوُّر بل كل تخيُّل، ولا يمكن للعقل البشري أن يستوعب أو يلم أو يتخيل هذه النوعية من العذاب، وأجسادنا في الدنيا إذا ما تعرضت لحريق أو للسعة من نار فإنها تتألم آلاماً شديدة، وتطول فترة الشفاء من هذه اللسعة أو من هذا الحريق الصغير ربما أشهراً طويلة.

... فكيف بمن تحترق جلودهم ثم يبدلهم اللَّه جلوداً غيرها ثم تحترق ثم يبدلهم غيرها، ثم تحترق وتكون وَقوداً لاشتعال النار، ثم يبدلهم اللَّه سبحانه غيرها في عملية لا نهاية لها، وفي عذاب مقيم وذل مقيم ومهانة مقيمة من ملائكة غلاظ شداد.

... هذا عن الناس، وأما عن الحجارة التي تسعّر بها النار، فحقيقة الأمر أن اللَّه سبحانه أعلم بها وبعظيم حجمها ونوعيتها، وقد ذهب بعض السلف إلىٰ أن هذه الحجارة من كبريت، هكذا روي عن عبد اللَّه بن مسعود: «**هي حجارة من كبريت خلقها اللَّه سبحانه يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدّها للكافرين**»[1].

وقال بمثل هذا القول أيضاً: ابن عباس ومجاهد وابن جريج.

وفي صفوة التفاسير يقول في قوله تعالى:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

أي فخافوا عذاب اللَّه واحذروا نار الجحيم التي جعلها اللَّه جزاء المكذبين، والتي جعل اللَّه مادتها التي تشتعل بها وتضرم لإيقادها هي الكفار والأصنام التي عبدوها من دون اللَّه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٨]

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقول أصحابها عن قوله تعالى: ﴿ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ تلك النار التي حطبها الذي توقد به الناسُ الكفار والحجارة والأصنام المعبودة وهيِّئت للجاحدين الكفرة.

والمفسرون الأوائل رأوا أن الحجارة التي توقد بها النار هي

(١) رواه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك (وكذلك رواه ابن جرير في تفسيره) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

حجارة الكبريت ذلك أنهم اعتبروا أن مادة الكبريت لها خصائصُ ليست لغيرها من الحجارة.

ويقول ابن رجب في هذا الخصوص في كتابه التخويف من النار:

وأكثر المفسرين على أن المراد بالحجارة، حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: إن فيها خمسةَ أنواع من العذاب، ليست في غيرها من الحجارة:

١ ـ سرعة الإيقاد. ٢ ـ نتن الرائحة.

٣ ـ كثرة الدخان. ٤ ـ شدة الالتصاق بالأبدان.

٥ ـ قوة حرِّها إذا أحميت».

وقال السدي: في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح، وعن ابن عباس وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة.

في قوله تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٤]

أما الحجارة في النار فهي من كبريت أسود يعذبون به مع النار:

وقال مجاهد: حجارة من كبريت أنتن من الجيفة، وهكذا قال أبو جعفر وابن جريج وعمرو بن دينار وغيرهم.

... ومما توقد النار به في جهنم الآلهة التي كان الكافرون والمشركون يعبدونها من دون اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٨، ٩٩]

ومعنى (حَصَبُ) الواردة في الآية الكريمة: حطب ووقود النار الذي به تهيج، فالكفرة وما كانوا يعبدون من دون اللّٰه سبحانه هم حصب جهنم كفرعون الذي ادَّعى الألوهية وقال لأتباعه...

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ .

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

وأيضاً (كالنمرودِ بن كنعان) الذي جادل إبراهيم في ربه وادَّعى الألوهية وأنه يحيي ويميت.

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٨]

الصفة الخامسة

طبقات النار ودركاتها ودرجاتها

النار درجات كما أن الجنة درجات فلكلٍّ نصيب منها مما اكتسب من الكفر وممَّا اكتسبت يداه من فعل الآثام والفواحش.

نعم فإن النار تسمى درجاتٍ كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣]

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: درجات الجنة تذهب علواً ودرجات النار تذهب سفولاً.

وقد ذَهَب بَعضهم إلى أن الجناتِ درجات والنار دركاتٌ لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن عكرمة في قوله تعالى:
﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾.

[سورة الحجر، الآية: ٤٤]

قال: لها سبعة أطباق أي سبع طبقات.
... وفي تفسير قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٤٥]

الدَّرْكِ الأسفل: الطبق الذي في قعر جهنم.

أي إن المنافقين في الطبقة التي في قعر جهنم وهي سبع طبقات، قال ابن عباس: أي في أسفل النار، وذلك أنهم جمعوا مع الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله، وقال: النار دركات كما أن الجنة درجات.

وقد ورد في بعض كتب السلف تسمية هذه الدركات:

فالأول جهنم ـ والثاني لظى ـ والثالث الحطمة ـ والرابع السعير ـ والخامس سقر ـ والسادس الجحيم ـ والسابع الهاوية.

كذلك ورد عن بعض السلف أن عصاة الموحدين يكونون في الدرك الأعلى، ويكون في الدرك الثاني والثالث الكفار من اليهود والنصارى، وفي الدرك الرابع الصابئون، وفي الخامس المجوس، وفي السادس مشركو العرب، وفي السابع المنافقون[1].

---

(١) هذه التقسيمات ذكرت اجتهاداً من بعض علماء السلف واحتمال صحتها كاحتمال خطئها؛ لأن الاجتهاد يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ والله أعلم. ولقد ذكرتها للبيان وليس للتأكيد لأن تلك التقسيمات لم تأتِ بها النصوص.

الصفة السادسة

شدّة حر النَّار وعظيم شرارها ودخانها

لقد وصف اللَّه سبحانه في كتابه الكريم شدة حر النار وعظم شرارها في أكثر من آية قرآنية كريمة:

يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ٨١]

ويقول تعالى:

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۞ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾.

[سورة المعارج، الآيتان: ١٥، ١٦]

ومعنى لظى: جهنم أو الدركة الثانية فيها.

ومعنى نزاعة للشوى: قلّاعة للأطراف أو جلد الرأس وذلك من شدة حرِّها.

ويقول تعالى:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۞ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۞ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۞ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ٤ ـ ٩]

وفي صفوة التفاسير يقول الصابوني:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي ليرتدعْ هذا الظانُّ، فواللَّه ليُطرحنَّ

في النار التي تحطم كل ما يلقى فيها وتلتهمه ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ تفخيم وتهويل لشأنها أي وما الذي أعلمك ما حقيقة هذه النار العظيمة؟ إنها الحطمة التي تحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب، ثم فسَّرها بقوله: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ أي هي نار اللّه المسعّرة بأمره تعالى وإرادته ليست كسائر النيران فإنها لا تخمُد أبداً ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ التي يبلغ ألمها ووجعها القلوب فتحرقها[١].

وقال القرطبي في تفسيره: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ لقد خصَّ الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فإنهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ فهم أحياء بمعنى الأموات[٢].

ويقول تعالى:

﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٢٦ ـ ٢٩]

والآيات تشير إلى عظم نار سقر التي لا تُبقي ولا تذر فهي لواحة للبشر أي إن سقر في شدة حرّها ونارها وعظيم لهيبها لا تبقي ولا تذر.

معاني المفردات:

﴿سَأُصۡلِيهِ﴾ أدخله ﴿سَقَرَ﴾ جهنم ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لشأنها ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي لا تُبقي على شيء يلقىٰ فيها ولا تدعه حتى تهلكه ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾ مُغيّرة للبشرات، مسوّدة للجلود صيغة مبالغة من لوّحتْه الشمس: إذا سوّدت ظاهره وأطرافه. والبشر جمع بشَرة وهي ظاهر

(١) تفسير الصابوني صفحة (١٧٢١).
(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٥).

الجلد وجمع البَشر أبشار كما جاء في صفوة البيان للعلامة حسنين محمد مخلوف ص٧٦٢.

وفي التفسير المنير:

يقول د/ محمد وهبة الزحيلي في تفسير هذه الآيات الكريمة(١)

أي سأدخله النار وسأغمره فيها من جميع جهاته، وسقر: من أسماء النار، ثم هوّل أمرها وفخم شأنها بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ المعنى: أي شيء أعلمَك ما سقر؟ لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئاً، فإذا أعيد أهلها خلقاً جديداً فلا تتركهم، بل تعاود إحراقهم بأشدَّ مما كانت، وهكذا أبداً كما قال تعالى:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٦]

ويقول تعالى في وصف عظيم شرر وشدة حرِّ النار ودخانها: ﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۞ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۞ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۞ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۞ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۞ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ۞ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيات: ٢٨ ـ ٣٤]

المفردات اللغوية:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ إخباراً عن امتثالهم للأمر اضطراراً.

﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ ظل ودخان جهنم، إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لِعظَمه، وشعب: الفروع.

﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ لا وقاية فيه من حر ذلك اليوم.

---

(١) التفسير المنير جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٢٢٨).

﴿ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا يفيدهم من حر اللهب شيئاً واللهب شعلة النار.

﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ أي النار ترمي ﴿ بِشَرَرٍ﴾ ما تطاير من النار جمع شرارة.

﴿ كَٱلْقَصْرِ﴾ كالبناء الكبير المَشيد في عظمه وارتفاعه.

﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ جمع الجمع لكلمة (جَمَل) ﴿ صُفْرٌ﴾ في الهيئة واللون وقيل: سود، فإن سود الإبل يضرب إلى الصفر وهو تشبيه في العظم والارتفاع واللون.

وفي التفسير المنير:

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ أي يقال للكفار من قبل خزنة جهنم: اركضوا أو سيروا واذهبوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب الأخروي في الدنيا. ثم وصف اللَّه تعالى هذا العذاب بأربع صفات، بقوله:

١ ـ ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ هذا تهكم بهم، معناه سيروا إلى ظل من دخان جهنم متشعب إلى شعب ثلاث أو فرق، فإن لهب النار إذا ارتفع وصعِد معه دخان، صار له ثلاث شعب من شدته وقوته. والمراد أنهم ينتقلون من عذاب إلى آخر، وأن العذاب محيط بهم من كل جانب، كما قال تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وسرادق النار: هو الدخان فتكون تسمية النار بالظل مجازاً من حيث إنها محيطة بهم من كل جانب، كقوله سبحانه: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٥]

٢، ٣ ـ ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ وهذا أيضاً تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين، فذلك الظل لا يمنع حر الشمس، وليس فيه برد ظلال الدنيا، ولا يفيد في رد حر جهنم عنكم شيئاً؛ لأن هذا الظل في جهنم، فلا يظلهم من حرها، ولا يسترهم من لهيبها، كما جاء في آية أخرى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

واللهب: ما يعلو على النار إذا اضطرمت، من أحمر وأصفر وأخضر.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ أي إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق، كل شرارة من شرارها التي ترمي بها كالقصر (البناء العظيم) في العظم والارتفاع، وكالإبل الصفر في اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة.

وقال الفرّاء: الصفر سود الإبل؛ لأنها مُشْرَبة بصفرة، لذلك سمَّت العرب سود الإبل صفراً. والأكثرون على أن المراد بهذه الصفرة سواد يعلوه صفرة. والشرر جمع شرارة: وهو ما تطاير من النار في كل جهة.

والمقصود بالتشبيه الأول: بيانُ أن تلك النار عظيمة جداً، والمقصود بالتشبيه الثاني شدة اشتعالها، والتهكم بهم، كأنه قيل: كنتم تتوقعون من وثنيتكم كرامة ونعمة وجمالاً، إلا أن تلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمال، لذا أعقبه بقوله:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي عذاب وخزي في يوم القيامة الهائل

للمكذبين لرسل اللَّه وآياته، الذين لا مفر لهم من ذلك العذاب[١].

ومما جاء في وصف النار ووصف سمومها ودخانها.

يقول تعالى:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

معاني الكلمات: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ السموم: ريح شديدة الحرارة تدخل المسَام.

والحميم: ماء بَالغٌ غايةَ الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

لما ذكر اللَّه تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال، ثم فسَّر ذلك فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ وهو الهواء الحار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وهو الماء الحار.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس: ظل الدخان، وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسُّدي وغيرهم، وهذه كقوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ولهذا قال ههنا: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ وهو الدخان الأسود﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر.

ومما يدل على عظم حرِّها وشدة وقودها ما قاله رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة.

---

(١) التفسير المنير الجزء ٢٩ السورة ٧٧ المرسلات د. وهبة الزحيلي.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فنفِّسني، فأذن لها في نَفَسين، نفس في الشتاء، ونَفَس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من سَمومها؛ وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها »(١).

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ناركم هذه، التي يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم ». قالوا: واللَّه، إن كانت لكافية، قال: **« إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرّها »**(٢).

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لكل جزء منها مثل حرِّها »(٣).

□ عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« لو أن غرباً من جهنم جعل في وسط الأرض لآذى نتن ريحه وشدة حرّه ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شرارة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرَّها مَنْ في المغرب »(٤).

غرباً: الدلو العظيمة.

تنبيه:

إن اللَّه سبحانه إذا ذكر النار وعظيم شررها وشدة حرها وقوة دخانها، ذلك حتى يتعظ الناس ويعلموا أنهم ملاقو ربهم، وأنهم محاسبون على جميع أعمالهم، وأن الذي لا يكون على الصراط

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الطبراني.

المستقيم ولم يؤمن بالله سبحانه ويعملْ صالحاً، فإن تلك النار وعظيم أمرها كما وصفها الله سبحانه في كتابه ستكون مصيره، وكل ذلك يخوِّف الله به عباده لئلا يكونوا من أصحابها.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ .

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

الصفة السابعة

زيادة حرّ النار في جهنم على الدوام

إن نار جهنم لا تخبو أبداً، فإذا ما خبت قليلاً زادها اللَّه اشتعالاً وسعيراً، فهي في ازدياد لا في تناقص بحيث لا يتمتع أصحاب النار براحة أو قسط من الراحة، وهذا أمر اللَّه سبحانه بحيث لا يفتَّر عنهم العذاب أبداً، يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فهؤلاء الكفرة يسحبون يوم القيامة على وجوههم، تجرهم الزبانية من أرجلهم، كما يفعل في الدنيا بمن يبالَغ في هوانه وتعذيبه، ويحشرون حال كونهم عمياً وبكماً وصماً، يعني فاقدي الإحساس لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون، ثم يرد اللَّه سبحانه إليهم أسماعهم وأبصارهم ونطقهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى اللَّه سبحانه عنهم.. وعن أنس رضي اللَّه عنه قيل: يا رسول اللَّه، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيَهم على وجوههم**» أخرجه الشيخان. وأما قوله تعالى: ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ أي مستقرهم ومقامهم في جهنم كلما سكن لهيبها وخمَدت نارها زدناهم ناراً ملتهبة ووهجاً وجمراً. **وقال في التسهيل**: المراد كلما أكلت لحومَهم النارُ، فسكن

لهيبها بدلوا أجساداً أخرى ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت(١) .

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآيات: ٢١ ـ ٣٠]

فقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ .

أي إن العذاب في ازدياد مستمر لا توقف فيه ولا توقف عنه، بل يذوقون زيادة دائمة منه جزاء وفاقاً بما اقترفت أيديهم، وبما أنكروا يوم الحساب وتكذيبهم آيات اللّه تعالى.

وفي التفسير المنير يقول في قوله تعالى:

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أي يقال لأهل النار لكفرهم وتكذيبهم بالآيات، وقبح أفعالهم: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب الأليم، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه. . قال عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ فهم في مزيد من العذاب أبداً(٢) .

وفي تفسير القرطبي: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أي فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذاباً فوق عذابكم ـ **وقال المفسرون**: ليس في القرآن الكريم على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية، كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشدَّ منه(٣) .

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٧٥٠) في تفسير سورة الإسراء آية ٩٧.

(٢) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٣٠) صفحة (١٩) في تفسير سورة النبأ.

(٣) تفسير القرطبي صفحة (١٩/ ١٨٠).

وفي أحاديث رسول اللّه ﷺ:

□ عن عمرو بن عَبَسة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ:

« صلّ صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وترتفع، فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذٍ يسجد لها الكفار، ثم صلّ فإن الصلاة مشهودة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذٍ تُسَجَّر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ»(١).

□ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال:

« إذا اشتدَّ الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنَّمَ»(٢).

ويوم القيامة تُسَعّر جهنم ويشتد غيظها عندما تستقبل أهلها.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

وسيأتي أنه يخرج منها عنقٌ، على أرض المحشر، يجعل القلوب في الحناجر خوفاً وهلعاً.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الصفة الثامنة

خزنة النار من الملائكة

إن لجهنم خزنةً من الملائكة قائمين عليها ومشرفين عليها وعلى من فيها من الكفرة الفجرة، ومكلفين من اللَّه سبحانه بأعمالٍ شتَّى، لا يعصون اللَّه سبحانه أبداً فيما يأمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

يقول تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧١]

فالآية الكريمة تشير في معناها إلى أن خزنة جهنم من الملائكة عندما تُفتح أبواب جهنم ويهوي الكافرون فيها، يسألونهم تقريعاً وتوبيخاً لهم: ألم يأتكم رسل منكم أي من البشر يتلون عليكم الكتب المنزلة من عند اللَّه سبحانه، ويخوِّفونكم من شر هذا اليوم العصيب وهذا المأوى الدائم من جهنم... فقال الكفرة لهم: بلى قد جاءنا رسل ولكن كذبناهم وخالفناهم.

ويقول تعالى:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ * إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ * قَالُواْ بَلَىٰ

قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٩]

فكلما طرح فوج من الكفرة في النار سألهم خزنتها من الملائكة (الزبانية) ألم يأتكم من رسول ونذير ـ قال المفسرون: وهذا السؤال من ملائكة العذاب للكافرين زيادةٌ لهم في الإيلام، ليزدادوا حسرة فوق حسرتهم وعذاباً فوق عذابهم.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

إن هذه الآية الكريمة تصف زبانية النار وخزنتها وملائكة العذاب وذلك بقوله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾. . . وفي الدنيا نقول عن فلان: إنه غليظ شديد أي لا يعرف قلبه الرحمة، ولا وجهه الابتسامة ولا يقبل عذراً ولا رجاءً ويكون عقابه شديداً، وإذا نظرت إلى وجهه أخافك لغلظته وشدته. . . هذا في الدنيا فما بالك بملائكة العذاب الذين يصفهم ربهم وخالقهم ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ أي: غلاظ القلوب شداد الأجسام؟

فاللَّه سبحانه وحده أعلم بقوتهم وشدتهم وغلظتهم فهو الذي خلقهم، وبما يريد أن يكون فيهم من الصفات التي تزيد في عذاب الكافر والمشرك والمنافق في النار، ولنسمع قول المفسرين في قوله تعالى:

﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي على هذه النار زبانية غلاظ القلوب لا يرحمون أحداً، مكلفون بتعذيب الكفار.

ويقول القرطبي:

المراد بالملائكة الزبانية وهم غلاظ القلوب، لا يرحمون إذا استرحموا، لأنهم خلقوا من الغضب، وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكلُ الطعام والشراب.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

عليها خزنة من الملائكة عِدّتهم تسعةَ عشرَ، غلاظ الخلق والطباع، قساة القلوب أقوياء البدن على الشدائد لا يعصون أمر اللَّه في الماضي، ويفعلون ما يؤمرون به في المستقبل.

ويقول ابن كثير:

أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين باللَّه ﴿شِدَادٌ﴾ أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج، كما روى ابن أبي حاتِم عن عكرمة أنه قال: إذا وصل أول أهل النار إلى النار، وجدوا على الباب أربعمِائة ألف من خزنة جهنم، سودٌ وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع اللَّه من قلوبهم الرحمة، ليس في قلب واحد منهم ذرة من الرحمة، لو طُير طير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر.

وهكذا بقية كتب التفسير، وجميعها متفق على أن خزنة جهنم الذين قال عنهم اللَّه سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ هم ملائكة أشداء أقوياء في أبدانهم واسعون في أحجامهم خلقهم اللَّه سبحانه على هيئة مزعجة ليزداد الكافرون خوفاً وهلعاً وفزعاً فوق ما ينالونه من عذاب النار والخلد فيها. . . قد نزع اللَّه من قلوبهم الرحمة وجعل وجوههم سوداً كالحة، لهم أنياب مفزعة مخيفة حبب إليهم عذاب الكافرين وذلهم وإهانتهم، الذين عصوا اللَّه وكفروا به ولم يؤمنوا به ولم يوحدوه.

ومن الآيات الكريمة التي تحدَّث اللَّه سبحانه فيها عن خزنة جهنم من الملائكة:

يقول اللَّه تعالى:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٢٦ ـ ٣١]

فاللَّه سبحانه يذكر في هذه الآيات الكريمة سقر، والتي من شدة حرّها ونارها لا تبقي ولا تذر، وهي لواحة للبشر، وإن عليها أي من خزنتها تسعة عشر، والآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وقع الخلاف في تفسيرها... فهل المراد تسعة عشر ملكاً أم تسعة عشر ألفاً أو مِليوناً أم صفاً؟ وقد جاء في كثير من التفسيرات والتحليلات أقوال مختلفة.

وقد وردت بعض الأحاديث التي ضعفها الرواة والمحققون كناصر الدين الألباني رحمه اللَّه وغيره.

والمشهور بين السلف والخلف أن الفتنة إنما جاءت من حيث ذكرُ عدد الملائكة الذين اغتر الكفار بقتلهم، وظنوا أنهم يمكن مدافعتُهم وممانعتهم، طالما أن عددهم لا يتجاوز التسعة عشر، كما ورد في الآية الكريمة، ولم يعلموا أن كل واحد من هؤلاء التسعة عشر لا يمكن للبشر كلهم مقاومته، ولهذا قال تعالى بعد آية: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

قال السُدّي: إن رجلاً من قريش يقال له أبو الأشد، قال عندما نزلت الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ...﴾: يا معشر قريش، لا يهولنَّكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة، وبمنكبي الأيسر التسعة الباقية، ثم تمرون إلى الجنة، يقوله مستهزئاً.

فقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال قتادة: ذكر لنا أن أبا جهل حين نزلت هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحداً من خزنة النار وأنتم الدُّهم ـ أي العدد الكثير ـ وصاحبكم هذا أي محمد ﷺ يزعم أنهم تسعة عشر[1]؟

هذا ما قاله بعض الكفرة الفجرة لما نزلت تلك الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وفي الأمر ملاحظتان:

الأولى: لو كان أهل قريش يعقلون لأدركوا تماماً وهم المعاندون أن هذا الكلام كلام اللّه سبحانه، ولو أنهم كما يظنون أن هذا القرآن الكريم من عند محمد ﷺ لزاد في العدد، وقال: إن خزنة جهنم بالملايين ليزيد من خوفهم وفزعهم، ولكن محمداً ﷺ أمين على كتاب اللّه سبحانه لا يبدل فيه ولا يزيد فيه ولا ينقص، مهما كانت الأسباب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[سورة يونس، الآية: ١٥]

وصدق اللّه سبحانه عندما سألهم خزنة جهنم:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

الثانية: إن الكافرين يرجعون في تفسير الآيات الكريمة

---

(١) التخويف من النار صفحة (٢٢٣) لابن رجب الحنبلي.

إلى مستوى عقولهم لذا عجَزوا عن فهم قدرة اللَّه سبحانه.

وصدق اللَّه سبحانه إذ قال فيهم:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٩١]

ذلك أن اللَّه سبحانه يخلق ما يشاء، ويعظم من يشاء، ويضخم من يشاء، فهؤلاء الملائكة التسعة عشر الذين ذكرهم اللَّه سبحانه في الآية الكريمة لا يعلم حقيقة حجم أحدهم إلا اللَّه سبحانه... وكما قال بعض المفسرين وأصحاب الرأي... لو أن البشرية اجتمعت كلها ما قدروا على واحد منهم... وقد ذكر لنا رسول اللَّه ﷺ مثل هذا عندما أذن اللَّه سبحانه له أن يتحدث عن مَلَك واحد من حملة العرش فبيَّن عظيم أمره وقوته وضخامة خلقته.

□ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»(١).

وهذا جبريل عليه السلام قد سَدّ الخافقيْن لما رآه رسول اللَّه ﷺ، وهذا إسرافيل إذا نفخ في الصور صَعِق من في السموات ومن في الأرض، وهذا مالك عليه السلام خازن النار فهل تتصور أن يخفى عليه حركةٌ واحدة من أهل النار، علماً أن مقعد الكافر كما جاء في الحديث الصحيح كما بين مكة والمدينة.

ولأهمية الآيات الكريمة لنسمع من المفسرين تفسيرهم في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

---

(١) رواه أبو داود ورقم الحديث (٤٧٢٧).

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

وروى الحافظ البزار عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمدُ، غُلب أصحابك اليوم، فقال: «**بأي شيء**»؟ قال: سألتهم يهود: هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفغلب قوم يسألون عما لا يعلمون، فقالوا: لا نعلم، حتى نسأل نبينا ﷺ؟ عليّ بأعداء اللَّه، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم اللَّه جهرة**»، فأرسل إليهم فدعاهم، قالوا: يا أبا القاسم كم عِدة خزنة أهل النار؟ قال: «**هكذا**» وطبق كفيه، ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «**إن سئلتم عن تُربة الجنة فهي الدرمك**»، فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**ما تربة الجنة**»؟ فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال: «**الخبز من الدرمك**».

وقال ابن كثير عن قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي خُزَّانها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي زبانية غلاظاً شداداً، وذلك ردّ على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم، فقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي شديدي الخلق لا يقاوَمون ولا يغالبون، وقد قيل: (إن أبا الأشد) قال: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين، وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، قال السُهيلي: وهو الذي دعا رسول اللَّه ﷺ إلى مصارعته، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه

النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختباراً منا للناس، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

ليعلموا أن هذا الرسول حق، فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله[1].

وفي صفوة التفاسير:

يقول في تفسير الآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾:

أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشر ملكاً من الزبانية الأشداء كقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٦]

قال ابن عباس: «**ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمِقْمَعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم**».

وقال الآلوسي:

في تفسير الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

روي عن ابن عباس أنها لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتكم أمهاتكم، أسمعُ ابن أبي كبشة ـ يعني محمداً ـ يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدُّهْم ـ أي العدد ـ

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٥٧١) في تفسير سورة المدثر.

الشجعان، أفيعْجِز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأَشُدّ الجُمحي ـ وكان شديد البطش ـ: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل اللّه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ الشداد، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي لم نجعل ذلك العدد إلا سبباً لفتنة وضلال المشركين، حيث استقلوا بعددهم واستهزؤوا، حتى قال أبو جهل: أفيعجِز كل مِائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار؟ قال الطبري: وإنما جعل اللّه الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين[1].

وقال القرطبي:

في تفسيره الآية الكريمة: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

قال القرطبي: والصحيح إن شاء اللّه أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2].

وفي التفسير المنير: معنى قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي لم نجعل خزنة النار وزبانيتها القائمين بالتعذيب إلا ملائكة غلاظاً شداداً، ولم نجعلهم رجالاً تمكن مغالبتهم، ومن يطيق الملائكة ومن يغلبهم؟ وهم أقوى الخلق

---

(١) تفسير الآلوسي (٢٩/ ١٢٦).

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٨٠.

وأشدهم بأساً وأعظمهم بطشاً، وأقومهم بحق اللَّه والغضب له تعالى.

وهذا ردّ على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل كما تقدم: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبوهم؟ فقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي شديدي الخلق، لا يقاومون ولا يغالبون.

ثم أبان اللَّه تعالى حكمة اختيار عدد الخزنة، فقال:

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر، اختباراً منا للناس، وسبب محنة وإضلال للكافرين، حتى قالوا ما قالوا، ليتضاعف عذابهم، ويكثر غضب اللَّه عليهم. فقوله: ﴿فِتْنَةً﴾ معناه سبب فتنة، أي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سبباً لفتنة الكفار، وفتنتهم: هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطمع في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها[١].

ولقد جاء في كتاب اللَّه تعالى تسمية الخزنة بخزنة جهنم ببيان واضح.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٩]

وسيأتي بيان هذه الآية الكريمة عندما نتحدث عن عذاب أهل النار إن شاء اللَّه تعالى.

---

(١) التفسير المنير جزء (٢٩) د. وهبة الزحيلي.

الصفة التاسعة

ظلمة النار وشدة سوادها وسواد وجوه أهلها

يقول تعالى:

﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ .

[سورة التكوير، الآية: ١٢]

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرّت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهي سوداء كالليل المظلم**»[١] .

وما يقابل سواد جهنم وسواد وجوه أهلها من الكافرين والمشركين والمنافقين النورُ التام للمؤمنين في الجنة.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ١٢]

وهذا غير بياض وجوههم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ فكل ما حول المؤمنين نور، حيث يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وما يقابله السواد في جهنم لهؤلاء المجرمين الكفرة في وجوههم وما حولهم والله أعلم.

الصفة العاشرة

تغيظ النار وزفيرها وشهيقها

قلتُ في فِقرات سابقةٍ: إن نار جهنم لتعجز الأقلام عن وصف ما هي عليه من القوة واللهيب والشرار والحر . . . ومما يزيد عن هذه الأوصاف أن جعل اللَّه سبحانه لها زفيراً وتغيظاً وشهيقاً، وهي تفور في كل مكان ومن كل مكان، وتتميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج من الكفرة والمشركين والمنافقين.

ويقول تعالى:

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ١١، ١٢]

فقد كذب المشركون والكافرون بالساعة والقيامة، ولقد هيَّأ اللَّه سبحانه لمن كذب بالآخرة ناراً شديدة الاستعار.

فإذا رأت جهنم هؤلاء المشركين (واللَّه سبحانه جعل لهذه النار قدرة على الرؤية وتمييز الكافرين من المؤمنين) من مسافة بعيدة وهي خمسمِائة عام كما قال الصابوني والطبري وغيرهم في تفاسيرهم، ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي سمعوا صوت لهيبها وغضبها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها صوتاً كصوت الحمار المنكر وهو الزفير، مع مضاعفة الصوت حتى يصبح عظيماً مخيفاً مفزعاً وهم يسمعونه من بعد خمسمِائة عام.

وقال ابن عباس:

إن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف... وهذا ما قاله ابن كثير في المختصر للصابوني.

ويقول: وتقييد الرؤية بالبعد ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه مزيد تهويل لأمرها.

ويقول تعالى:

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٨]

لقد أعدَّ اللَّه سبحانه للذين كفروا بربهم عذاب جهنم، الذي لا يعلم حقيقة شدته وآلامه إلا اللَّه سبحانه، وبئس مصير هؤلاء الكفرة الفجرة من الشياطين والإنس النار لهم فيها دار الخلد.

وهذا وصف من اللَّه سبحانه لجهنم وما فيها من العذاب والأهوال، فقال: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ أي إذا قذفوا وطرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة، وفي هذا غاية الذل والمهانة فإنهم يلقون فيها جماعاتٍ جماعات وأمماً أمماً.

... فإذا ما ألقوا زفرت النار وشهقت لمقدمهم وفارت فوران الغضب لشدة توقدها وغليانها وحنقها على كل جبار متكبر لم يؤمن باللَّه وبيوم الحساب. وقال المفسرون في معنى ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: أي وهي تغلي بهم كما يغلي المِرجل (القدر) من شدة اللهب.

وقال مجاهد:

أي وهي تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير،

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ﴾ : أي تكاد جهنم تنقطع وينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها وحنقها على أعداء اللَّه سبحانه.

... وزيادة في إيلام الكافرين يسألهم خزنة جهنم وهم خزنة النار الموكلون بأهل النار وعذابهم ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ فهم لا يأتون جهنم فرداً فرداً كما يكون من حال المؤمنين عند دخولهم جنات اللَّه سبحانه، وتستقبلهم الملائكة عند أبوابها فكل واحد من المؤمنين ومن أهل الجنة له كرامته وعزه وجاهه، أما هؤلاء فلا كرامة لهم ولا عز ولا جاه، لذلك يلقون إلقاء ويرمون فيتساقطون أمماً أمماً، سيدهم وعبدهم وغنيهم وفقيرهم فهم سواء، فيا له من ذل دائم لا يفارقهم أبد الآبدين.

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ : أي سألهم الملائكة الموكلون على جهنم وهم الزبانية ـ سؤال توبيخ وتقريع أي ألم يأتكم رسل ينذرونكم لقاء يومكم هذا ويخوفونكم من هذا اليوم الرهيب؟

وعن الضحاك قال:

إن لجهنم زفرةً يوم القيامة، لا يبقى ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل، إلا خرّ ساجداً يقول: رب نفسي نفسي أي يطلب النجاة لنفسه وينسى غيره من أهل وولد!!!

وعن عبيد بن عمير قال:

تزفر النار زفرة لا يبقى ملك، ولا نبي إلا وقع لركبتيه، تُرعَد فرائصه، يقول: رب نفسي نفسي!!

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢]

في الآية الكريمة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي إن للنار حسيساً يسمع وهو صوتها وزفيرها وتغيظها وشهيقها الذي يجعل القلوب في الحناجر هلعاً وخوفاً ورهبة... هذه الأصوات المفزعة لجهنم وحنقها وتغيظها يمنعها اللَّه سبحانه من الوصول إلى سمع المؤمنين الذين سعدوا في الدار الآخرة وفي جنات اللَّه سبحانه، ذلك أن سماع أصوات جهنم لون من العذاب، بل هو من أشد ألوان العذاب، واللَّه سبحانه لا يرضى أن يتأذى المؤمنون الذين أعَدَّ لهم جناته ودار نعيمه بأي أذى مهما صغر شأنه.

... وخرّج أبو نُعيم وغيره من رواية عبد الرحمن بن حاطب، قال: قال عمر رضي اللَّه عنه لكعب الأحبار: خوّفنا ـ بمعنى عظنا ـ قال: والذي نفسي بيده، إن النار لتقرَّب يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا دنت وقربت، زفرت زفرة ما خلق اللَّه من نبي ولا شهيد، إلا وجب (أي سقط) لركبتيه ساقطاً، حتى يقول كل نبي، وكل صديق، وكل شهيد: اللهم لا أسألك اليوم إلا نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً، لظننت أن لا تنجوَ.

قال عمر: واللَّه إن الأمر لشديد[١].

---

(١) كتاب التخويف من النار صفحة (١١١) لابن رجب الحنبلي.

الصفة الحادية عشرة

أودية جهنم

ذكر بعض المفسرين أن (ويل) الواردة في الآيات القرآنية الكريمة تعني وادياً في جهنم يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً، وفي روايات أخرى سبعين خريفاً.

... ولكن المفسرين فسَّروا كلمة (ويل) الواردة في الآيات الكريمة: إنه تهديد ووعيد.

يقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٧]

والمعنى: أيْ ويل لهم من المشهد الهائل ومن شهود هول الحساب والجزاء.

ويقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة الذاريات، الآية: ٦٠]

والمعنى: أيْ هلاك ودمار وشدة وعذاب لهؤلاء الكفار في يوم القيامة الذي وعدهم اللّه به.

ويقول تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

[سورة الطور، الآية: ١١]

والمعنى: أي هلاك ودمار وشدة عذاب للمكذبين أرسله اللَّه في ذلك اليوم الرهيب[١].

وفي تفسير هذه الآية **لابن كثير** يقول: أي ويل ذلك اليوم من عذاب اللَّه ونكاله.

ويقول أيضاً ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٢]

أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم.

ويقول كذلك أيضاً في تفسير قوله تعالى:

﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢]

... فلا تشير تفسيرات هذه الآيات الكريمة أن كلمة (ويل) الواردة في كثير من هذه الآيات الكريمة تعني وادياً ـ ولكن هذا لا ينافي أن يكون واد في جهنم اسمه ويل.

نستنبط ذلك من حديث رسول اللَّه ﷺ.

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**»[٢]. ولفظه عند الترمذي: «**ويل واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره**»[٣].

□ وروى ابن أبي حاتم عن طريق الحماني، حدّثنا خلف بن

---

(١) صفوة التفاسير تفسير سورة الطور صفحة (١٤٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الترمذي في سننه.

خليفة، عن العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن أبي عبيدة، عن عبد اللَّه، قال: «**ويل واد في جهنم من قيح**»[١].

□ ومن طريق المحاربي عن العلاء بن المسيب عن أبيه وعاصم ابن أبي النَّجود قالا: «**واد في جهنم يقال له: ويل ينصَبُّ فيه صديد أهل النار**»[٢].

□ ومن طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، قال: «**الويل واد في جهنم لو سيرت الجبال فيه لماعت من حرِّه**»[٣].

□ وعن مالك بن دينار قال: «**الويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب**»[٤].

□ وخرج ابن جرير في تفسيره بإسناده عن أبي عياض قال: «**ويل صهريج في أصل جهنم (واد) يسيل فيه صديد أهل النار، وعن سفيان نحوه**»[٥].

وهذه الأحاديث والأقوال والآراء في مجملها تشير إلى أن هناك أوديةً في جهنم فيها من صنوف العذاب ما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه واللَّه أعلم.

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة (١١٧، ١١٨).

الصفة الثانية عشرة

جبال جهنَّم

هل يوجد جبال في جهنم؟ يصعد عليها الكافرون والمشركون والمنافقون هرباً من قعر جهنم وأهواله وعذابه.

الكفرة الفجرة في نار جهنم لهم صنوف من العذاب وأنواع، تحدثنا عن بعضها، ولكن حقيقة أمرها لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه خالق الجنة وخالق النار، ومهما تحدثنا وحلَّلنا وفسرنا ما بين أيدينا من نصوص يبقى في النهاية القول السائد: «**ليس الخبر كالمعاينة**»[١]، فالبلاء الأعظم والشقاء الأكبر والهم الدائم يكون عند معاينة الكفار نار جهنم ورؤيتها بأعينهم، والذين هم في غطاء عنها في حياتهم الدنيا.

. . . فالكفار عندما يدخلون النار ويلْقَون فيها من العذاب ما لا يطاق، يستغيثون ويصرُخون ويبكون ويستجيرون بخزنة جهنم، علَّ اللَّه سبحانه يرحمهم ويخرجهم منها، وكُلّما استغاثوا جاءهم التأنيب من خزنة جهنم على كفرهم باللَّه ومعاصيهم. . ثم يسألون خزنة جهنم أن يرحموهم وأن يخففوا عنهم يوماً من العذاب.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٩]

---

(١) حديث شريف رواه أحمد والحاكم والطبراني في الأوسط.

.. وفي بعض الروايات: إن المَلك من خزنة جهنم يقول للكافر عند استغاثته وطلب الرحمة: «**كيف أرحمك ولم يرحمْك أرحم الراحمين**». وعندما يطول بهم الأمد أحقاباً طويلة وهم في حالة الاستغاثة والاستنجاد وطلب الرحمة، ولا من مجيب ولا شفيع ولا سميع، يأتيهم الجواب النهائي من مالك خازن النار..

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وعندما يقطع الكفار أي أمل في نجاة أو قبول استنجاد أو استغاثة يكون الجواب النهائي، كما قال تعالى: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨]

يحاولون الخروج منها بالصعود إلى أعلى، علّهم ينجون من الغم والهم الذي أصيبوا به وباليأس المطلق من أي أمل من نجاة.

يقول تعالى:

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

فهم في صعودهم ينالون من الإرهاق والعذاب الشيء الكثير.

يقول تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾.

[سورة المدثر، الآيتان: ١٦، ١٧]

ولا بد من الوقوف عند الآية الكريمة ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ لنتبيَّن معناها الحقيقي وما قاله المفسرون، وكذلك الحديث عن هذه الآية الكريمة في الأحاديث الشريفة.

□ **يقول ابن كثير في تفسيره:** حول قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾.

روى ابن أبي حاتم ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ قال: «**هو جبل في النار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت**»[١]. **وقال ابن عباس:** ﴿صَعُودًا﴾ صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه. **وقال السدي:** ﴿صَعُودًا﴾ صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها. **وقال مجاهد:** ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ أي مشقة من العذاب. **وقال قتادة:** عذاباً لا راحة فيه، واختاره ابن جرير[٢].

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ (سأكلفه وأحمِّله عذاباً شاقاً صعباً)[٣].

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: عن قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾: أي سأكلفه وألجئه إلى عذاب صعب شاق لا يطاق، تضعف عنه قوته كما تضعف قوة من يصعد في الجبل[٤].

ويقول القرطبي في تفسيره: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ ﴿صَعُودًا﴾ صخرة ملساء يكلف صعودها فإذا صار في أعلاها حدر في جهنم فيهوي ألف عام قبل أن يبلغ قرارها[٥]. وفي الحديث: «**الصَّعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً**»[٦].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبزار وابن جرير.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة (٥٦٩).

(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة (٥٧٦).

(٤) صفوة التفاسير صفحة (١٦٠٤).

(٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٧٢).

(٦) رواه الترمذي والحاكم وصححه.

وفي تفسير السيوطي: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب أو جبلاً من نار يصعد فيه ثم يهوي فيه أبداً[١].

من هذه التفسيرات نتبيّن أن من المفسرين من قال: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ أي عذاباً ومشقة، ومنهم من قال إن: ﴿صَعُودًا﴾ جبل من نار يصعد عليه ثم يهوي مرة أخرى.. ومعنى هذا أنه لا يتنافى في الحديث وجودُ الجبال في نار جهنم يعذب عليها الكفرة الفجرة في الصعود والهبوط ـ ومما يؤيد وجود الجبال في جهنم الآية الكريمة: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

□ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ **«جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، وإذا رفعها عادت، وإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي مثلها كذلك»**[٢].

وروي عن ابن السائب قال: ﴿صَعُودًا﴾ هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها، حتى إذا بلغ أعلاها رد إلى أسفلها، ثم يكلف أيضاً أن يصعدها فذلك دأبه أبداً، ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد، ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في أربعين سنة[٣].

---

(١) تفسير السيوطي صفحة (٥٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ورواه غيره بمعناه.

(٣) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١١٩).

الصفة الثالثة عشرة

بقدرة اللَّه سبحانه النار تتكلم يوم القيامة وتبصر

كل شيء مخلوق من قِبَلِ اللَّه سبحانه، وما يخلقه سبحانه فإنه يخلقه كما يشاء إنه سبحانه يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء ولا يعجزه شيء في خلقه.

فالدنيا لها قوانين مخلوقة تسيِّرها كما يشاء اللَّه سبحانه، وفي الآخرة تتغير الأحوال وتتغير تلك القوانين فتكون كما يشاء اللَّه لها أن تكون، وعندما نزلت الآية القرآنية الكريمة..

يقول تعالى:

﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

فسأل الصحابة رسول اللَّه ﷺ كيف يمشون على وجوههم يا رسول اللَّه؟ فقال: «**إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيَهم على وجوههم**» فكل شيء يوم القيامة سوف يتغير حتى الخلق فسينشأ نشأة أخرى غير ما كان عليه في الدنيا كما تقدم.

وكل شيء يأتمر بأمر اللَّه ويفعل اللَّه ما يشاء.. ألم يقل اللَّه سبحانه للنار التي أرادوا أن يحرقوا بها سيدنا إبراهيم عليه السلام:

كوني برداً وسلاماً فكانت؟ مع أن للنار قانوناً تعمل به وهو الإحراق، لكن كل شيء خلقه اللَّه فهو مطيع للَّه في أمره وفيما يريد.

يقول تعالى:

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .

[سورة الأنبياء، الآية: ٦٩]

وهكذا فإن اللَّه سبحانه وبقدرته يجعل النار يوم القيامة ترى وتبصر وتتكلم، ويجعل اللَّهُ سبحانه لها عينيْن وأُذنين تبصران وتسمعان، فالذي جعلنا نتكلم ونسمع ونرى، وجعل لكل واحد منا لساناً وعينين وأذنين، فنذكر اللَّه سبحانه بما أعطانا من نطق، ونسبِّح اللَّه بما تراه أعيننا من قدرة اللَّه وجمال صنعه، كذلك جعل الجماد الذي لا نرى له لساناً ولا عينين ولا أذنين يسبِّح بأمر اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وهكذا يجعل اللَّه سبحانه للنار أدواتِ حس وسمع ورؤية وكلام، يقول تعالى عن رؤية النار:

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٢]

ويقول تعالى عن حس النار وإدراكها:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ .

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول رسول اللَّه ﷺ عن النار: إن لها عينين وأذنين ولساناً.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يخرج يوم القيامة عنق من النار، له عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكّلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل مَن دعا مع اللَّه إلٰهاً آخر، وبالمصوِّرين»[١].

□ روى ابنُ جَرير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه قال: **«إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وينقبض بعضها إلى بعض، فيقول الرحمن: ما بك؟ فتقول: إنه يستجير مني، فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب ما كان هذا ظني بك، فيقول اللَّه: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدي. وإن الرجل ليجر إلى النار، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، تزفر زفرة أخرى لا تبقي أحداً إلا أخافته»**[٢].

ومما يدل على كلام النار ما أورده ابن رجب الحنبلي في كتابه (التخويف من النار):

□ روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، فذكر قصة الإسراء والمعراج بطولها وفيها قال: ثم أتى على وادٍ يعني النبي ﷺ فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة، فقال: **«ما هذا يا جبريل»**؟ فقال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني ما وعدتني، فَقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي، وقد بعُد قعري، واشتد حرِّي فَأتني ما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة، وكل

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب جامع الأصول (١٠/ ٥١٨).

(٢) ساق ابن كثير هذا الحديث في النهاية (٢/ ٢١) وقال: «إسناده صحيح».

كافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

□ ومما يدلُّ على كلام النار أنها تشتكي إلى ربها.

□ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»[١].

(١) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (١٠٠١).

الصفة الرابعة عشرة

مالك خازن النار واستغاثة أهل النار به

تحدَّثنا في فِقرة سابقة عن خزنة النار بشيء من التفصيل ولم نتحدث عن مالك خازن النار..

... فقد ذكر اللّه سبحانه في الآيات من سورة الزخرف (مالكاً) باسمه الصريح وفي مواضعَ أخرى ذكر اللّه سبحانه خزنة النار دون ذكر أسمائهم..

فمالك هو خازن النار وهو رئيس الخزنة، وإن لم يأت ذلك بصريح العبارة.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيات: ٧٤ ـ ٧٨]

وفي التفسير: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ أي إن الكافرين الراسخين في الإجرام في العذاب الشديد في جهنم دائمون فيها أبداً، **وقال الصاوي**: والمراد بالمجرمين الكفار لأنهم ذكروا في مقابلة المؤمنين ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي لا يخفف عنهم العذاب لحظة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي وهم في ذلك العذاب يائسون من كل خير ﴿وَمَا

ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي وما ظلمناهم بعقابنا لهم، ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي ونادى الكفار مالكاً خازن النار قائلين: ليمتنا اللَّه حتى نستريح من هذا العذاب. **قال ابن كثير**: أي ليقبض أرواحنا فيريحَنا مما نحن فيه. **قال ابن عباس**: فلم يجبهم إلا بعد ألف سنة(١).

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي أجابهم إنكم مقيمون في العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت ولا غيره ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ خطاب توبيخ وتقريع، أي لقد جئناكم أيها الكفار بالحق الساطع المبين، ولكنكم كنتم كارهين لدين اللَّه مشمئزين منه، لكونه مخالفاً لأهوائكم وشهواتكم، **وقال الرازي**: هذا كالعلة لما ذكر والمراد نفرتهم عن محمد ﷺ وعن القرآن الكريم وشدة بغضهم لقبول الدين الحق(٢).

قال ابن كثير في التفسير: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ أي ساعة واحدة ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي آيسون من كل خير ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد، ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

---

(١) حاشية الصاوي ٤/ ٥٤.
(٢) التفسير الكبير ٢٧/ ٢٢٧.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

[سورة الأعلى، الآية: ١٣]

فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك:

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ **قال ابن عباس**: مكث ألف سنة، ثم قال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له.

الفصل الثالث

شقاء أهل النـار

- ـ مدخل .
- ـ أول من تسعّر بهم النار .
- ـ عِظَمُ خلق أهل النار في النار .
- ـ قبح صور الكافرين في النار وسواد وجوههم .
- ـ هل تعظم أجساد عصاة الموحدين في النار .
- ـ سلاسل وأغلال وأنكال أهل النار .
- ـ مقامع حديد أهل النار .
- ـ طعام أهل النار .
- ـ شراب أهل النار .
- ـ كسوة أهل النار ولباسهم .
- ـ مهاد جهنم وفراشها وظللها .

شقاء أهل النار

شقاء أهل النار

مَدخل:

إن (شقاء أهل النار) يقابله إذا أردنا أن نتحدث عن الجنة (نعيمُ أهل الجنة)، وشتان ما بين المقابلتين ويا بُعد ما بين الأمرين، ولقد تكلمنا في الفصل الأول عن صفات النار، وفي هذا الفصل نتكلم عن شقاء أهل النار بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ.. فليس من قلم يستطيع أن يعبّر التعبير الحق عن شقاء أهل النار وما يعانونه من عذاب وذل وهوان، وأعظم الشقاء هذه الكلمة التي توعدهم اللّه سبحانه بها وهي (الخلود) ومعناها والتي لا يمكن أن تتحمله النفوس والعقول والأجساد.. لأن كل ما في النار ينصب في النهاية حول معاني الخلود الأبدي في النار. وهذه هي الطَّامة الكبرى التي يعيش في ظلها أهل النار.. إذ لا شفيع لهم، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، بل تنقطع كل السبل التي من الممكن أن يتحدثوا فيها.. لأن الاستنجاد والاستغاثة والويل والثبور والصراخ والبكاء كلها تنقطع في النهاية، لأنهم يدورون حولها دهوراً، لعل أحداً يسمعهم أو ينجدهم أو يشفع لهم.. والآيات كثيرة في هذا الصدد ستأتي في حينها.

... ولكن ما يجب أن نعلمه حق العلم ونُدركَه حق الإدراك أنَّه سبحانه ليس عاجزاً أن ينتقم من الكافرين والمجرمين في الدنيا على ما يقترفونه من كفر وشرك وعصيان وظلم.. ولكنها الكلمة التي حقت من ربك أنه الصبور الذي يصبر على عباده في الدنيا ويؤخرهم

إلى يوم القيامة، ولولا هذا العهد وهذه الكلمة التي سبقت من ربك لقضي بين الناس في الدنيا قبل الآخرة.

يقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١٤]

ويقول تعالى:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ٢١]

كذلك بيّن اللَّه سبحانه لنا أنه لو شاء لأنزل آية من السماء على أولئك الكفرة الفجرة والمشركين والمنافقين والعصاة فظلت أعناقهم لها خاضعة.. خاضعة للَّه سبحانه طائعة وعابدة ومستجيبة... ولكن إرادة اللَّه سبحانه قضت أن يؤجل الناس إلى يوم القيامة.. وهو الذي يعلم ماذا في يوم القيامة، وهو الذي يعلم أن الكونَ كونُه، والملك ملكه لا يعجزه أحدٌ في هرب أو خروج، فلا ملجأ منه إلا إليه.. ولا يخاف فوت الزمن فالزمن بيده.

لذلك تنوعت الآيات القرآنية الكريمة.. حتى لا يظن أحد من المؤمنين أن اللَّه غافل عن هؤلاء الكفرة المشركين، أو غافل عن أعمالهم وجرائمهم، بل جعل لهم موعداً لن يجدوا من دونه موئلاً.

يقول تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٢، ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٥٨]

بل ترك الله المشيئة لهؤلاء الكفرة في الدنيا.

يقول تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

ومن هذه المشيئة التي أعطاها للكافرين في الدنيا أو عُموم البشر، يبيِّن اللَّه سبحانه ويعقد لهم سبحانه المقارنة بين الأمن والخوف وبين الجنة والنار.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

وهؤلاء الكفرة يعنّفهم اللَّه سبحانه عند العرض عليه أشد تعنيف، حيث استمتعوا بطيباتهم في حياتهم الدنيا وفضّلوها على الآخرة، رغم ما جاءهم من بيِّنات من اللَّه سبحانه وإنذارٍ من رسله ووعيد في كتبه.

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

أوَّل من تسعّر بهم النَّار

إن من أشدِّ ما يغضب اللَّه سبحانه أعمالَ المرائين والمنافقين، الذين كانوا يبتغون في أعمالهم الدنيا ومنافعها، ويتظاهرون أنها لوجه اللَّه سبحانه خالصة، أولئك يكشفهم اللَّه سبحانه يوم القيامة ويعرفهم بأعمالهم ويشهد على كذبهم ويأمر بهم إلى النار، وهؤلاء أول من تسعّر بهم النار.

ـ عن شُفَي بن ماتع الأصبحي رحمه اللَّه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه، وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أسألك بحق وحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقَلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة، فمكث قليلاً، ثم أفاق، فقال: لأحدثنَّك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، وقال: أفعل لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول اللَّه ﷺ، أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نِشْغة شديدة، ثم مال خارًّا على وجهه، فأسند طويلاً، ثم أفاق، فقال: حدّثني رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل اللَّه، ورجل كثير المال، فيقول اللَّه للقارئ: ألم أعلّمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار،**

فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بصاحب المال، فيقول اللَّه: ألم أوسِّع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقيل ذلك.

ثم يؤتىٰ بالذي قتل في سبيل اللَّه، فيقول اللَّه: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول اللَّه له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول اللَّه: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تسعّر بهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان المدائني: فأخبرني عقبة بن مسلم: أن شفياً هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا.

قال أبو عثمان: وحدَّثني العلاء بن أبي حكيم: أنه كان سيَّافاً لمعاوية، فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء هكذا، فكيف بمن بقي من الناس، ثم بكى معاوية بكاء شديداً، حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق اللَّه إذ يقول:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

[سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦]

(١) رواه الترمذي في صحيحه.

ـ عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة، فقال له ناقل أخو أهل الشام: أيها الشيخ حدّثني حديثاً سمعته من رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: نعم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به، فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، فقال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به، فسُحِب على وجهه، حتى ألقي في النار... ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه، حتى ألقي في النار.. ورجل وسَّع اللَّه عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرَّفه بنعمه، فعرَّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحِب على وجهه ثم ألقي في النار»(١).

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥) ورواه النسائي.

عِظَمُ خَلْق
أهل النار في النار

.. نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد بيّن ذلك رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **ناركم هذه، التي يوقد بنو آدم، جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم** »، قالوا: واللَّه إنْ كانت لكافيةً، قال: « **إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرِّها** »[1].

... ولعظمة النار وشدة حرِّها تُعَظَّمُ وتضخم أجساد الكافرين والمشركين في النار تعظيماً وتضخيماً كبيراً، حتى تتناسب تلك الأجساد مع عظيم تلك النار التي ذكرنا عن حرِّها وشدة اشتعالها وهولها الكثير في الفصل الأول.

يقول تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

ولقد تحدث رسول اللَّه ﷺ عن عظم خلق الكافرين في جهنم في كثير من الأحاديث الشريفة.

ـ يروي لنا أبو هريرة رضي اللَّه عنه عن عظم خلق الكافرين في جهنم كثيراً من الأحاديث الشريفة.

(١) رواه البخاري ومسلم.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»[١].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»[٢].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، مقعده في النار ما بيني وبين الرَّبَذة»[٣].

البيضاء: اسم جبل ـ ورقان: جبل علىٰ يمين المار من المدينة إلى مكة ـ الرَّبَذة: قرية قرب المدينة المنورة.

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة»[٤].

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع»[٥].

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:
«ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربَذة، وبطنه مثل بطن إضم»[٦].

إضم: اسم جبل.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٨٩)، وكذلك رواه الترمذي والحاكم وابن حبان والإمام أحمد.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون (٤/ ٢١٩٠).
(٣) رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرَك، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٩٤).
(٤) رواه الترمذي ـ مشكاة المصابيح (٣/ ١٠٣) وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) رواه البخاري. (٦) رواه الحاكم.

عن المقدام رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من كان من أهل النار عُظِّموا وفُخِّموا كالجبل»**(١).

عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن الكافر ليعظم، حتى إن ضرسه لأعظم من أحد، وفضيلة جسده على ضرسِه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه»(٢).

ولهذا تحدَّث اللّه سبحانه عن النشأة الآخرة للإنسان وأنها ستكون مغايرة لما عهدوا أنفسهم عليه في الدنيا.

يقول تعالى:

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

ويقول الصابوني في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين:

أي لسنا بعاجزين أيضاً أن نعيدكم يوم القيامة في خِلقة لا تعلمونها ولا تصل إليها عقولكم، وأما ابن كثير فيقول في قوله: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي من الصفات والأحوال المغايرة وأحوال ما كنتم عليه في الدنيا. وكثيرة هي الأحاديث الشريفة التي تدل على عظم خلق الكافر في نار جهنم يوم القيامة، ذلك أن اللّه سبحانه جعل وقود النار الناس من الكفرة والحجارة، وحتى يكونوا وقودها في نار جهنم ضخَّم اللّه سبحانه أجسادهم تضخيماً كبيراً حتى يبلغ هذا المبلغ، كضرسه الذي يكون كجبل أحد، وما بين منكبي جسده ثلاثة أيام، ومقعده من النار كما بين مكة والمدينة.. فأي شكل لهؤلاء الكفرة في جهنم وأي قبح هم فيه؟ فوجوههم كالحة سوداء من الغضب الذي يحل عليهم من رب العالمين.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه ابن ماجه.

قبح صور الكافرين في النار وسواد وجوههم

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٢٧]

أي والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا اللّه وكفروا فسيجزون على السيئة بمثلها لا يزدادون على ذلك، فالحسنات مضاعفة بفضل اللّه، والسيئات جزاؤها بالمثل عدلاً من اللّه تعالى[١]، ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أي تغشاهم ذلة وهوان ﴿ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي ليس لهم أحد يعصمهم أو يمنعهم من سخط اللّه تعالى وعقابه ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ أي كأنما ألبست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعاً من سواد الليل ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أي لا يخرجون منها أبداً.

---

(١) القرطبي ٨/ ٣٣٣.

وقد بيّن اللَّه سبحانه سوء حال أهل النار حين تلفح وجوههم النار فتجعلها كالحةً وهم يعيشون فيها الأبد.

يقول تعالى:

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠٤]

وقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة حديث شريف..

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ قال: «**تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته**»(١).

وقد روي عن ابن مسعود أنه قال في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ قال: ككلوح الرأس النضيج ـ وعنه ككلوح الرأس المشيط بالنار وقد بدت أسنانهم، وتقلصت شفاههم.

وخرّج الخلّال في كتاب السنّة من حديث الحكم بن الأعرج، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «**يعظم الرجل في النار، حتى يكون جسده سبع ليال، ضرسه مثل أحد، شفاههم على صدورهم مقبوحين، يتهافتون في النار**»(٢).

ويقول الصابوني في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ أي وهم في جهنم عابسون مشوهو المنظر، قال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار، وفي الحديث:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي في السنن والحاكم في المستدرك وقالا: صحيح.

(٢) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي صفحة (١٧٢).

« تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته» .

[رواه الترمذي وقال: حسن غريب]

وقد جاء في تفسير ابن كثير نفس المعنى قال: ﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ .

قال ابن عباس: يعني عابسون، وقال ابن مسعود: كالرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

هل تعظم أجساد عصاة الموحدين في النار؟؟

لقد ورد في السنة النبوية الشريفة أن أجساد عصاة الموحدين أيضاً تعظم في النار ذلك أن من العصاة الموحدين من أتى اللَّه سبحانه بمعاص غزيرة وكبائر كثيرة، ومنهم من أتى اللَّه سبحانه بظلم وبغي وعقوق للوالدين وارتكاب لأكثر الكبائر.

عن حارث بن قيس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **إن من أمتي من يعظم للنار، حتى يكون أحد زواياها**»[١].

وخرّج الطبراني من حديث أبي غنم الكلاعي، عن أبي غسان الضبي، قال: قال لي أبو هريرة ـ بظهر الحيرة ـ تعرف عبد اللَّه بن خدّاش ـ فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **فخذه في جهنم مثل أحد، لعلها ضرسه مثل البيضاء، قلت: لِمَ ذلك يا رسول اللَّه؟! قال: كان عاقاً لوالديه**»[٢].

وهذا الحديث تؤكده الأحاديث الشريفة التي تكلمت بخصوص عقوق الوالدين وما يناله العاق من غضب اللَّه سبحانه يوم القيامة، وما يناله مما توعده اللَّه سبحانه من العذاب الأليم.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة**

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم في المستدرك.
(٢) رواه الطبراني.

بالرجال، والدَّيوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»[١].

. . . صحيح أن عصاة أهلِ التوحيد وأهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه يخرجون من النار بشفاعة رسول اللَّه ﷺ والمؤمنين وبرحمة اللَّه سبحانه، إلا أنهم يلقون ما يستحقون من العذاب في النار جزاء ما ارتكبوا وما اقترفته أيديهم من الآثام والفواحش وعدم الطاعة والعبادة.

وكم من أهل التوحيد العصاة الذين يأتون اللَّه سبحانه يوم القيامة من غير صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج غير ما ارتكبوا من الآثام، فهؤلاء ينالون حظهم من النار وتعظم أجسادهم فيها كما ورد في الحديث الشريف، ولا ينفعهم في النهاية إلا أنهم من أهل شهادة أن لا إلٰه إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، فيخرجون من النار كما تقدم بالشفاعة وبرحمة أرحم الراحمين. . وقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: **«اعمل في الدنيا على قدر تحملك للنار في الآخرة»**. وهذا أيضاً دليل على أن العصاة من أهل التوحيد ينالون جزاءهم في النار يوم القيامة واللَّه أعلم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي والحاكم في المستدرك صحيح الجامع الصغير.

سلاسل وأغلال وأنكال أهل النار

يا لهول ما أعدَّ اللَّه سبحانه لأهل النار من صنوف العذاب والذي لا تنتهي فصوله أبد الآبدين.

وكلما تحدثنا عن نوع من أنواع شقاء أهل النار في النار، وعن صنف من صنوف العذاب نجده أشقَّ من سابقه، وهو كله شاق مؤلم مهين.. ولقد كررتُ في أكثر من مرة أن القلم فعلاً ليعجز عن وصف أمور كثيرة من أمور النار وأهوالها وعذابها، وأمور فيها من ذل وهوان، لأن الأمر يفوق مستوى العقول الدنيوية وقدراتنا الفكرية وحتى تخيلاتنا.. فالكافرون والمشركون والمنافقون يدركون من قبل أن يدخلوا النار عظيمَ ما أُعدّ لهم من العذاب، لذلك يتمنون وهم في حالة مزرية ومِن قبل أن يدخلوا النار عظيم ما أُعدّ لهم من العذاب، لذلك يتمنون وهم في حالة الحساب والعرض على اللَّه سبحانه كما قدَّمت في الجزء السابع من الموسوعة أن تُسوّى بهم الأرض خوفاً من النار، ولأن جرائمهم وظلمهم ليست بخافية على اللَّه سبحانه، وهو القائل في محكم كتابه:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾. [سورة الحاقة، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٤٠]

فإنه يتمنى الفناء الأبدي عن أن يقف بين يدي اللَّه من كثرة جرائمه وشدة كفره وشركه باللَّه سبحانه.. فتصوَّر أنه يتمنى الفناء الأبدي وأن يكون مثل تراب الأرض.. بينما المؤمن يدخل في النعيم الذي أعدَّه اللَّه سبحانه له في جنات اللَّه الخالدات، وهذا فرق عظيم لو يدركه الكافرون قبل موتهم، أو لو يعلمون ما أُعدَّ لهم من عذاب خالد، ولكنهم في دنياهم يعيشون في الضلال، منكرين البعث والعودة إلى اللَّه، ويصمُّون آذانهم عن السمع والنصيحة والإنذار وعن أي شيء يعظهم لعلهم يؤمنون ويعودون إلى جادّة الصواب.

إن ما يلقاه الكافرون من ذل ومهانة وشقاء، هو نتيجة طبيعية وحتمية لإصرارهم على الكفر والمعصية، ومعاداة المؤمنين وسخريتهم منهم.

تسعمِائة وخمسون عاماً ونوح عليه السلام يدعو قومه، ولا مِنْ مجيب من هؤلاء الكافرين المعاندين، بل يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم كلما دعاهم نوح عليه السلام.

يقول تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ٧]

هؤلاء وأمثالهم جمٌّ غفير من الكفرة الفجرة أعدَّ اللَّه سبحانه لهم من العذاب ما يفوق تخيلات كل البشر.. ومن صنوف العذاب التي أعدَّها اللَّه سبحانه لهؤلاء، تلك الأغلال والسلاسل والمقامع والأنكال والأصفاد والتي هي من أشد أنواع وصنوف العذاب التي يجدها أهل

النار في النار.. فغير عذاب النار وشوي الأجساد وما يلقونه في النار، تلك الأصفاد والسلاسل التي يُجرّون ويسحبون ويربطون بها كما تربط الأنعام.. فأيديهم مغلولة إلى أعناقهم والسلاسل تربط من النواحي، ويعقد عليها بالأقدام، وتجعل السلاسل أيضاً في أعناقهم ليسحبوا منها ويجرون بها في النار فأي ذل هذا؟ وأي هوان هذا؟ وأي عذاب هذا؟.. وكل هذا لقاء عنادهم واستكبارهم عن الإيمان باللَّه، واتباع الهوى والشياطين والشهوات والملذات.. حتى إن اللَّه سبحانه يقول عن هؤلاء في كتابه الكريم: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي كيف يصبرون على النار، وأنه ينبغي أن يتعجب من حالهم كلُّ أحد؟

يقول تعالى:

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٧]

واللَّه سبحانه يقول لأولئك الذين أصروا وعاندوا واستكبروا عن الإيمان والطاعة، ويبيِّن لهم أنه شديد العذاب:

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

أي إن اللَّه سبحانه ينذرهم أنه شديد العذاب.. ومن شدة العذاب الذي توعدهم اللَّه سبحانه به ـ أنهم في النار خالدون فيها وهم مقرَّنون مصفَّدون مربوطون في تلك الأغلال، ولنسمع ما قاله تعالى عن هذا العذاب العظيم المذل المهين في نار جهنم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٤]

ويقول تعالى:

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ويقول أيضاً:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

[سورة المزمل، الآيتان: ١٢، ١٣]

ويقول أيضاً:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

. . . هذه آيات كريمة عظيمة تحمل معاني ما أعدَّ اللّه سبحانه لأهل النار من الأغلال التي يقيدون فيها ذلاً ومهانة، غير ما ينالهم من

عذاب النار، والتي يتقون لهيبها بوجوههم، لأن أعضاءهم الأيدي والأرجلَ مغلولة بعضها إلى بعض، ولا بد من الوقوف على معاني تلك الآيات الكريمة لندرك معانيها حقاً، ولندرك معاني هذا النوع من العذاب الشديد الذي لا تحتمله عقول ولا قلوب ولا أجساد، رغم تعظيمها وتفخيمها إلى الحد الذي ذكرناه.. لكنهم وكل هذا التعظيم لأجسادهم يبقون ضعفاء لا حول لهم ولا قوة أمام قدرة اللَّه، وما هيأ لهم من زبانية جهنم الذين يشرفون على عذابهم ويمعنون في ذلهم وهوانهم.

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣٣]

وقال الصابوني في صفوة التفاسير عن هذه الآية: أي وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار زيادة على تعذيبهم في النار.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: وهي السلاسل تجمع أيديهم مع أعناقهم.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٤]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ولما ذكر تعالى ما أعدَّ لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ٥]

وقد عُلم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة.

ويقول تعالى:

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٧١، ٧٢]

ويقول الصابوني في تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين: إنهم حين يدخلون النار تُرْبط أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال والسلاسل، ثم يسحبون بتلك السلاسل في الماء المسخن بنار جهنم، ثم يوقدون ويحرقون فيها.

ويقول ابن كثير في تفسيره: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ أي متصلة الأغلال في أيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة في الحميم، وتارة إلى الجحيم، ولهذا قال تعالى: ﴿يُسْحَبُونَ * فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

ويقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢]

وهذه الآيات من سورة الحاقة من أكثر الآيات تعبيراً أو تفصيلاً حول تلك الأغلال والقيود والأصفاد التي يكبل بها المجرمون الكفرة، لذا رأينا أن نأتي بمعاني كلماتها ثم تفسيرها من كل الوجوه، ومعاني كلمات هذه الآيات.

﴿خُذُوهُ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾ شدوه في الأغلال

واجمعوا يديه إلى عنقه في الغُل: وهو ما يكبل به الأسير أو المتهم من القيود والسلاسل.

﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿ صَلُّوهُ﴾ أدخلوه وأوردوه إياها يصلى نارها ويحترق بها ﴿ ذَرْعُهَا﴾ طولها ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ المراد أنها سلسلة طويلة ـ نعم طويلة لأن الكافر كما تقدم يعظم في النار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام وسماكة جلده أي غلظ جلده اثنان وأربعون ذراعاً، ومقعده من النار لضخامة جسده كما بين مكة والمدينة، لذلك تكون السلسلة التي يُقيد بها عظيمةً، بطول سبعين ذراعاً بذراع الملك ﴿ فَٱسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، بأن تلفوها على جسده لئلا يتحرك، وتقديم الجحيم والسلسلة للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع ما يعذب به، وكلمة ﴿ ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بينهما في الشدة.

ويقول د. وهبة الزحيلي في التفسير المنير حول تفسير هذه الآيات الكريمة التي تشير إلى الأغلال والسلاسل:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ .

أي يأمر اللّٰه سبحانه الزبانية قائلاً: خذوه مكبلاً بالقيود والأغلال: بِجَمْعِ يده إلى عنقه في الغُل، ثم أدخلوه الجحيم ليصلى حرَّها، ثم أدخلوه في سلسلة (حلق منتظمة) طولها سبعون ذراعاً تلف على جسمه، لئلا يتحرك[1].

ويقول الصابوني في تفسير هذه الآيات من سورة الحاقة:

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ أي يقول تعالى لزبانية جهنم: خذوه: خذوا هذا المجرم الأثيم فشدوه بالأغلال. **وقال القرطبي**: فيبتدره مِائة ألف

---

(١) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٩٩).

ملك، ثم يجمع يده إلى عنقه، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغُلُّوهُ﴾[(١)]. ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي أدخلوه في النار العظيمة المتأججة، ليصلى حرَّها ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ أي ثم أدخلوه في سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعاً، **قال ابن عباس**: بذراع الملك تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه. والسلسلة هي حلق منتظمة، كل حلْقة في حلقة، يلف بها حتى لا يستطيع حَراكاً، ولما بيَّن اللَّه العذاب الشديد، بيَّن أسبابه وأولها أنه كان لا يؤمن باللَّه العظيم.

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه بكل عنف من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم توردهُ إلى جهنم فتصليه إياها، أي تغمره فيها. عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال اللَّه تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول: هكذا: «**فيلقي سبعين ألفاً في النار**»[(٢)].

[رواه ابن أبي حاتم]

وقال الفضيل بن عِياض: إذا قال الرب عزّ وجلّ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي اغمروه فيها ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، **قال كعب الأحبار**: كل حلقة فيها قدر حديد الدنيا، **وقال ابن عباس**: بذراع الملك، **وقال العوفي** عن ابن عباس: تُسلك في دبره حتى تَخرج من منخريه حتى لا يقف على رجليه، وروى الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو أن**

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٣) صفحة (٥٤٥) في تفسير سورة الحاقة.

رضاضة مثل هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمِائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ مقرها أو أصلها» .

[أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن]

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ .

[سورة المزمل، الآية: ١٢]

فلقد وصف اللَّه سبحانه ما أعدَّ للكافرين من عذاب في نار جهنم ومنها الأنكال، وهي القيود الثقيلة التي تثقل كاهلهم وتزيد في أوزانهم حتى يبقوا في ثقل، **وقال في التسهيل**: الأنكال جمع نِكْل وهو القيد من الحديد، وروي أنها قيود سود من نار[(١)] .

ويقول تعالى:

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٩]

يقول ابن كثير:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ . . . ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

وتبرز الخلائق لديّانها، وترى يا محمد يومئذٍ المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي بعضهم إلى بعض قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف كما قال تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ .

[سورة الصافات، الآية: ٢٢]

---

(١) انظر حاشية الصاوي ٤/ ٢٦٠.

وكما قال: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

[سورة التكوير، الآية: ٧]

وكما قال: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ .

[سورة الفرقان، الآية: ١٣]

ويقول: الأصفاد هي القيود.

مقامع حديد أهل النار

في نار جهنم يوجد غير السلاسل والأغلال والأصفاد مقامعُ من حديد، أعدَّها اللَّه سبحانه لأولئك الذين يريدون أن يخرجوا من نار جهنم ـ ذلك أن الكفرة الفجرة رغم أنهم مقيدون بالأصفاد والسلاسل التي ترهق كاهلهم وتزيد من وزنهم وثقلهم، حتى يبقوا دائماً في قعر المكان المخصص لهم من جهنم، إلا أنهم يحاولون الخروج من النار خلال مُكثهم الأبدي، فيتحركون وإن كان ببطء نحو الأعلى وربما يراهم الملك من الزبانية المخصص لعذابهم.. فيتركهم ليزدادوا ألماً وعذاباً في صعودهم كما قال تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ .

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

حتى إذا وصل أحدهم إلى المكان الذي يمكن أن يخرج منه، جاءه ما لم يكن في حسبانه بعد هذا الجهد المهلك المضني.. فيضربه الملك من الزبانية بمِقْمعة من حديد لا يعلم قدرها وحجمها وقوتها إلا اللَّه سبحانه، فيهوي في جهنم مرة أخرى ويُعَاد من حيث أتى.

يقول تعالى:

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ .

[سورة الحج، الآيتان: ٢١، ٢٢]

﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي ولهم مطارق من حديد وسياط من

حديد يُضربون بها ويدفعون، وفي الحديث: «**لو وضعت مقمعة في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها**».

[رواه أحمد]

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

أي كلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها رُدُّوا إلى أماكنهم فيها، قال الحسن: إن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقامع من حديد لتفتت ثم عاد**»(٢).

وقال الإمام أحمد في كتاب الزهد: حدّثنا سيار، حدّثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار قال: إذا أحس أهل النار بضرب المقامع، يُغمسون في حياض الحميم، فيذهبون سفالاً، كما يغرق الرجل في الماء في الدنيا ويذهب سَفالاً سَفالاً... قال سعيد، عن قتادة: قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: ذكروهم النار لعلهم يفرَقون فإن حرَّها شديد، وقعرها بعيد، وشرابها الصديد، ومقامعها الحديد(٣).

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٣) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١٣٣).

طعام أهل النار

كم الفرق شاسع عندما يتحدث اللّه سبحانه عن أهل الجنة وما أعدّ لهم من نعيم مقيم من طعام وشراب وحور عين وإكرام ومقام عظيم ولهم في الجنة ما يشاؤون وعند اللّه سبحانه مزيد؟

وكذلك عندما يتحدث عن أهل النار وما أعدَّ لهم من شقاء مقيمين فيه وخالدين فيه في نار جهنم. . . وإن من أعظم الشقاء الذي يعيش فيه أهل النار ما يقدّم لهم من طعام في نار جهنم يزيد في عذابهم كالضريع والزقوم.

يقول تعالى:

﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيتان: ٦، ٧]

والضريع: شوك بأرض الحجاز يقال له (الشَّبْرق).

وقال ابن عباس: الشبرق نبت ذو شوك لاطئ بالأرض فإذا هاج سمي ضريعاً، وقالوا: (الضريع) نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه وضره وشدّة مرارته.

وجاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس: (الضريع: شيء يكون في النار يشبه الشوك أمرُّ من الصَّبِر وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، واللّه سبحانه يبيِّن في الآيتين الكريمتين أن ليس لأهل النار من طعام يأكلونه إلا الضريع وهو شوك يابس شديد المرارة والضر، يقال له في لغة أهل الحجاز: الشبرق إذا كان رطباً، فإذا يبس فهو الضريع

وهو سَم، وشر طعام، وأبشعه وأخبثه، ولا به مقصود، ولا يندفع به محذور، فلا يسمن آكله، ولا يدفع عنه الجوع)(١).

أكلهم هذا نوع من أنواع العذاب.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٤٦]

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

قال أبو الدرداء: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها. وقال مجاهد: ولو كَعَكَر الزيت ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾. **ويقول الصابوني** في صفوة التفاسير:

لما ذكر اللّه سبحانه الأدلة على القيامة، أردفه بوصف ذلك اليوم العصيب، فذكر وعيد الكفار أولاً ثم وعد الأبرار ثانياً للجمع بين الترهيب والترغيب فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ أي إن هذه الشجرة الخبيثة شجرة الزقوم ـ التي تنبت في أصل الجحيم، طعام كل فاجر ليس له طعام غيرها، **قال أبو حيان**: الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام وفسر بالمشرك، وقوله سبحانه: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ أي هي في شناعتها وفظاعتها إذا أكلها الإنسان كالنحاس المذاب الذي تناهى حره فهو يجرجر في البطن.

﴿ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أي كغليان الماء الشديد الحرارة.

وقال القرطبي في تفسيره: وشجرة الزقوم هي الشجرة التي

(١) التفسير المنير د. وهبة الزحيلي جزء (٢٩، ٣٠) صفحة (٢ ـ ٥).

خلقها في جهنم وسماها الشجرةَ الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار. وشبَّه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب، والمراد بالأثيم الفاجر ذو الإثم، وهو أبو جهل، وذلك أنه كان يقول: يعدنا محمد أنَّا في جهنم نأكل الزقوم، وإنما هو الثريد بالزُّبْد والتمر، لذلك يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي يقول اللَّه سبحانه للزبانية يوم القيامة: خذوا هذا الفاجر اللئيم وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط الجحيم.

... ولقد جاء وصف شجرة الزقوم في آية قرآنية كريمة بشيء من التفصيل والبيان ليكون الناس على حذر منها، فقد وصفها اللَّه سبحانه بصفات ذميمة، فوصَفَ خروجها، وطلعها، وأكلها، وعذابها.

يقول تعالى:

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۞ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۞ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٦٢ ـ ٦٨]

التفسير: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ أي أنعيم الجنة خيرٌ ضيافة وعطاء أم شجرة الزقوم التي في جهنم، أيُّها خير وأفضل؟ فالفواكه والثمار طعام أهل الجنة وشجرة الزقوم طعام أهل النار، والغَرَض منه توبيخ الكفار ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إنا جعلنا شجرة الزقوم فتنة، قالوا: كيف يكون في النار شجرةٌ والنار تحرق الشجر؟ وهم لا يعلمون أن اللَّه قادر على كل شيء، وهم لا يعلمون أن قوانين الدنيا غير قوانين الآخرة، وأن كل شيء في الآخرة مغاير

لما هو في الدنيا ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي تنبت في مقر جهنم، ثم هي متفرعة فيها بأمر اللَّه سبحانه، واللَّه يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء، وإذا أراد شيئاً فإنه يقول له: كن فيكون، وهذا نبات يعيش على الماء العذب، وإذا غمرته بالماء دائماً يموت، وهذا نبات يعيش في الماء المالح، وإذا لم تغمره بالماء المالح يموت، وهذا نبات يحتاج كل يوم إلى الماء، وهذا نبات لا يحتاج إلى ماء إلا كل عدة أشهر، وغير هذا كثير، وهذه المعادن منها ما يتأثر بالنار ومنها ما لا يتأثر كالقصدير مثلاً، ويخلق اللَّه ما يشاء، ويقول تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي ثمرها وحَملها كأنه رؤوس الشياطين لها أشكال قبيحة وبشعة، **وقال ابن كثير**: وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ أي إن هؤلاء الكفار لشدة جوعهم مضطرون إلى الأكل منها حتى تمتلئ منها بطونهم، فهي طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة، وفي الحديث: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم**».

[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح]

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي إن لهم بعدما شبِعوا منها وغلبهم العطش، لمِزاجاً من ماء حار قد انتهت حرارته، يشاب به الطعام أي يخلط ليجمع بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ أي ثم مصيرهم ومرجعهم إلى دركات الجحيم، **قال مقاتل**: الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم للشرب ثم يردون إلى الجحيم، **وقال أبو السعود**: الزقوم والحميم نُزُل يقدم إليهم قبل دخولها.

ويقول تعالى في موضع آخر عن طعام أهل النار:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

ومع خبث هذه الشجرة وفظاعة منظرها إلا أن أهل النار يلقى عليهم الجوع ويتألمون منه ألماً شديداً، فيقدّم لهم الزقوم، فإذا امتلأت بطونهم أخذت الزقوم تغلي في بطونهم كما يغلي الزيت، فيجدون في ذلك آلاماً مبرِّحة لا تطاق ولا تحتمل، فإذا بلغ بهم الحال إلى هذه الآلام، اضطروا أن يُهرَعوا إلى شراب الحميم وهو الماء الحار الذي يغلي بأعلى درجات الغليان، فيشربوا منه كما تشرب الإبل دون أن يرتووا، وعند ذلك يقطع الحميم أمعاءهم كما يقول تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

وفوق كل هذا فإن الطعام لمرارته وشدة حرارته يصير كشوكة تقف في حلوقهم فلا يندفع إلى أمعائهم، فيحدث لهم أوجاعاً فظيعة وعذاباً أليماً لا يحتمل ولا يطاق.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

[سورة المزمل، الآيتان: ١٢، ١٣]

والطعام ذو غصة، الغُصة هو الذي يَغصُّ به آكلهُ إذ يقف في حلقه من شدة تشوكه وحرارته والعياذ بالله.

هذا وقد ذكر الله سبحانه أن من طعام أهل النار الغسلين، والغساقَ.

يقول تعالى:

﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيات: ٣٥ ـ ٣٧]

ويقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

والغسلين والغساق بمعنى واحد وهو ما سالَ من جلود أهل النار من القيح والصديد، وقيل: ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم، **وقال القرطبي**: هو عُصارة أهل النار.

وقال في التفسير المنير: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾.

[سورة الحاقة، الآيتان: ٣٦، ٣٧]

أي وليس له طعام إلا ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد وقيح ودم لا يأكله إلا أصحاب الخطايا والذنوب، **وقال قتادة عن الغسلين**: هو شر طعام أهل النار، والطعام: اسم بمعنى الإطعام، كالعطاء اسم بمعنى الإعطاء.

وعن الغساق في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

يقول في صفوة التفاسير: أي هذا هو العذاب الأليم فليذوقوه وهو الحميم أي الماء المحرق، والغساق هو دَمٌ يسيل من صديد أهل النار، **وقال الطبري**: في الآية تقديم وتأخير أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم الذي أحمي حتى انتهى حره: أي وصل إلى أعلى

درجة يمكن أن يصلها، والغساق ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ أي وعذاب آخر من مثل هذا العذاب المذكور كالزمهرير، والسموم، وأكل الزقوم لهم منه أنواع وأصناف، واللَّه سبحانه نوّع العذاب بما لا يعلمه إلا هو، ولا يكون إلا بقدرة اللَّه سبحانه.

وللصحابة الكرام رضوان اللَّه عليهم تفسيرات وأقوال في طعام أهل النار، **فعن ابن عباس** أنه قال: إن شجرة الزقوم نابتة في أصل سقر. **ورُوي عن الحسن**: إن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، **وقال سلام بن مسكين**: سمعت الحسن تلا هذه الآية الكريمة ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال: إنها هناك قد جُمعت عليها جهنم.

وقال مغيرة: عن إبراهيم، وأبي رزين ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ قال: الشجر يغلي، وقال **جعفر بن سليمان**: سمعت أبا عمران الجوني يقول: بلغنا أنه لا ينهش فيها نهشة إلا نهشت منه مثلها.

وقد دل القرآن الكريم، على أنهم يأكلون منها حتى تمتلئ بطونهم فتغلي في بطونهم، كما يغلي الحميم، وهو الماء الذي انتهى حره، ثم بعد أكلهم منها يشربون عليها من شدة حاجتهم إلى الماء من الحميم شرب الهِيم، والهيم الإبل العطاش.

وقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: الهيم الإبل العطاش، **وقال السدي**: هو داء يأخذ الإبل فلا تُروى حتى تموت، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً، وقال مجاهد نحو ذلك.

وعن الضحاك أنه قال: في قوله تعالى: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٥٥]

قال: من العرب من يقول: هو الرمل، ومنهم من يقول: الإبل العطاش، وقد روي عن **ابن عباس** كلا القولين، وذلك قوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦٧]

على أن الحميم يشاب به ما في بطونهم من الزقوم، فيصير شَوباً له. وقال عطاء الخراساني في هذه الآية: يقال: يخلط طعامهم ويشاب بالحميم، وقال قتادة: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: مزاجاً من حميم.

وعن سعيد بن جبير قال: إذا جاع أهل النار، استغاثوا من الجوع، فأغيثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فانسلخت وجوههم، حتى لو أن ماراً مرّ عليهم ويعرفهم لعرف أي ريح جلود وجوههم، فإذا أكلوا منها، ألقي عليهم العطش، فاستغاثوا من العطش، فأغيثوا بماء كالمهل، والمهل: الزيت المَغلي الذي قد انتهى حره؛ فإذا أُدني من أفواههم، أنضج حره الوجوه، فيصهر به ما في بطونهم؛ ويضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور أي بالهلاك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآية: ٦٨]

أي بعد أكل الزقوم وشرب الحميم عليه، ويدل على أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يردونه كما ترد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم. ويدل على هذا أيضاً، قوله تعالى:

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٤٣، ٤٤]

والمعنى أنهم يترددون بين جهنم والحميم، فمرة إلى هذا،

ومرة إلى هذا، قاله قتادة، وابن جريج، وغيرهما[١].

وقال القُرَظي في قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال: إن الحميم دون النار، فيؤخذ العبد بناصيته، فيجر في ذلك الحميم، حتى يذوب اللحم، ويبقى العظم، والعينان في الرأس وهذا الذي يقول اللّه عزّ وجلّ فيه:

﴿فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٢]

(١) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي صفحة (١٤٨).

شراب أهل النار

إن من أعظم عذاب أهل النار عطشَهم وشدة حاجتهم إلى الماء، ليطفئوا لهيب بطونهم التي أكلت الزقوم والضريع.

وما أمس حاجة الإنسان حتى في الدنيا إلى الماء، فالإنسان بطبعه يصبر على الطعام أكثر بكثير من صبره على الماء، وربما يعيش الإنسان إذا انقطع عنه الطعام نحواً من شهر، ولكن إذا انقطع عنه الماء فقد لا يعيش أكثر من خمسة إلى سبعة أيام... وكلنا جرَّب العطش وخاصة في شهر رمضان إذا جاء في أشهر الصيف الحارة... أو أكل أحدنا طعاماً غليظاً دسماً فإنه يكون بحاجة شديدة إلى الماء.

فما رأيك بمن يأكل الزقوم والضريع الذي يغلي في البطون يوم القيامة في نار جهنم؟ فكم هو بحاجة إلى الماء؟

لذا بيَّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم استغاثة أصحاب النار بأصحاب الجنة أن يفيضوا عليهم بما أفاض اللَّه عليهم من الماء.

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٠]

أي إن اللَّه سبحانه حرَّم هذا الماء وهذا الطعام الذي يُطاف به على المؤمنين في الجنة بكل إكرام وإعزاز على الكافرين.

يقول تعالى:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ١٤ ـ ١٨].

ويقول تعالى:

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ * قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾.

[سورة الإنسان، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

لذلك ومن هذا الفرق الهائل والشاسع أو قل ليس من مقارنة بين مقام أهل الجنة ومقام أهل النار، إن اللّٰه سبحانه يقول في آية أخرى يبيِّن فيها الفرق بين من يُلقىٰ في النار وطعامه الزقوم وشرابه الحميم، ومن يأتي آمناً مقامه الجنة خالداً فيها طعامه أشهى أنواع لحم الطير، وشرابه كأس كان مزاجها زنجبيلاً وكافوراً.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

فماذا عن شراب أهل النار؟ وكيف يغاثون إذا استغاثوا؟ وكيف يطفئون لهيب ما يغلي في بطونهم من الزقوم والضريع الذي أكلوه جوعاً؟

يقول تعالى مقارناً بين شراب أهل الجنة وشراب أهل النار:

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٥]

فالمؤمنون يشربون من هذه الأنهار التي هي لذة للشاربين وفوقها مغفرة من اللَّه ورضوان، وأما الكافرون الخالدون في النار فإذا استسقوا سُقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم لشدة حرارته الذي انتهى إلى أعلى درجة حرارة، فدخل أفواههم ليطفئ غليان الزقوم والضريع، ولكن بدل أن يطفئ غليان طعام الزقوم والضريع، فإنه لشدة حرارته قطع أمعاءهم ومزقها شر ممزَّق.

وفي حاشية الصاوي وتفسير القرطبي:

﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ ﴾ أي كمن هو مخلد في الجحيم؟ والاستفهام للإنكار أي لا يستوي من هو في ذلك النعيم المقيم بمن هو خالد في الجحيم ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ أي وسقوا مكان تلك الأشربة الطيبة المذاق والباردة لأهل الجنة، ماء حاراً شديد الغليان، فقطَّع أحشاءهم من فرط حرارته؟ وقال المفسرون: بلغ الماء الغاية من الحرارة، إذا دنا منهم شوىٰ وجوههم، ووقعت فرواتِ رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وخرجَ من أدبارهم[(١)].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة يقولون في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ وبعد أن قدَّم اللَّه سبحانه عن نعيم أهل الجنة ما تفسيره قال: فهم ليسوا كالفريق الخالد في النار وسقوا ماء حاراً شديد الغليان فقطع أمعاءهم لشدة حرارته، وتقدير المعنى: أمثل أهل الجنة على هذه الصفات من النعيم كمثل

(١) تفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٧، وحاشية الصاوي ٤/ ٨٤.

جزاء من هو خالد في النار؟ أو كمن هو خالد في النار؟! والجواب واضح: لا مماثلة بين الفريقين.

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا * فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾.

[سورة النبأ، الآيات: ٢١ ـ ٣٠]

إنها آيات عظيمة تبيِّن حال وواقع أهل النار في النار، ويا هول ما سيلقون، فكلمات الآيات إنذار شديد لأهل الكفر والشرك والنفاق والطغاة، فجهنم مرصادٌ لهم ومآب خالدين فيها ليس لهم من شراب بارد، ولا يذوقون إلا النار ولا يشربون إلا الحميم والغساق، وهذا جزاؤهم العادل، لأنهم لم يكونوا يعتقدون أنهم سيرجعون إلى ربهم فيحاسبهم على جرائمهم وكفرهم، ولقد كذبوا بآيات اللَّه تكذيباً، وكل ما فعلوه أحصيناه لهم في كتبهم فذوقوا من العذاب وكلما ذقتم زدناكم عذاباً.

وقوله تعالى:

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ هذه لأهل جهنم وما يقابلها لأهل الجنة ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ لهم ما يشاؤون وما يطلبون من كل أصناف النعيم على اختلاف مشاربه، وفوق كل ما يتمنونه ويشاؤونه، فعند اللَّه سبحانه لهم مزيدٌ من النعم، وما يقابله لأهل النار مزيدٌ من العذاب والحميم والغساق والذل والهوان.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآيات الكريمة: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أي إن جهنم تنتظر وتترقب نزلاءها

الكفار، كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غِرَّة، قال المفسرون: المرصاد المكان الذي يرصُد فيه الراصد العدو، وجهنم تترصَّد أعداء اللَّه لتعذبهم بسعيرها، وهي مترقبة ومتطلعة لمن يمرُّ عليها من الكفار الفجار لتلتقطهم إليها ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ أي هي مرجع ومأوى ومنزل للطغاة المجرمين ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾ أي ماكثين في النار دهوراً متتابعة لا نهاية لها[1]. قال القرطبي: أي ماكثين في النار ما دامت الأحقاب ـ أي الدهور ـ وهي لا تنقطع، كلما مضى حُقب جاء حقب، لأن أحقاب الآخرة لا نهاية لها[2]، قال الربيع وقتادة: هذه الأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع[3]، ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يذوقون في جهنم برودة تخفف عنهم حرَّ النار، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ أي إلا ماءً حاراً بالغاً الغاية في الحرارة، وغساقاً أي صديداً يسيل من جلود أهل النار ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي عاقبهم اللَّه بذلك جزاءً موافقاً لأعمالهم السيئة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء، ولا يؤمنون بلقاء اللَّه، فجازاهم اللَّه بذلك الجزاء العادل ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي وكانوا يكذبون بآيات اللَّه الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيباً شديداً، ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي وكل ما فعلوه من جرائمَ وآثام ضبطناه في كتاب لنجازيهم عليه، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ أيَ فذوقوا يا معشر الكفار فلن نزيدكم على استغاثتكم إلا عذاباً فوق

---

(١) ليس في الآية الكريمة ما يدل على تناهي تلك الأحقاب، لأن الحقب في كلام العرب لا يكاد يستعمل إلا فيما هو متتابع متلاحق، وهو كناية عن التأبيد، فخاطبهم بما تذهب إليه أوهامهم وما يعرفون، وقيل: إنها في عصاة المؤمنين وهذا باطل لأنها في الكفار لقوله تعالى: ﴿**وكذبوا بآياتنا كذاباً**﴾.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٥.

(٣) انظر القرطبي ١٩/ ١٨٠، وحاشية الصاوي ٤/ ٢٨٥.

عذابكم. قال المفسرون: ليس في القرآن على أهل النار آية هي أشد من هذه الآية، كلما استغاثوا بنوعٍ من العذاب أغيثوا بأشدَّ منه[١]. . .

وفي تفسير ابن كثير يقول في تفسير هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أي مرصدة معدة ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ وهم المردة العصاة المخالفون للرسل، ﴿مَآبًا﴾ أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونُزُلاً. وقال الحسن وقتادة: لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإلا احتبس، وقوله تعالى: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ أي ماكثين فيها أحقاباً وهي جمع حُقْب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير: قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب اللَّه المنزّل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، وعن الحسن والسدي: سبعون سنة. وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون[٢]، وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة. وقال السدي: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمِائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون، وقال خالد بن معدان: هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في أهل التوحيد[٣]، قال ابن جرير: والصحيح أنها لا انقضاء لها، كما روي عن سالم: سمعت الحسن يُسأل عن قوله تعالى: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ قال: أما الأحقاب فليس لها عِدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن

---

(١) انظر القرطبي ١٩/ ١٨٠، وحاشية الصاوي ٤/ ٢٨٥.

(٢) رواهما ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير.

الحقب سبعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون، وقال قتادة: قال اللَّه تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ لا يعلم عِدة هذه الأحقاب إلا اللَّه عزَّ وجلَّ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تعدون[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، وقال أبو العالية: استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب الغساق، قال الربيع بن أنس: فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموُّه. والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه، وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وَفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثمَّ داراً يجازون فيها ويحاسبون، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ أي وكانوا يكذبون بحجج اللَّه ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلَّى اللَّه عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾ أي تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل، وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ أي وقد علمنا أعمالهم وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزواج، قال قتادة: لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فهم في مزيد من العذاب أبداً.

---

(١) أخرجه ابن جرير.

ويقول تعالى:

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ أي استنصرت الرسل ربها على أقوامهم[(١)]، ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ أي متجبر في نفسه عنيد معاند للحق، كقوله تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

وفي الحديث: «**أنه يؤتى بجهنم يوم القيامة، فتنادي الخلائق فتقول: إني وكّلت بكل جبار عنيد**» الحديث، وقوله: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ وراء هنا بمعنى أمام، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٧٩]

وكان ابن عباس يقرؤها: وكان أمامهم ملك، أي من وراء الجبار العنيد جهنم، أي وهي له بالمرصاد يسكنها مخلداً يوم المعاد، ويعرض عليها غدواً وعشياً إلى يوم التناد ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ أي في النار ليس له شراب إلا من حميم وغساق، كما قال: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

وقال مجاهد: الصديد من القيح والدم. **وقال قتادة**: هو ما

---

(١) قاله ابن عباس وقتادة.

يسيل من لحمه وجلده، وفي رواية عنه: الصديد ما يخرج من جوف الكافر وقد خالطه القيح والدم، وفي حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قلت: يا رسول اللّه ما طينة الخبال، قال: «**صديد أهل النار**»، وفي رواية: «**عصارة أهل النار**».
وقال الإمام أحمد، عن أبي أمامة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ﴾.

قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول تعالىٰ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ الآية[(١)].

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وقوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي يتغصصه ويتكرهه، أي يشربه قهراً وقسراً وإلا ضربه الملك بمطراق من حديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢١]

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي يزدرده لسوء طعمه ولونه وريحه وحرارته أو برده الذي لا يستطاع، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يألم له جميع بدنه من كل عظم وعصب وعرق، وقال عكرمة: حتى من أطراف شعره، **وقال ابن عباس**: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ قال: أنواع العذاب التي يعذّبه اللّه بها يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه، لو كان يموت، ولكن لا يموت لأن

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن جرير.

اللَّه تعالى قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

ومعنى كلام ابن عباس رضي اللَّه عنهما: أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه، اقتضى أن يموت منه لو كان يموت، ولكنه لا يموت ليخلد في دوام العذاب والنكال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، وقوله: ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ أي مؤلم صعب شديد أغلظ من الذي قبل وأدهى وأمر، وهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨]

فأخبر أنهم تارةً يكونون في أكل زقوم، وتارة في شرب حميم، وتارة يردون إلى جحيم، عياذاً باللَّه من ذلك، وهكذا قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾.

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٤٦]

وقال تعالى:

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على تنوع العذاب عليهم، وتكراره وأنواعه وأشكاله، مما لا يحصيه إلا اللَّه عزّ وجلّ، جزاء وفاقاً، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[١].

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٢) صفحة (٢٩٤، ٢٩٥).

وفي كتاب (التخويف من النار) لابن رجب الحنبلي تفصيل في أنواع شراب أهل النار حيث قسمه وفصله إلى أربعة أنواع بعد أن ذكر الآيات الكريمة التي ذكر اللَّه سبحانه فيها شراب أهل النار.

يقول تعالى:

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٥٤]

يقول تعالى:

﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.

[سورة محمد، الآية: ١٥]

يقول تعالى:

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

يقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٧، ٥٨]

يقول تعالى:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ١٦، ١٧]

يقول تعالى:

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ١٩]

يقول تعالى:

﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٥]

يقول: فهذه أربعة أنواع ذكرناها من شرابهم، وقد ذكرها اللَّه في كتابه الكريم.

النوع الأول: الحميم: قال عبد اللَّه بن عيسى الخراز، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس: الحميم: الحار الذي يحرق.

وقال الحسن والسدي: الذي قد انتهى حره.

وقال جويبر عن الضحاك: يسقى من حميم يغلي من يوم خلق اللَّه السموات والأرض، إلى يوم يسقونه، ويصب على رؤوسهم.

وقال ابن وهب، عن ابن زيد: الحميم: دموع أعينهم في النار، يجتمع في حياض النار، فيسقونه، وقال تعالى:

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ .

[سورة الرحمن، الآية: ٤٤]

قال محمد بن كعب: حميم آن: حاضر، وخالفه الجمهور، فقالوا: بل المراد بالآن: ما انتهى حره.

وقال شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس: حميم آن: الذي قد انتهى غليه.

وقال سعيد بن بشير عن قتادة: قد آن طبخه، منذ خلق اللَّه السموات والأرض، وقال تعالى: ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ قال مجاهد: قد بلغ حرها، وحان شربها.

وعن الحسن، قال: كانت العرب تقول للشيء، إذا انتهى حره، حتى لا يكون شيء أحرَّ منه: قد آن حره، فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ يقول: قد أوقد اللَّه عليها جهنم منذ خلقت، وآن حرها. وعنه قال: آن طبخها في دفع الحميم إليهم بكلاليب الحديد.

النوع الثاني: الغساق: قال ابن عباس: الغساق: ما يسيل من

بين جلد الكافر ولحمه. وعنه قال: الغساق: الزمهرير البارد، الذي يحرق مِنْ برده.

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: الغساق: القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهرق في المغرب، لأنتنت أهلَ المشرق؛ ولو أهرقت في المشرق، لأنتنت أهل المغرب.

وقال مجاهد: غساق: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.

وقال عطية: هو ما يغسق من جلودهم ـ يعني يسيل من جلودهم.

وقال كعب: غساق: عين يسيل إليها حُمَة كلِّ ذات حمة، من حية وعقرب وغير ذلك، فيستنقع؛ فيؤتى بالآدمي، فيغمس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام؛ ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه، ويجر لحمه، كما يجر الرجل ثوبه.

وقال السدي: الغساق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم، يسقونه مع الحميم.

وروى دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**لو أن دلواً من غساق، يهرق في الدنيا، لأنْتَن أهل الدنيا**».

[رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه]

وقال بلال بن سعد: «**لو أن دلواً من الغساق، وضع على الأرض، لمات مَن عليها**». وعنه قال: «**لو أن قطرة منه، وقعت على الأرض، لأنتن مَن فيها**».

[رواه أبو نعيم]

وقد صرح ابن عباس، في رواية عنه، ومجاهد، بأن الغساق ههنا هو البارد الشديد البرد. ويدل عليه قوله تعالى:

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

[سورة النبأ، الآيتان: ٢٤، ٢٥]

فاستثنى من البرد الغساق ومن الشراب الحميم.

وقد قيل: إن الغساق هو البارد المنتن، وليس بعربي. وقيل: إنه عربي، وإنه من غَسَق يغسِق، والغاسق: الليل، وسمي غاسقاً لبرده.

النوع الثالث: الصديد: قال مجاهد في قوله تعالى:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَكِدِيدٍ﴾ .

قال: يعني القيح والدم؛ وقال قتادة: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَكِدِيدٍ﴾ قال: ما يسيل من بين لحمه وجلده؛ قال: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ قال قتادة: هل لكم بهذا يَدانِ، أم لكم على هذا صبر؟ طاعة اللَّه أهون عليكم ـ يا قوم ـ فأطيعوا اللَّه ورسوله.

وخرَّج الإمام أحمد والترمذي، من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ، في قوله:

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَكِدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ .

قال: يقرب إلى فيه فيتكرهه، فإذا أدني منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه؛ فإذا شربه قطع أمعاءه، حتى يخرج من دبره، يقول اللَّه تعالى:

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ .

[سورة محمد، الآية: ١٥]

ويقول: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٢٩]

وروى أبو يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: جهنم أودية من قيح ثم تصب في فيه أي تغترف بالكوز.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، عن النبي ﷺ، قال: « **إن على اللَّه**

عهداً، لمن شرب المسكرات، لَيَسْقِيَنَّه من طينة الخبال، قالوا: يا رسول اللّه! وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار» .

وروى الإمام أحمد والنَّسائي وابن ماجهْ وابن حِبان في «صحيحه» من حديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، عن النبي ﷺ نحوه؛ إلا أنه ذكر ذلك في المرة الرابعة. وفي بعض الروايات: « **من عين الخبال**» .

وروى الترمذي، من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما، نحوه، عن النبي ﷺ، أنه قال: « **من نهر الخبال**»، قيل: يا أبا عبد الرحمٰن، ما نهر الخبال؟ قال: نهر من صديد أهل النار. وقال: حديث حسن.

وروى أبو داود ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ نحوه، وقال: « **من طينة الخبال**»، قيل: يا رسول اللّه، ما طينة الخبال. قال: « **صديد أهل النار**» . وفي رواية أخرى، قال: « **ما يخرج من زهومة الريح المنتنة لأهل النار وصديدهم**» . وروى الإمام أحمد بمعناه أيضاً، من حديث أبي ذر وأسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ.

وروى الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه»، من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ، قال: « **من مات وهو مدمن خمر، سقاه اللّه من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يخرج من فروج المومسات، يؤذي أهلَ النار نتنُ فروجهن**» .

وقد سبق حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ، في المتكبرين، وفيه: « **يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال**» .

النوع الرابع: الماء الذي كالمهل: روى الإمام أحمد والترمذي، من حديث دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: « **كَعَكَرِ الزيت، فإذا قرب إلى وجهه، سقطت فروة وجهه فيه**» .

قال عطية: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: ماء غليظ كدُرْدي الزيت. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أسود كمهل الزيت؛ وكذا قال سعيد بن جبير وغيره.

قال الضحاك: أذاب ابن مسعود فضة من بيت المال، ثم أرسل إلى أهل المسجد، فقال: من أحب أن ينظر إلى المهل، فلينظر إلى هذا.

وقال مجاهد: بماء كالمهل: مثل القيح والدم، أسود كَعَكَر الزيت.

وروى الطبراني، من طريق تمام بن نجيح، عن الحسن، عن أنس عن النبي ﷺ: «**لو أن غرباً، جعل من حميم جهنم، وجعل وسط الأرض، لآذى نتْن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب**».

وفي «موعظة الأوزاعي» للمنصور قال: بلغني أن جبريل قال للنبي ﷺ: لو أن ذَنوباً من شراب جهنم، صبَّ في ماء الأرض جميعاً، لقتل من ذاقه[1].

---

(١) كتاب التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي الدمشقي ١٥٢/ ١٥٧.

كسوة أهل النار ولباسهم

كما أن لأهل الجنة لباساً من سندس وإستبرق ويحلون أساور من ذهب وفضة، كذلك لأهل النار لباسهم، وشتان ما بين اللباسَيْن - لباسِ النعيم، ولباس الشقاء.

يقول تعالى:

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ١٩]

وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثياباً، وعن ابن عباس أنه قال: يقطع للكافر ثياب من نار حتى ذكر القَباء والقميص والكُمَّة.. فسبحان الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولا في الجنة ولا في النار.. فكما خلق ثياب أهل الدنيا من نبات القطن ووبر وصوف وجلود الأنعام كذلك يخلق لأهل النار ثياباً من نار، فاللَّه سبحانه يخلق ويفعل ما يشاء، فقد خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق البشر من طين.. فالذي يخلق خلقاً من نار أيعجزه أن يخلق ثياباً من النار؟.. سبحانه تعالى فإنه لا يعجزه شيء وهو الإله القادر وطالما أننا مقتنعون أن اللَّه قادر على كل شيء، فمن البدهي أننا مقتنعون أن يخلق لهم ثياباً من نار وسرابيل من قطران، وغير هذا كثير ما علمناه وما لم نعلمه كما قال عن أهل الجنة: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

وهؤلاء الكفرة الفجرة لا يعلمون ما أخفىٰ اللَّه سبحانه لهم من صنوف وأنواع العذاب على طول أمدهم وخلودهم في النار.

يقول تعالى:

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ .

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي هذان فريقان مختصمان، فريق المؤمنين المتقين، وفريق الكفرة المجرمين ﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي اختلفوا وتنازعوا من أجل اللَّه ودينه، قال مجاهد: هم المؤمنون والكافرون، فالمؤمنون يريدون نصرة دين اللَّه، والكافرون يريدون إطفاء نور اللَّه ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصّلت لهم ثياب من نار على قدر أجسادهم ليلبسوها إذا صاروا إلى النار، قال القرطبي: شبّهت النار بالثياب لأنها لباس لهم كالثياب، ومعنى: ﴿ قُطِّعَتْ﴾ خيطت وسويت، وذكر بلفظ الماضي لأن الموعود منه كالواقع المحقق[١] . ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ أي يصب على رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ أي يذاب به ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود، قال ابن عباس: لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، وفي الحديث: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسْلِت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر، ثم يعاد كما كان**»[٢] .

(١) القرطبي ١٢/ ٢٦.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وقال الإمام الفخر: والغرض أن الحميم إذا صب على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن مثلَ تأثيره على الظاهر، فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[1] ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ أي ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ويدفعون، وفي الحديث: «**لو وضعت مِقْمَعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها**»[2]. ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ أي وكلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها رُدوا إلى أماكنهم فيها، قال الحسن: إن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً[3]، ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي يقال لهم: ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذي كنتم به تكذبون[4]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

ثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قَسَماً أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر[5]، وروى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيه نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.
(٢) أخرجه أحمد.
(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.
(٤) صفوة التفاسير.
(٥) رواه البخاري.

ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال قتادة في قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى باللَّه منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبيُّنا خاتم الأنبياء، فنحن أولى باللَّه منكم فأفلج اللَّه الإسلام على مَن ناوأه، فأنزل: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾، وقال مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث، وقال مجاهد وعطاء في هذه الآية: هم المؤمنون والكافرون. **وقال عكرمة**: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هي الجنة والنار، وقالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة. **وقولُ مجاهد وعطاء**: إن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين اللَّه عزّ وجلّ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، وهذا اختيار ابن جرير، وهو حسن، ولهذا قال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصّلت لهم مقطعات من النار، قال سعيد بن جبير: من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ أي إذا صبَّ على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة. وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء(١)، وكذلك تذوب جلودهم.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**»(٢). وفي رواية: يأتيه

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.

(٢) رواه ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه ابن أبي حاتم.

الملك يحمل الإناء بكَلْبتين من حرارته، فإذا أدناه من وجهه تكرهه، قال: فيرفع مِقمعة معه فيضرب بها رأسه، فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء في دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه، فذلك قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾. وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن مِقْمعاً من حديد وضع في الأرض، فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**»(١). وروى الإمام أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان، ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»(٢). وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال: يضربون بها، فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، قال سلمان: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: بلغني أن أهل النار لا يتنفسون، وقال الفضيل بن عياض: واللَّه ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها، وقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً(٣).

ويقول تعالى:

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده. (٣) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٢) صفحة (٥٣٥).

معاني الكلمات:

الأصفاد: القيود الحديدية التي توضع في الأيدي.

سرابيلهم: قمصانهم أو ثيابهم.

القطران: مادة ملتهبة تشبه الزفت المذاب.

ومعنى الآيتين الكريمتين: أي وفي ذلك اليوم الرهيب تبصر المجرمين مشدودين مع شياطينهم بالقيود والأغلال، قال الطبري: أي مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد وهي الأغلال والسلاسل. ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ أي ثيابهم التي يلبسونها من قطران وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار: تُطلى به الإبل الجرْبى، فيحرق الجرب بحرّه وحدَّته، وهو أسود اللون منتن الريح ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي تعلوها وتحيط بها النار، جزاء المكر والاستكبار.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة: وتبصر الكافرين حينئذٍ يوم القيامة مشدودين بالأصفاد: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل وقمصانهم من قَطِران (أسود منتن) تطلى به جلودهم، وتعلو وجوههم وتحرق أجسادهم.

ولقد روى **حصين عن عكرمة** في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من صُفر (نحاس) يُحمىٰ عليها، قال معمر عن قتادة في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ قال: من النحاس، **وقال علي بن أبي طلحة** عن ابن عباس في قوله: ﴿قَطِرَانٍ﴾ قال: هو النحاس المذاب.

عن أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ـ الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت،**

والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع مِن جَرَب»[١].

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة، وعليها سرابيل من قطران، يُغلىٰ عليها، بدروع من لهب النار»[٢].

(١) رواه مسلم في صحيحه والإمام أحمد في المسند.

(٢) رواه ابن ماجه.

مهاد جهنم وفراشها وظللها

المهاد: الفراش والمضجَع.
الغواش: أغطية كاللحف.

جهنم بما فيها من أهوال وعذاب وسلاسل وأغلال وأصفاد وقيود وطعام ذي غصة من الزقوم والضريع والشراب من الحميم - وكذلك ما فيها من الذل والمهانة والآلام الفظيعة، جعلها سبحانه لأهل النار من الكفرة والفجرة والمشركين والمنافقين فراشاً لهم يضجعون فيها، وجعل ما فوقهم من ظلل النار ودخانها غطاء ولحافاً يتغطون به، فالنار فراشهم، والنار غطاؤهم، وهي من فوقهم ظلل ومن تحتهم مهاد.

واسمع إلى قوله تعالى في فراش الجنة وما يتظللون به من ظلال النعيم، يقول تعالى بعد أن ذكر بعض نعيم أهل الجنة:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٥٤]

يقول تعالى:

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٧٦]

يقول تعالى:

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾.

[سورة الغاشية، الآيات: ١٣ - ١٦]

وأمَّا ما يظل أهل الجنة فقد قال تعالى:

﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٧]

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

[سورة يس، الآية: ٥٦]

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

[سورة الإنسان، الآية: ١٤]

هذا ما ذكره اللَّه سبحانه عن بعض فراش وظلال أهل الجنة وما يلقونه من النعيم، والذي سنتحدث عنه في الجزء العاشر والأخير من هذه الموسوعة بشيء من التفصيل، ولتقرأ وتسمع ما قاله تعالى عن مهاد أهل النار وغواشهم وظلالهم، حتى ندرك الفرق العظيم والذي لا يقارن بين ما أعد اللَّه لأهل الجنة وما أعد لأهل النار، أجارنا اللَّه سبحانه من النار ومهادها وغواشها وظللها وجعلنا من أهل جناته وما أعده لهم من كرامات ونعيم وفراش وظلال.

يقول تعالى عن مهاد أهل النار وغواشهم وظلالهم:

﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]

ويقول تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٧]

ويقول تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١٨]

ويقول سبحانه:

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

[سورة ص، الآيتان: ٥٥، ٥٦]

وأما عن غطاء أهل النار من الغواش والظلل فيقول سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيتان: ٤٠، ٤١]

ويقول تعالى:

﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

[سورة الزمر، الآيتان: ١٥، ١٦]

هكذا يبيّن اللّه سبحانه في تلك الآيات الكريمة أن هذا المهاد الذي هو من النار هو مهاد الكافرين في النار، ويقول تعالى عنه: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ وذلك في كل الآيات الكريمة التي ذكر فيها مهاد جهنم. ذلك أن اللّه سبحانه يعلم أنه شر مهاد وأسوأ مهاد لأهل النار.

وأما قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ فقد قال صاحب البحر: هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب تماماً كقوله تعالى:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ . . .﴾ وهذا يعني أنه لا مخرج لهم ولا استراحة لهم ولا هروب لهم إلى أي جانب، فما فوقهم وما تحتهم وما عن يمينهم وما عن شمالهم فهي النار. . فكيفما تحركوا فالنار محيطة بهم. . واللَّه إنه لأمر عظيم ومخيف وشديد، ولا تحتمله عقولنا في الدنيا. . . فتصور حياة الخلود والنار محيطة بالكافر من كل جانب، لا رحمة ولا خروج ولا يفتر عنهم العذاب ولا توقف عن إهانة وذل وضرب وجوع وعطش وحسرة وندم وبكاء ودموع وصراخ وعويل، وتصوَّر ماذا يقول اللَّه سبحانه:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

فاللَّه سبحانه يذكر النار وعذابها ومهادها وغواشها وظللها ليخوِّف عباده منها، ومن عذابها وآلامها وما فيها، فقد جاء في صريح الآية الكريمة: ﴿يُخَوِّفُ﴾ لأنه لا بد من الإنذار والتخويف حتى ينتبه الإنسان ويعقلُ ويعود إلى طريق اللَّه المستقيم، فإنه بعد هذا الإنذار وهذا التخويف، ثم لم يعد فأولئك الذين فقدوا سمعهم وعقولهم كما قال اللَّه تعالى عن أصحاب جهنم يوم القيامة، عندما يسألهم خزنة النار ألم يأتكم كتاب وإنذار وتخويف من اللَّه فيقولون كما يقول تعالى:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

فقد نفوا عن أنفسهم السمع والعقل، لأنه لا يمكن لعاقل يسمع

بهذا الإنذار والتخويف إلا ارتدع عن كفره ومعصيته وعاد إلى اللَّه سبحانه وإلى طريقه المستقيم ليفوز برضاه وجناته الخالدة.

وصدق اللَّه سبحانه إذ يقول:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٢٣]

الفصل الرابع

أنواع العذاب في النار
وتفاوت عذاب أهلها بحسب أعمالهم

ـ العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد.

ـ آخر الناس خروجاً من النار.

ـ عذاب أهل النار الخالدين فيها.

ـ هل يخفف عن بعض الكفار العذاب في النار إذا كان لهم خصال حميدة وحسنات في الدنيا؟؟

ـ أنواع العذاب في نار جهنم.

ـ مدخل:

ـ النوع الأول : سحب الكافرين على وجوههم في النار.

ـ النوع الثاني : الحشر على الوجوه إلى نار جهنم وهم عمي وبكم وصم.

ـ النوع الثالث : الذين تُقلَّب وجوههم في النار ولا يكفونها عن وجوههم.

ـ النوع الرابع : الصَّهر.

ـ النوع الخامس : المكان الضيق.

ـ النوع السادس : التردي من جبل.

ـ النوع السابع : جَرُّ الأمعاء.

أنــواع العـذاب

أنواع العذاب في النار وتفاوت عذاب أهلها بحسب أعمالهم

النار درجات ودركات كما تقدم، بعضها تحت بعض، فاللَّه سبحانه لا يظلم أحداً، فكلٌّ في دَرَكته ودرجته من النار بحسب كفره وشركه، وبحسب ما قدَّمت يداه من الظلم والأذى والاعتداء، وما ارتكب من الآثام والفواحش واتبع الشهوات.

وأخف أهل النار عذاباً العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد، وأشدهم عذاباً وأسوؤهم مقاماً المنافقون، الذين هم في الدرْك الأسفل من النار، وما بينهما درجات ودَرَكات كثيرة نستعرضها بشيء من التفصيل.

العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد:

وهؤلاء يتفاوتون في العذاب وفي مكانهم وموقعهم من النار بحسب ما اقترفوا من ذنوب وآثام، وبحسب أولئك الذين لم يأتوا اللَّه بالصلاة والصيام والحج والزكاة، وبحسب ظلمهم للعباد وأكل حقوقهم.

... فكلٌّ يعذب في النار بحسب ما اقترفت يداه، ولم يذكر اللَّه سبحانه في كتابه العزيز ولا رسول اللَّه ﷺ عن المدة التي يبقى فيها هؤلاء العصاة في النار.. واللَّه أعلم أن منهم من يطول مُكثه ومنهم من يقصر مكثه، وبينهما كثير من الحالات، ولكن في النهاية تنالهم الشفاعة على اختلافها.. وأخيراً بعد أن يُشفِّع اللَّه سبحانه من أراد أن يشفع فيهم،

ولقد ذكرنا هذا في الجزء الثامن عندما تحدّثنا عن الشفاعة بأنواعها، ثم تكون رحمة اللَّه سبحانه بأهل التوحيد العصاة فيخرجهم من النار برحمته. . . ولكن ما يجب أن نعلمه أنهم يعذبون في النار وربما عذاباً شديداً، ومنهم من يطول مكثه فيها زمناً لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه.

وقد بيَّنت الأحاديث الشريفة بعض هذه المواقف والحالات.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال: بخطاياهم) فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حَميل السيل**»[(١)].

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارت وجوههم، حتى يدخلوا الجنة**»[(٢)].

عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنهما: عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ، فيدخلون الجنة، يسمون الجهنَّميين**»[(٣)].

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « **يخرج قوم من النار بعدما مسَّهم منها سَفْع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنَّميين**»[(٤)].

وقد سمّاهم أهل الجنة بالجهنَّميين، ذلك أنهم خرجوا ربما بعد طول مكث في النار، فتكون لهم علامة واللَّه أعلم، لذلك سمّاهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة (١/ ١٨٥).
(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/ ١٩١).
(٣) صحيح البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).
(٤) رواه البخاري، فتح الباري (١١/ ٤١٨).

أهل الجنة بالجهنَّميين، لأنهم هم الذين يرشون عليهم من ماء الجنة بعد أن يخرجوا من النار.

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثم تحلُّ الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير مثقال شعيرة، فيجعلون بفِناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في حَميل السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها»**(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«حتى إذا فرغ اللَّه من القضاء بين العباد، وأراد لِأَنْ يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئاً، ممن أراد اللَّه أن يرحمه، ممن يقول: لا إله إلا اللَّه، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار وقد امتُحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه، كما تنبت الحِبَّة في حَميل السيل»**(٢).

امتحشوا: احترقوا.

وقد ورد في أكثرَ من حديث شريف أن اللَّه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو مثقال ذرة من إيمان، بل يخرج أقواماً لم يعملوا خيراً قط، ففي حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يدخل اللَّه أهل الجنة الجنَّةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار، ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»**(٣).

---

(١) صحيح مسلم، باب أدنى أهل الجنة منزلة.
(٢) صحيح مسلم، باب كتاب الإيمان رقم الحديث (١٨٢).
(٣) صحيح مسلم، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين (١/ ١٨٤).

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه من الخير ما يزن شَعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه، وكان في قلبه ما يزن بُرةً، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**»[(١)] . والأحاديث في هذا الأمر كثيرة.

آخر الناس خروجاً من النار:

وفي صحيح مسلم: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفاً، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى، فيقال له: لك ما تمنيت، وعشرةُ أضعاف الدنيا، فيقول: أتسخر مني وأنت الملك؟**» قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه[(٢)] .

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثلَ الدنيا، وعشرة أمثالها؛ أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك؟**» قال: فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقول: «**ذلك أدنى أهل الجنة منزلة**»[(٣)] .

---

(١) صحيح مسلم (١/ ١٩٣).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٨٦) ومسلم برقم (١٨٦) والترمذي برقم (٢٥٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم جامع الأصول (١٠/ ٥٥٣).

عذاب أهل النار الخالدين فيها

. . . قلنا عن عذاب عصاة أهل التوحيد وذكرنا الأحاديث الشريفة الواردة في هذا الأمر. . . فإذا خرج عصاة الموحدين من النار بعد أن نالوا عقابهم على ما اقترفوه من آثام وذنوب وكبائر وترك لفرائض اللَّه سبحانه. . . يبقى في النار الخالدون فيها. . وهؤلاء تتفاوت دركاتهم ودرجاتهم في النار أيضاً، بحسب كفرهم وشركهم ومعاصيهم وذنوبهم وفحشهم وهم على درجات كثيرة. . وكما قدَّمنا ـ أن أهل الجنة درجات بعضهم أعلى من بعض، ودرجات الجنة بعضها فوق بعض بحسب إيمان الناس وتقواهم، وما قدَّموه في دنياهم من طاعة وعبادة وعلم وخدمة للناس ولمجتمعهم ولأمتهم وللمسلمين. . فالأعمال ترفع الدرجات. . . كذلك فالنار دركات بعضها تحت بعض وأهلها درجات فيها بعضهم تحت بعض، وقد بيّن القرآن الكريم والسنّة الشريفة هذا الأمر.

ـ عن سَمُرة بن جندب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته»**(١).

حجزته: وسطه ـ **تَرقوته**: عظمة صغيرة مشرفة بين ثغر النحر والعاتق.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن أهون أهل النار عذاباً، رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

دماغه مع إجزاء العذاب، ومنهم إلى ركبتيه مع إجزاء العذاب، ومنهم في النار إلى أرنبته مع إجزاء العذاب، ومنهم في النار إلى صدره مع إجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتمر»(١).

إجزاء العذاب: أي مع أن العذاب في جهنم فيه الكفاية. والمراد إظهار مقدار ما يتحمل من عذاب شديد، يقال أجزأني الشيء: أي كفاني.

أرنبته: طرف أنفه.

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن أهون أهل النار عذاباً رجل في أخمَص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرجَل بالقُمْقُم»(٢).

ـ عن النعمان بن بشير رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن أهون أهل النار عذاباً، من له نعلان وشِراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المِرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً»(٣).

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن أدنى أهل النار عذاباً من ينتعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حرِّ نعليه»(٤). عن العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه أنه قال: يا رسول اللّه هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: **«نعم، هو في ضحضاح من نار ولولا أنا، كان في الدرك الأسفل في النار»**(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٢) رواه البخاري في صحيحه.
(٣) رواه مسلم في صحيحه.
(٤) رواه مسلم في صحيحه.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح**[١] **من نار تبلغ كعبيه حتى يغلي منها دماغه**»[٢].

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ:

«**إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه**».

---

(١) الضحضاح: هو مَا رقَّ من الماء على وجه الأرض مما يبلغ الكعبين، والمراد هنا النار الحقيقية الضعيفة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

هل يُخفف عن بعض الكفار العذاب في النار إذا كانت لهم خصال حميدة وحسنات في الدنيا؟؟

لقد اختلف السلف والخلف في هذا الأمر، فمنهم من أيَّد أنه يخفف عنهم، ومنهم من لم يؤيد أنه يخفف عنهم بل هم سواء في العذاب ولا يخفف عن الكافرين شيء من العذاب.

الرأي الأول: أنه يخفف عن الكافرين العذاب بما لهم من الحسنات، ومن العدل والإحسان إلى الخلق، وروى في ذلك ابن لَهيعة عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير واختاره ابن جرير الطبري.

وإن تفاوت أهل النار في العذاب بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، وذلك من قوله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير حول هذه الآية: وإن المقصود بها درجات أهل الجنة وأهل النار، يقول: أي ولكل عامل بطاعة اللَّه أو معصيته، منازل ومراتب يلقاها في آخرته إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، وقال ابن الجوزي: وإنما سميت درجاتٍ لتفاضلها في الارتفاع والأغطاط كتفاضل الدرج.

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هذه الآية

الكريمة: أي ولكل من الجن والإنس المكلفين، سواء العامل في طاعة اللَّه أم المعصية، درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة أو النار بحسب أعمالهم، وإن اللَّه سبحانه مطلع على كل الأعمال لا تخفى عليه خافية، يجازيهم عليها يوم المعاد.

وقال تعالى بعد أن ذكر عذاب أهل النار في سورة النبأ:

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾.

[سورة النبأ، الآية: ٢٦]

قال ابن عباس: في تفسير هذه الآية: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ جزاء وافق أعمالهم فليس عقاب من تغلظ كفره، وأفسد في الأرض، كمن ليس كذلك.

وكذلك استشهد بقوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٨٨]

وبقوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٦]

ويقول تعالى أيضاً في خصوص درجات العذاب في جهنم:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠]

وفي التفسير لهذه الآيات الكريمة:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ﴾ أي فوربك يا محمد لنحشرن

هؤلاء المكذبين بالبعث مع الشياطين الذين أغووهم، قال المفسرون: يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا﴾ أي نحضر هؤلاء المجرمين حول جهنم جثياً على الركب من شدة الهول والفزع، لا يطيقون القيام على أرجلهم لما يدهمهم من شدة الأمر ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي لنأخذن ولننزعن من كل فرقة وجماعة من المنافقين والكافرين ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ أي مَن منهم كان أعصى للَّه وأشد تمرداً، والمراد أنه يؤخذ من هؤلاء المجرمين الأعتى فالأعتى فيقذف به في نار جهنم، قال ابن مسعود: يُبدأ بالأكابر جُرماً ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ أي نحن أعلم بمن هم أحق بدخول النار والاصطلاء بحرها وبمن يستحق تضعيف العذاب فنبدأ بهم[١].

. . . إذاً فهذه الآيات تشير إلى تفاوت عذاب الكافرين، كلٌّ حسب عصيانه وشدة عصيانه ومحاربته للَّه سبحانه وللرسول ﷺ وللمؤمنين، فاللَّه أعلم بهم فرداً فرداً وجماعة جماعة، فهو أعلم بما كانوا يقولون ويكتمون ويبيتون من قول وفعلٍ ودسائسَ، وما يبطنون من الكره للَّه سبحانه ولرسوله ﷺ ولعامة المؤمنين.

وقد ذكر اللَّه سبحانه أمثال هؤلاء الذين كانوا أشد غيظاً وكرهاً للإسلام والمسلمين، فقد ذكرهم في القرآن الكريم وكيف كانوا يعضون على أصابعهم من شدّة الغيظ والحَنَق على المسلمين.

يقول تعالى:

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١١٩]

(١) صفوة التفاسير لمحمد الصابوني تفسير سورة مريم صفحة (٧٩٤).

فهؤلاء كانوا أشد بغضاً على المؤمنين وكانوا أشد إيذاء وعداوة وكرهاً واللَّه أعلم بهم، ومنهم مَنْ لم يكن على هذه الدرجة من الغيظ والكره، فاللَّه وحده أعلم يوم القيامة بمن هم أولى بالنار صلياً وأولى عذاباً بجهنم وأولى بالدركات السفلى من جهنم.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« **ما أحسن من محسن، كافر أو مسلم، إلا أثابه اللَّه عزّ وجلّ في عاجل الدنيا، أو ادَّخر له في الآخرة** »، قلنا: يا رسول اللَّه، ما إثابة الكافر في الدنيا؟ قال: « **إن كان وصل رحماً، أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه اللَّه المال والولد والصحة وأشباهَ ذلك** ». قلنا: ما إثابة الكافر في الآخرة؟ قال: « **عذاباً دون العذاب** » ثم تلا[1]:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾.

- وروى الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال: قالت عائشة: يا رسول اللَّه، عبد اللَّه بن جُدعان؟ قال: « **في النار** »، فجزِعت عائشة واشتدَّ عليها، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ذلك قال: « **يا عائشةُ لِمَ يشتد عليك مِن هذا؟** » قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، إنه كان يطعم الطعام ويصل الرحم، قال: « **إنه يهون عليه بما قلتِ** »[2].

وقد سبقت بعض الأحاديث في تخفيف العذاب عن أبي طالب بإحسانه إلى النبي ﷺ.

الرأي الثاني: إن الكافر لا يخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا ينتفع في الآخرة بشيء من الحسنات بأي حال.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والبزار في مسنده والخرائطي والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد كذلك رواه البيهقي في البعث والنشور.

(٢) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي وقال: خرّجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو مرسل.

حُجة أصحاب هذا الرأي قوله تعالى:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

ويقول أصحاب التفسير والرأي في هذه الآية الكريمة:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عَمَدنا إلى أعمال الكفار التي يعتقدونها بِراً كإطعام المسكين وصلة الأرحام ويظنون أنها تقربهم إلى اللَّه سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ أي جعلناه مثل الغبار المنثور في الجو لأنه لا يعتمد على أساس ولا يستند على إيمان، **قال الطبري**: أي جعلناه باطلاً لأنهم لم يعملوه للَّه سبحانه، وإنما عملوه للشيطان، والهباء هو الذي يُرى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كَوّة، والمنثور المتفرق، **وقال القرطبي**: إن اللَّه أحبط أعمالهم بسبب الكفر حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور(١).

وكذلك من حجة أهل هذا الرأي قوله تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ١٨]

وكذلك من حجة أهل هذا الرأي قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣٩]

وهنا ضرب اللَّه سبحانه مثلاً لهؤلاء الكفار الدعاة لكفرهم الذين

---

(١) الطبري ١٩/ ٣.

يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في حقيقة الأمر على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض من بُعد كأنه بحر طام، والقيعة جمع قاع وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب يُرى كأنه ماء بين السماء والأرض... فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، يحسَبه ماء قصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾.

كذلك الكافر، يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى اللَّه يوم القيامة، وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً من الحسنات بالكلية[١] كما قال تعالى:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

وقد ورد في السنة الشريفة حول هذا الرأي:

عن أنس رضي اللَّه عنه أنه قال: «**إن اللَّه لا يظلم مؤمناً حسنة يُعطىٰ بها في الدنيا ويجزىٰ بها في الآخرة، وأما الكافر، فيطعم بحسنات ما عمل بها في الدنيا حتى إذا أفضى للآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها**»[٢].

وفي رواية له أيضاً: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن اللَّه يدخر له حسناته في الآخرة، ويعقب له رزقاً في الدنيا على طاعته**».

... وللتوفيق بين هذين الرأيين نقول واللَّه المستعان:

إن جميع أعمال الكفار في الدنيا والتي فيها نوع من الحسنة أو الإحسان كدفع مالٍ لفقير محتاج، أو في بناء مدرسة أو دار أيتام أو

(١) مختصر ابن كثير صفحة (٦١١) جزء (٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

دار عَجزة، وهذا يحصل في دار الكفر وفي كل مكان، فإنها وإن قامت فإنها لا تقوم إلا لمصلحة، أو معتقدٍ فاسد، لأن اللَّه سبحانه لا يضيع عملاً من أحد من خلقه ابتغى به الخير إلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.. لأن العمل الذي يكون خالصاً للَّه تنتفي عنه صفات الكذب والرياء أو مُراءاة الناس لأن فيه قِمة الصدق والإخلاص.

كما يقول تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٧٢]

فإذا كان اللَّه سبحانه جعل إنفاق وعمل الكافرين في الدنيا هباءً منثوراً، ذلك لأنه لم يكن ابتغاء مرضاة اللَّه سبحانه:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

فليس لهم عليه أجر يوم القيامة أو حسنات يرفعون بها ـ كما للمؤمن باللَّه حق إيمانه، فإن أي عمل يقدمه المؤمن خالصاً للَّه سبحانه مبتغياً رضا اللَّه سبحانه ووعده بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة إلا أجره اللَّه سبحانه عليه يوم القيامة ورفعه درجاتٍ عاليةً، والآيات في هذا الأمر كثيرة.

يقول تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦٥]

وكذلك عظم اللَّه الأجر للعمل الصالح أو الإنفاق في سبيله خالصاً لوجهه الكريم: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٦١]

فإذا كان العبد مؤمناً فلا تعلم مقدار كرم اللَّه سبحانه معه، حيث يفتح له أبواب رحمته ويعطيه من لدنه أجراً عظيماً.. يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

فالمؤمن المخلص مأجور من اللَّه سبحانه على كل خير وإنفاق وإحسان، وهذا مما يرفع درجته يوم القيامة حيث يشاء اللَّه.

والكافر غير مأجور من اللَّه سبحانه على عمل الخير من إنفاق وإحسان يوم القيامة، لأنه نال أجره في الدنيا ولم يكن عمله خالصاً للَّه سبحانه، ولا في سبيل اللَّه الواحد الأحد، ولكن من عدل اللَّه المطلق ومن صفته أنه أحكم الحاكمين وأعدل العادلين وأنه ليس بظلام للعبيد، يخفف عنه بعض العذاب أو يجعله في درْك أقلَّ من دركات الذي وصفه اللَّه بالعتل الأثيم والجبار المتكبر كما قدمنا في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ۞ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٦٩ ـ ٧٠]

ومن هذا نقول: إن الكافر الذي أحسن ببعض عمله في الدنيا لا يؤجر على عمله في الآخرة، ولكن يخفف عنه العذاب في النار بقدر ما أحسن، ذلك أن الأجر يكون لدخول الجنة ورفع الدرجات. واللَّه أعلم.

أنواع العذاب في نار جهنم

مدخل:

دخول المشركين والكافرين والمنافقين النار أمرٌ حتمي، جزاءً وفاقاً لكفرهم وشركهم ونفاقهم.

ولكن اللَّه سبحانه أعدَّ لهم في نار جهنم أنواعاً وصنوفاً من العذاب تتوافق مع شركهم وكفرهم ونفاقهم وشدة عداوتهم للَّه سبحانه ولرسوله وللمؤمنين، فاللَّه سبحانه لا يعزب عنه شيء لا في الأرض ولا في السماء، وكذلك لا يعزب عنه ما فعل هؤلاء المجرمون في الدنيا وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وما يكون من نجوى اثنين إلا كان اللَّه ثالثهما.

فالإنسان في الدنيا مراقب مراقبة شديدة من اللَّه سبحانه، بدأها سبحانه بإخبارنا بأنه يعلم ما في النفوس وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٦]

ثم بيَّن لنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض. يقول تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

[سورة سبأ، الآية: ٣]

كذلك يبيِّن لنا أنه لا يكون من نجوى اثنين إلا كان هو ثالثهما، ومهما تكتَّما وغلَّقا الأبواب.

يقول تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. [سورة المجادلة، الآية: ٧]

وقد بيّن اللّه سبحانه لنا في كتابه الكريم أن جلود الكافرين وأيديهم وأرجلهم ستشهد عليهم يوم القيامة بما كانوا يقولون ويعملون.

يقول تعالى:

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

من هذا العلم الإلٰهي العظيم يتبيَّن لنا أن المجرمين والمشركين والمنافقين ليسوا بمعجزين للّه سبحانه، وهو مطلع عليهم جميعاً، وأعلم بكل فرد منهم وبما كان ينوي ويمكر ويخطط، وأعلم بكل اثنين وبما كانا يتآمران فيه على المسلمين والإسلام وعلى اللّه سبحانه ورسوله وجميع الرسل، وأعلم بكل مجموعة بما تخطط لقتل المؤمنين أو حربهم أو ذلهم أو الاعتداء عليهم، وسرقة أموالهم وقوتهم وأخذ أرضهم وطردهم منها ـ إلخ من آلاف الأقوال والأفعال لأولئك الكفرة الفجرة الذين عادوا اللّه أشد العداء واتخذوا من دونه آلهة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٥]

ويوم القيامة وعند الحساب والعرض على اللَّه سبحانه تتكشف الأمور وتظهر حقائق أولئك الكافرين، فيتساقطون في جهنم جماعات جماعات وأمماً أمماً، واللَّه أعلم بهم جميعاً، وأعدَّ لهم من صنوف العذاب وأنواعه حسب جرائمهم وما مكروا وفسدوا وأفسدوا وضلوا وأضلوا. وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم صنوفاً وأنواعاً من هذا العذاب.

النوع الأول: سحب الكافرين على وجوههم في النار:

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۞ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾.

[سورة القمر، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

قال قتادة: يسحبون في النار مرة وفي الجحيم مرة.

ويقول تعالى:

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

[سورة غافر، الآيات: ٧٠ ـ ٧٢]

وكما قال تعالى:

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٤٤]

النوع الثاني: الحشر على الوجوه إلى نار جهنم وهم عمي وبكم وصم، يقول تعالى:

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٩٧]

النوع الثالث: الذين تقلب وجوههم في النار ولا يكفونها عن وجوههم.

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٦]

ويقول تعالى:

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٩]

ويقول تعالى:

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣٤]

النوع الرابع: الصَّهر:

يقول تعالى:

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢١]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعود كما كان**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال: حسن غريب صحيح.

النوع الخامس: المكان الضيق:

ومن الكافرين والمشركين والمنافقين من يُلقى في جهنم من مكان ضيق على قدر حجمه، وهذا صنف من صنوف العذاب، ونوع من الأنواع الكثيرة التي أعدَّها اللَّه سبحانه لهؤلاء الكفرة الفجرة... وهذا لا يتنافى مع ما تقدَّم من أن الكافر يعظم جسده في النار حتى يكون ضرسه كجبل أحد، وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام، وكذلك جلده مسيرة ثلاثة أيام كما تقدَّم مع ذكر الأحاديث الصحيحة.. ونقول: لكل من المشركين والكافرين والمنافقين حال، وتختلف صنوف العذاب ودرجاته أيضاً كما تقدَّم.

... وكما قلنا كثيراً في أجزاء الموسوعة: إن يوم القيامة لا يكون على حال واحدة بل على حالات كثيرة وتتعدد فيه المواطن. فموطن يكون الكافرون فيه لا يسمعون ولا يرون ولا يتكلمون، وموطن يسمعون ويتكلمون ويرون، فيوم القيامة خمسون ألف سنة تتغير فيه المواطن والأحوال حسب ما يشاء اللَّه سبحانه ويريد.

... فمثلاً المتكبرون يحشرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم لذلهم وهوانهم عند اللَّه سبحانه.

وأيضاً هذا لا يعني أن الكافر له حال واحدة في النار يتعذب خالداً فيها بل تتنوع صنوف العذاب... ومن هذه الأحوال فإن اللَّه سبحانه يلقى الكفرة في جهنم مقيدين ومن مكان ضيق:

يقول تعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۞ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۞ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيات: ١١ - ١٤]

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ أي بل كذبوا بالقيامة ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ أي وهيأنا لمن كذَّب بالآخرة ناراً شديدة الاستعار، **قال الطبري**: المعنى ما كذب هؤلاء المشركون باللّه وأنكروا ما جئتهم به من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، ولكنْ من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد تكذيباً منهم بالقيامة، وأعددنا لمن كذَّب بالبعث ناراً تسعَّر عليهم وتتَّقد[١]، ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ أي إذا رأت جهنم هؤلاء المشركين من مَسافة بعيدة وهي خمسمِائة عام ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ أي سمعوا صوت لهيبها وغليانها كالغضبان إذا غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها صوتاً كصوت الحمار وهو الزفير، **قال ابن عباس**: إن الرجل ليُجرُّ إلى النار فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرةً لا يبقى أحدٌ إلا خاف[٢]، وتقييد الرؤية بالبعد ﴿ مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ فيه مزيد تهويل لأمرها ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ أي وإذا أُلقوا في جهنم مِن مكان ضيّق، **قال ابن عباس**: تضيق عليهم ضيق الزُّج في الرُّمح[٣] ـ الزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح ـ ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي مصفَّدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي دعوا في ذلك المكان على أنفسهم بالويل والهلاك يقولون: يا هلاكنا، نادوه نداء المتمني للهلاك ليسلموا مما هو أشدُّ منه كما قيل: أشدُّ من الموت ما يُتمنى معه الموت ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ أي يقال لهم: لا تدعوا اليوم بالهلاك على أنفسكم مرةً واحدة بل ادعوا مراتٍ ومراتٍ، فإن ما أنتم فيه من العذاب الشديد يستوجب تكرير

(١) الطبري ١٨/ ١٤٠.
(٢) ابن كثير ٢/ ٦٢٦ المختصر.
(٣) البحر/ ٤٨٥.

الدعاء في كل حين وآن، وفيه إقناطٌ لهم من استجابة الدعاء وتخفيف العذاب[(١)].

وفي **تفسير ابن كثير** حول هذه الآيات الكريمة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾. يقولون هكذا تكذيباً وعناداً، لا أنهم يطلبون ذلك تبصراً واسترشاداً، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال، ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي أرصدنا ﴿لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ أي عذاباً أليماً حاراً لا يطاق في نار جهنم، وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني في مقام المحشر، **قال السدي**: من مسيرة مِائة عام حنقاً ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ أي حَنَقاً عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٧، ٨]

أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر باللَّه. عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد اللَّه بن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم، فمروا على حداد، فقام عبد اللَّه ينظر إلى حديدة في النار، وينظر الربيع بن خيثم إليها، فتمايل الربيع ليسقط، فمر عبد اللَّه على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد اللَّه والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ فصعق، يعني الربيع، وحملوه إلى أهل بيته، فرابطه عبد اللَّه إلى الظهر، فلم يفق رضي اللَّه عنه. وعن مجاهد بإسناده إلى ابن عباس قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتنزوي وتنقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لك؟ قالت: إنه يستجير مني، فيقول:

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٩٢٢، ٩٢٣).

أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول: يا رب ما كان هذا الظن بك، فيقول: فما كان ظنك؟ فيقول: أن تسعني رحمتك، فيقول: أرسلوا عبدي، وإن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهقة البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف[١]. وقال **عبيد بن عمير** في قوله: ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ قال: إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرَّ لوجهه، تُرْعَد فرائصه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجثو على ركبتيه، ويقول: رب لا أسألك اليوم إلا نفسي[٢]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ **قال قتادة**: مثل الزج في الرمح أي من ضيقه، وسئل رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ ﴾ قال: « **والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط** » وقوله: ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ يعني مكتفين ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي بالويل والحسرة والخيبة، ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا ﴾ الآيةَ. روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « **أول من يكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده، وهو ينادي: يا ثبوراه، وينادون: يا ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فيقول: يا ثبوراه، ويقولون: يا ثبورهم، فيقال لهم**: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ » . **عن ابن عباس**: أي لا تدعوا اليوم ويلاً واحداً وادعوا ويلاً كثيراً، **وقال الضحاك**: الثبور الهلاك، والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار، كما قال موسى لفرعون: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ أي هالكاً. **وقال كعب**: إن في جهنم

---

(١) ذكره ابن جرير رحمه الله في تفسيره، وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق عن مجاهد عن عبيد بن عمير.

تنانيرَ، ضيقها كضيق زُجّ رمح أحدكم، ثم يطبق على أناس بأعمالهم، وقد سبق ذكره.

قال آدم بن إياس: أنبأنا المسعودي، عن يونس بن خباب، عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه، قال: إذا بقي في النار من يخلد فيها، جعلوا في توابيت من نار، ثم قذفوا في نار الجحيم، فيرون أنه لا يعذب في النار غيرهم، ثم تلا ابن مسعود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٠]

وخرّجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود وعنده: «**فلا يَرى أحداً يعذب في النار غيره**»(١).

النوع السادس: التردِّي من جبل:

ومن أنواع العذاب في جهنم من يعذّب في الصعود إلى أعلى النار ثم يهوي فيها كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

[سورة المدثر، الآية: ١٧]

وقد سبق أن بيَّنَّا هذا في فِقْرة سابقة.

. . . ومنهم من يكلّف صعود جبل في النار والتردي منه.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسُمّ، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل، فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»(٢).

---

(١) كتاب التخويف من النار لابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة (١٩٤، ١٩٥).
(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهذا الحديث الصحيح يدل دلالة قطعية على أن التردي من جبل ثم الهَوِيِّ إلى الأسفل نوع من أنواع العذاب في نار جهنم والله أعلم.

النوع السابع: جَرُّ الأمعاء.

ومن الكفرة من يكون عقابه أن يدور في النار كما يدور الحمار برحاه يجر أمعاءه وهو يدور بها.

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما لك ما شأنك؟ ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»[١].

. . . أقتابه: أمعاؤه ـ الرحى: حجر الطاحون تدور به الدابة للطحن.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الفصل الخامس

أحوال أهل النار في النار

- استغاثة أهل النار ربهم بأن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً .
- خصام أهل النار من الجن والإنس عند اللَّه سبحانه .
- خصام أهل النار في النار ولعن بعضهم بعضاً .
- تبرُّؤ الشيطان من أتباعه في نار جهنم .
- من أشدِّ العذاب صبّ الحميم فوق الرؤوس .
- من أشدِّ العذاب النار التي تطلع على الأفئدة وهي عليهم مؤصدة في عمد ممدَّدة .
- كثرة أهل النار .
- ما السبب في كثرة أهل النار؟
- لماذا أكثر من يدخل النار من النساء؟

أحوال أهل النار في النار

استغاثة أهل النار ربهم بأن يرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحاً

. . . في الحياة الدنيا قبل الآخرة وعلى طول أمدها بعث اللّٰه سبحانه المرسلين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب السماوية. . من أجل أن يؤمن الناس باللّٰه سبحانه، وما أرسل اللّٰه سبحانه من رسول إلا ليطاع بإذنه، لا أن يتركه قومه دون أن يؤمنوا باللّٰه سبحانه وبرسالته وباليوم الآخر.

يقول تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٦٤]

. . . وليس من قرية أو مدينة أو قوم إلا أرسل اللّٰه سبحانه لهم الرسل، وأنذرهم لقاء اللّٰه يوم القيامة، ذلك حتى لا يكون للناس حجة يوم القيامة أنه ما أتاهم من نذير.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٢٤]

ويقول تعالى:

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا

جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ١٩]

بل أنذرهم اللَّه سبحانه وعلى لسان جميع الأنبياء والمرسلين وفي كل كتبه السماوية، وكذلك أمر اللَّه سبحانه أنبياءه ورسله أن يصبروا على أقوامهم ويصطبروا حتى وإن طال الوقت والزمن في دعوتهم وإرشادهم وهدايتهم، وهذا نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. . . كل ذلك أيضاً كي لا يكون للناس حجة يوم القيامة أن رسل اللَّه لم يصبروا عليهم ولم يعطوهم الوقت الكافي كي يهتدوا ويعودوا إلى اللَّه سبحانه. . . وما من رسول أرسله اللَّه سبحانه إلا كان التبشير على لسانه قبل الإنذار، التبشير بكرم اللَّه سبحانه وإحسانه وما أعدَّ للمؤمنين من عظيم النعيم والهناء والحياة الخالدة في جنات اللَّه الخالدة.

والقرآن الكريم توسَّع في تفصيل كل هذا، في قصص الأنبياء والمرسلين ودعوتهم لأقوامهم وهدايتهم لهم. . . ولو ذكرنا ما ذكره القرآن الكريم لكنا بحاجة إلى بحث طويل في هذا الخصوص.

ومما قاله تعالى في القرآن الكريم على لسان أنبيائه في دعوتهم لأقوامهم حيث استعملوا معهم أساليب الهداية والإرشاد والتنبيه والنصح.

يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨]

. . . فإذا ما عاين أهل النار جهنم ووقفوا عليها ومن ثمَّ سقطوا فيها، ورأوا العذاب الذي وعدهم اللَّه سبحانه به، ورأوا أن وعد اللَّه حق وأن النار حق كما أن الجنة حق لأصحابها، يستغيثون باللَّه سبحانه أن يعيدهم مرة أخرى إلى الدنيا ليؤمنوا باللَّه وباليوم الآخر ويعملوا صالحاً.

. . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن استغاثة الكافرين وحتى العصاة تبدأ من لحظة الموت، أو عندما يعاينون الموت ويتأكدون أنه آتيهم، ولم يبق بينهم وبينه إلا القليل، يسألون اللَّه أن يؤخِّرهم ليعملوا صالحاً ويتصدقوا ويكونوا من الصالحين.

يقول تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۞ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١]

ويقول تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٠]

ويقول تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا

فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[سورة السجدة، الآيات: ١٢ ـ ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ .

[سورة المؤمنون، الآيات: ٩٩ ـ ١٠٤]

خصام أهل النار من الجن والإنس عند اللَّه سبحانه

إن الكفار والمشركين والمنافقين يوم القيامة يحاولون الخلاص من العذاب الذي أصبح محتماً عليهم لا رجوع فيه ولا خلاص لهم منه. فَيُرجع كل من المجرمين سبب كفره وجحوده وشركه إلى الآخرين لعلَّ اللَّه سبحانه (حسب ظنهم) أن يرحمهم... ويخلصوا من العذاب.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۞ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۞ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۞ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٢٣ ـ ٣٠]

يقول تعالى مخبراً عن المَلَكِ الموكل بعمل ابن آدم، أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي معتد حاضر بلا زيادة ولا نقصان، **وقال مجاهد:** هذا كلام الملك السائق يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقد اختار **ابن جرير** أنه يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة، فعند ذلك يحكم اللَّه تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ، وقد اختلف

النحاة في قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾، فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد. فالسائق أحضره إلى موقف عَرَصة الحساب، فلما أدّى الشهيد عليه، أمرهما اللَّه تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي كثير الكفر والتكذيب بالحق ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق، لا بر ولا صلة ولا صدقة، ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي فيما ينفقه ويَصْرفه، يتجاوز فيه الحد، وقال قتادة: معتد في منطقه وسيره وأمره، ﴿مُّرِيبٍ﴾ أي شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي أشرك باللَّه فعبد معه غيره، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾، عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يخرج عنق من النار يتكلم يقول: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، ومن جعل مع اللَّه إلٰهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم**»[1]. ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ **قال ابن عباس ومجاهد:** هو الشيطان الذي وكل به، ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه، فيقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي ما أضللته، ﴿وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي بل كان هو في نفسه ضالاً، معانداً للحق، كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢]

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ يقول الرب عزّ وجلّ

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي: يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ أي عن منهج الحق، فيقول الرب عزّ وجلّ لهما: ﴿لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ أي عندي، ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ أي قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبراهين، ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاض، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ أي لست أعذِّب أحداً بذنب أحد، ولكن لا أعذِّب أحداً إلا بذنبه، بعد قيام الحجة عليه.

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: هل امتلأت؟ وهي تقول: هل من مزيد؟ أي هل بقي شيء تزيدونني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث، روى البخاري عند تفسير هذه الآية، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ اللَّه خلقاً آخر فيسكنهم اللَّه تعالى في فضول الجنة**»[١]. عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال اللَّه عزّ وجلّ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذِّب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع**

(١) رواه الإمام أحمد، وروى مسلم نحوه في صحيحه.

رجله فيها فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه عزّ وجلّ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن اللَّه عزّ وجلّ ينشئ لها خلقاً آخر»(١). عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى بينهما، فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذّب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها**»(٢). وعن عكرمة ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: وهل فيَّ مزيد؟ وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا، فعند هؤلاء أن قوله تعالى: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ إنما هو بعدما يضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذٍ: هل بقي فيَّ مزيد يسع شيئاً؟ قال العوفي عن ابن عباس: وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة، واللَّه أعلم(٣).

ويقول تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآيتان: ٣١، ٣٢]

والمعنى: إنكم تجتمعون عند ربكم في الدار الآخرة وتختصمون أمام اللَّه سبحانه فيما بينكم من أمر الدنيا والدين وغيرهما من الاتهامات والادعاءات، ثم يفصل اللَّه بينكم وهو أحكم

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.
(٢) رواه البخاري في صحيحه.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٣٧٥، ٣٧٦).

الحاكمين.. وليس أحد أظلمَ ممن نسب الشريك والولد للَّه سبحانه، وكذب بالقرآن الكريم وقت نزوله من غير تدبر وتأمل، فكفر باللَّه، وكذلك كل من كذب بالقرآن الكريم وإلى يوم القيامة فهو ظالم وكافر ويستحق كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ نعم إن مأوى ومقام أولئك الكفرة جهنم خالدين فيها أبداً.

خصام أهل النار
في النار ولعن بعضهم بعضاً

يتخاصم أهل النار في النار ويلعن بعضهم بعضاً، ويلعن أولهم آخرهم وآخرهم أولهم، ويكونون أعداء بعضهم بعضاً.

... ويقول آخرهم: ربنا آت أولئك الذين أضلونا ضعفين من العذاب، ويسألون الله أن يريهم أولهم ومن كان سبب ضلالهم أو من أضلهم عن الذكر، حتى يجعلوهم تحت أقدامهم، وتراهم يتبرأ بعضُهم من بعض ويتهم بعضهم بعضاً.

يقول تعالى:

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآيات: ٣٨ ـ ٤١]

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي يقول اللّه تعالى يوم القيامة لهؤلاء المكذبين بآياته: ادخلوا مع أمم أمثالكم من الفجرة في نار جهنم من كفار الأمم الماضية من الإنس والجن ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي كلما دخلت طائفة النار، لعنت التي قبلها لأنهم سبب ضلالهم. **قال الآلوسي**: يلعن الأتباع القادة يقولون: أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم اللّه تعالى[١]، والمراد أن أهل النار يلعن بعضهم بعضاً كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٥]

﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي تلاقوا واجتمعوا في النار كلهم ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي قال الأتباع للقادة والرؤساء الذين أضلوهم: يا ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن سبيلك وزينوا لنا طاعة الشيطان ﴿ فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي أذقهم العذاب مضاعفاً لأنهم تسببوا في كفرنا ونظير هذه الآية ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ . . . ﴾ .

[سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٧، ٦٨]

---

(١) روح المعاني ٨/ ١١٦.

﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي لكل من القادة والأتباع عذاب مضاعف، أما القادة فلضلالهم وإضلالهم، وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

أي لا تعلمون هوله، ولهذا تسألون لهم مضاعفة العذاب ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٩]

أي قال القادة للأتباع: لا فضل لكم علينا في تخفيف العذاب، فنحن متساوون في الضلال وفي استحقاق العذاب الأليم ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٩]

أي فذوقوا عذاب جهنم بسبب إجرامكم، قالوه لهم على سبيل التشفي لأنهم دعَوْا عليهم بمضاعفة العذاب ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي لا يصعد لهم عمل صالح كقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ١٠]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يرفع لهم منها عمل صالح ولا دعاء، وقيل: لا تُفتَّح لأرواحهم أبواب السماء إذا قبضت أرواحهم، ويؤيده حديث رسول الله ﷺ: « **إن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا يجيئه ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة، فلا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له** » . . . رواه الإمام أحمد ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي لا يدخلون يوم القيامة الجنة حتى يدخل الجمل في ثَقْب الإبرة، وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة كاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثَقب الإبرة على دقته مبالغة في التصوير ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي أهل العصيان والإجرام ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي لهم فراش من النار من تحتهم ﴿ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي ومن فوقهم أغطية من النار ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٤١]

أي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي كل من ظلم وتعدّى حدود الله(١) .

---

(١) صفوة التفاسير صفحة (٤١٦، ٤١٧).

وقال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٢٩]

يقولون ذلك من شدة ما يلاقونه من عذاب النار، إنهم يتمنون أن يروا أولئك الذين أضلوهم في الحياة الدنيا ـ عن وحدانية اللَّه وعن طاعة اللَّه وعن عبادة اللَّه والعمل الصالح ـ وهذا من شدة غيظهم وحَنَقهم على أولئك الذين كانوا سبب خلودهم في النار.

وقال تعالى:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٥]

ذلك أنكم اتخذتم هذه الأوثان لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة ومودة. ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي تتجاحدون ما كان بينكم ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع ـ ومصيركم جميعاً إلى النار ومرجعكم بعد عَرَصات الدنيا إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم من عذاب اللَّه(١).

ويقول تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٧]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (٣) صفحة (٣٤).

وقال ابن كثير: الأصدقاء والأحباب يوم القيامة يصبحون أعداء، إلا من كانت صداقته ومحبته للّه، وكل خلة وصداقة لغير اللّه فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان للّه عزّ وجلّ، فإنه دائم بدوامه، **قال ابن عباس**: صارت كل خُلّة عداوة يوم القيامة إلا خُلة المتقين.

ويقول تعالى:

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢١]

يقول تعالى: ﴿ وَبَرَزُواْ ﴾ أي برزت الخلائق كلها للّه الواحد القهار، وهو المكان الذي ليس فيه شيء يستر أحداً، ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ وهم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ ﴾ عن عبادة اللّه وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، قالوا لهم: ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ أي بما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ أي فهل تدفعون عنا هنا شيئاً من عذاب اللّه كما كنتم تعدوننا وتمنوننا، فقالت القادة لهم: ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ ﴾ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ أي ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا منه. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قالوا: تعالوا فإنما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم إلى اللّه عزّ وجلّ، تعالوا نبكِ ونتضرعْ إلى اللّه، فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا أنه لا ينفعهم، قالوا: إنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا

حتى نصبر فصبروا صبراً لم يُر مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾. قلتُ: والظاهر أن هذه المراجعة في النار بعد دخولهم إليها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٤٧]

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٣٨]

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٧]

وأما تخاصمهم في المحشر فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾(١).

[سورة سبأ، الآيتان: ٣١، ٣٢]

وجعل اللَّه سبحانه تخاصم أهل النار من الحق وهم في النار يصطلون.

يقول تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة ص، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩٥.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ ؟ أي وقال الطغاة من رؤساء الكفر وأئمة الضلال: ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعدُّهم في الدنيا من الأشرار؟ يعنون بهم المؤمنين. **قال ابن عباس**: يريدون أصحاب محمدﷺ، يقول أبو جهل: أين بلال، أين صهيب، أين عمار؟ أولئك في الفردوس! وا عجباً لأبي جهل! مسكين، أسلم ابنهُ عِكرِمة، وابنته جويرية، وأسلمت أمه، وأسلم أخوه وكفر هو[١]. قال ابن كثير: هذا إخبار عن الكفار في النار، أنهم يفتقدون عمَّاراً وصهيباً وفلاناً وفلاناً؟ وهذا ضُرِبَ مَثلاً وإلا فكل الكفار هذه حالهم، يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار، فلما دخلها الكفار افتقدوهم فلم يجدوهم[٢]، ثم قال: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ؟ أي يؤنبون أنفسهم قائلين: أجعلنا هؤلاء المؤمنين في الدنيا هزءاً وسخرية؟ أم هم معنا في النار ولكن لا نراهم؟ **قال البَيضاوي**: إنكار على أنفسهم وتأنيب لها في الاستسخار من المؤمنين، كأنهم قالوا: ليسوا ههنا في النار؟ أم مالت عنهم أبصارُنا فلا نراهم[٣]؟ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من أقوال أهل النار وتخاصمهم، لهو الحق الذي لا بدّ وأن يتكلموا به، فنحن نخبرك عن تخاصمهم في جهنم، وعن أقوالهم وهم فيها. **قال الرازي**: وإنما سمىٰ اللَّه تعالى تلك الكلمات تخاصماً لأن قول الرؤساء: ﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ وقول الأتباع: ﴿ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ يُعدُّ من التخاصم.

ويقول تعالى:

﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۞ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا

(١) تفسير القرطبي ١٥/ ٢٢٤.
(٢) مختصر ابن كثير.
(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ١٥١.

بِكُمْۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ * قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة ص، الآيات: ٥٩ ـ ٦١]

ثم حكى القرآن الكريم ما يقال للرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْۚ﴾ أي تقول لهم خزنة جهنم: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار، ودخلوها بصحبتكم كما اقتحموا معكم في الجهل والضلال، لا أهلاً ولا مرحباً بهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ أي إنهم ذائقو النار، وداخلوها كما دخلتموها أنتم. قال الرازي: والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها، وهذا من كلام خزنة جهنم لرؤساء الكفرة عن أتباعهم، والعرب تقول لمن يدعون له: مرحباً أي أتيت رُحباً في البلاد لا ضيقاً، ثم يدخلون عليها كلمة «لا» في دعاء السوء[(١)]. ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ﴾ أي قال الأتباع للرؤساء الطغاة الذين أضلوهم: بل أنتم لا أهلاً بكم ولا مرحباً. قال المفسرون: عندما يدخل الأتباع جهنم تتلقاهم الرؤساء بقولهم: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْۖ﴾ أي لا تلقون هنا رحباً ولا خيراً ـ وهذه تحية أهل النار. وهذا على حد قول القائل: «**تحية بينهم ضرب وجيع**»، فكذلك أهل النار يتلقون بعضهم باللعنات والشتائم بدل التحية والسلام، ثم يعلِّل الأتباع ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ أي أنتم قدَّمتم لنا هذا العذاب وكنتم السبب في ضلالنا، فبئس المنزل والمستقر لنا ولكم نار جهنم ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ هذا أيضاً من كلام الأتباع دعوا اللَّه أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو

(١) التفسير الكبير للرازي ٢٦/ ٢٢٢.

كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ والضعف زيادة المثل[١]. قال البيضاوي: وقال الأتباع أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مضاعفاً، وذلك أن يزيد على عذابه مثلُه فيصيرَ ضعفين[٢].

(١) التسهيل في علوم التنزيل ٣/ ١٨٨.

(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ١٥١.

تبرُّؤ الشيطان من أتباعه في نار جهنم

إن من أشد آلام الكافرين في النار تبرؤَ الشيطان منهم، الذي كان يعدهم ويمنيهم ويؤملهم بالآجال وتأخير حلول الأعمال، ويأمرهم بالبخل على عباد اللّه، ويدفعهم إلى الضلالة والكفر والشرك باللّه العظيم ويدفعهم إلى الظلم واتباع الشهوات. . .

والآيات القرآنية الكريمة كثيرة في علاقة الشيطان بأتباعه وما يأمرهم به واستجابتهم له. . . رغم تحذير اللّه سبحانه بأن الشيطان عدو للإنسان لا يدلّه إلا على طريق الضلال والمنكرات. . . وإذا تحدَّثنا في هذا الخصوص فإن البحث يطول. . . ولكن نذكر بعض الآيات القرآنية، وكيف بيَّن اللّه سبحانه لعباده عداوة الشيطان وضلال الشيطان وكفر الشيطان، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

[سورة يوسف، الآية: ٥]

ويقول سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

[سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦]

وقد بيَّن اللَّه سبحانه أن الشيطان لا يعِد أولياءه إلا غروراً.

يقول تعالى:

﴿ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . [سورة الإسراء، الآية: ٦٤]

وقد توعَّد اللَّه سبحانه الشيطان ومن تبعه من الإنس نار جهنم خالدين فيها، يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٦٣]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . [سورة الحجر، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

فإذا جاء وعد الآخرة، ورأى جميع الكفرة وعد اللَّه ليوم القيامة أنه حق، تبرأ التابع من المتبوع، والمتبوع من التابع، والشيطان من حزبه وأتباعه، وأتباعه من الشيطان، وتبرأ الفاسق من الفاسق، والضال من الضال، والكافر من الكافر، والمشرك من المشرك، وكل كافر ومشرك يُرجع سبب كفره وشركه إلى الآخرين، وقد بيّنا تخاصم أهل النار عند ربهم وتخاصم بعضهم مع بعض.

ومن أشدِّ الخصام وتبرؤ بعضهم من بعض خصام وتبرؤ الشيطان من أتباعه، وأول ما يقول الشيطان يوم القيامة: إن اللَّه وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم موعدي. يقول تعالى:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ

إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

[سورة الحشر، الآيتان: ١٦، ١٧]

ويقول تعالى

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ .

[سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ ـ ٣٩]

وبما أن اللَّه سبحانه جعل من الحق تخاصم أهل النار. . . وبما أن الشياطين والكفرة من الإنس من أهل النار فلا بدَّ من تخاصم في النار بعد أن حق عليهم قول اللَّه سبحانه أنهم في النار. . . ويكون السؤال ممن كَفَر من الإنس للشياطين: أين ما وعدتمونا وقد اتخذناكم أولياء من دون اللَّه، مع أن اللَّه سبحانه حذَّرنا ألا نتخذكم أولياء من دونه فعصينا اللَّه سبحانه واتخذناكم أولياء، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب اللَّه من شيء؟؟

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

يخبر تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعدما قضى اللَّه بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين النار، فقام فيهم إبليس لعنه اللَّه يومئذٍ خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم وغبناً إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ أي على ألسنة رسله ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعداً حقاً وصدقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١١٠]

قال:

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به، ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاؤوكم به، فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ اليوم، ﴿وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فإن الذنب ذنبكم لأنكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ أي بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال، ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ **قال قتادة**: أي بسبب ما أشركتموني من قبل، **قال ابن جرير**: يقول: إني جحدت أن أكون شريكاً للَّه عزّ وجلّ، وهذا الذي قاله هو الراجح، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآيتان: ٥، ٦]

وقال: ﴿ كَلَّآ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٨٢]

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي في إعراضهم عن الحق واتِّباعهم الباطل ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، والظاهر من سياق الآية أن هذه الخُطبة تكون من إبليس بعد دخولهم النار كما قدَّمنا، قال الشعبي: يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس، يقول تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؟

[سورة المائدة، الآية: ١١٦]

قال: ويقوم إبليس لعنه اللَّه فيقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي ﴾ الآية.

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢]

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صاروا إليه من الخزي والنكال، وأن خطيبهم إبليس، عطف بمآل السعداء، فقال: ﴿ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ سارحة فيها حيث ساروا وأين ساروا، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ ماكثين أبداً لا يحولون ولا يزولون ﴿ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾.

كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٧٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾.

[سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

[سورة يونس، الآية: ١٠]

وقال الصابوني في تفسير هذه الآيات العظيمة والمهمة في هذا المقام: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ هذه هي الخطبة البتراء التي يخطب بها إبليس في محفِل الأشقياء في جهنم، أي لما فُرِغَ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي وعدكم وعداً حقاً بإثابة المطيع وعقاب العاصي فوفَّى لكم وعده ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ ﴾ أي وعدتكم ألّا بعثَ ولا ثواب ولا عقاب فكذبتكم وأخلفتكم وعدي ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي لم يكن لي قدرة وتسلّط وقهر عليكم فأقهرَكم على الكفر والمعاصي ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ أي إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بالوسوسة والتزيين فاستجبتم لي باختياركم ﴿ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ ﴾ أي لا ترجعوا باللوم عليَّ اليوم، ولكن لوموا أنفسكم، فإن الذنب ذنبكم ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا أنتم بمغيثي من عذاب اللَّه ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ ﴾ أي كفرت بإشراككم لي مع اللَّه في الطاعة ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي إن المشركين لهم عذاب مؤلم. قال المفسرون: هذه الخطبة إنما تكون إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، فيأخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه، فيقوم فيما بينهم خطيباً بما أخبر عنه القرآن الكريم. **وقال الحسن**: يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً. ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير صفحة (٢٩٥، ٢٩٦).

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ لما ذكر تعالى أحوال الأشقياء، ذكر بعدُ أحوال السعداء، ليبقى العبد بين الرغبة والرهبة، وبين الخوف والرجاء، أي أدخلهم اللَّه تعالى جناتٍ تجري من تحت قصورها أنهار الجنة ماكثين فيها أبداً بأمره تعالى وتوفيقه وهدايته ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي تحييهم الملائكة بالسلام مع الإجلال والإكرام[1].

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني صفحة (٦٧١، ٦٧٢).

من أشد العذاب
صبّ الحميم فوق الرؤوس

العذاب في جهنم عذاب شديد حتى على أهون أهل النار عذاباً، كما أوردنا في فِقرات سابقة، واللَّه سبحانه أعدَّ لهم أنواعاً وأصنافاً من العذاب الأليم الشديد القوي الذي يفوق غيره من أنواع العذاب، فالنار وعذابها دركات وأهلها درجات، فمنهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل، ومنهم العتل الشديد، ومنهم عدو اللَّه الأثيم. . . وعذاب صبّ الحميم من فوق الرؤوس الذي يغلي ويشتد ويغتاظ إذا ما أُلقيَ فوق رؤوسهم في عملية كأنها الصَّهر والذوبان من شدة الحميم، فيصهر ويذوب ويأتيه العذاب من كل مكان وما هو بميت، فيعاد كما كان ثم يصهر ويذوب وما هو بميت.

يقول تعالى:

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١٩ ـ ٢٢]

قال عكرمة: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هي الجنة والنار، قالت النار: اجعلني للعقوبة، وقالت الجنة: اجعلني للرحمة، **وقول مجاهد وعطاء:** إن المراد بهذه الآية الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها، وتنتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها، فإن المؤمنين يريدون

نصرة دين اللَّه عزّ وجلّ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان وخذلان الحق وظهور الباطل، وهذا اختيار **ابن جرير** وهو حسن، ولهذا قال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي فصَّلت لهم مقطعات من النار، قال سعيد بن جبير: من نُحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ١٩، ٢٠]

أي إذا صبَّ على رؤوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة، وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء(١). وكذلك تذوب جلودهم.

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**إن الحميم ليصبّ على رؤوسهم، فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان**»(٢). وفي رواية: يأتيه الملك يحمل الإناء بكَلْبَتَيْن ممَّا في حرارته، فإذا أدناه من وجهه تكرهه، قال: فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه، فيفرغ دماغه، ثم يفرغ الإناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه، فذلك قوله: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾. عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض**»(٣). عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان، ولو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا**»(٤).

---

(١) قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم.
(٢) رواه ابن جرير والترمذي وقال: حسن صحيح، وروى ابن أبي حاتم بنحوه.
(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ قال: يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور، وقوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ قال سلمان: النار سوداء مظلمة لا يُضيء لهبها ولا جمرها، ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾، وقال زيد بن أسلم في هذه الآية: بلغني أن أهل النار لا يتنفسون براحة، وقال الفضيل بن عياض: واللَّه ما طمعوا في الخروج، إن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لمُوثقة، ولكن يرفعهم لهبها وتردهم مقامعها، وقوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ كقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ٢٠]

ومعنى الكلام أنهم يهانون بالعذاب قولاً وفعلاً(١).

وثبت في الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسَماً أن هذه الآية: ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر، وروى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى باللَّه منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء، فنحن أولى باللَّه منكم، فأفلج اللَّه الإسلام على من ناوأه، وأنزل: ﴿هَٰذَانِ

(١) تفسير ابن كثير صفحة (٥٣٥، ٥٣٦) مجلد (٢).

خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ . وقال مجاهد في هذه الآية: مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث، وقال مجاهد وعطاء في هذه الآية: هم المؤمنون والكافرون.

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ * كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ * إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ .

[سورة الدخان، الآيات: ٤٣ ـ ٥٠]

ولما ذكر اللَّه سبحانه الأدلة على القيامة، أردفه بوصف ذلك اليوم العصيب، فذكر وعيد الكفار أولاً ثم وعد الأبرار ثانياً للجمع بين الترهيب والترغيب فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ أي إن هذه الشجرة الخبيثة ـ شجرة الزقوم ـ التي تنبتُ في أصل الجحيم، طعام كل فاجر، ليس له طعام غيرها. قال أبو حيان: الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام، وفسر بالمشرك[١] ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾ أي هي في شناعتها وفظاعتها إذا أكلها الإنسان كالنحاس المذاب الذي تناهى حرُّه، فهو يُجرجر في البطن ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي كغليان الماء الشديد الحرارة. قال القرطبي: وشجرة الزقوم هي الشجرة التي خلقها اللَّه في جهنم وسمَّاها الشجرةَ الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، فغلت في بطونهم كما يغلي الماء الحار، وشبَّه تعالى ما يصير منها إلى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب، والمراد بالأثيم الفاجر ذو الإثم وهو أبو جهل، وذلك أنه كان يقول: يعدنا محمد أن في جهنم الزقومَ، وإنما هو الثَّريد بالزُّبد والتمر[٢]، ثم يأتي

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٩.
(٢) تفسير القرطبي ٦/ ١٤٩.

بالزبد والتمر ويقول لأصحابه: تزقموا، سخريةً واستهزاءً بكلام اللَّه، قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي يُقال للزبانية: خذوا هذا الفاجر اللئيم فسوقوه وجروه من تلابيبه بعنف وشدة إلى وسط الجحيم ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ أي ثم صبوا فوق رأس هذا الفاجر عذاب ذلك الحميم الذي تناهى حرُّه ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي يقال له على سبيل الاستهزاء والإهانة: ذقْ هذا العذاب فإنك أنت المعزز المكرم. قال عكرمة: التقى النبي ﷺ بأبي جهل، فقال النبي ﷺ: « **إن اللَّه أمرني أن أقول لك**: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ ».

[سورة القيامة، الآية: ٣٤]

فقال: بأي شيء تهددني؟ واللَّه ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه، فقتله اللَّه يوم بدر وأذلَّه ونزلت هذه الآية[١]: ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ أي إن هذا العذاب هو ما كنتم تشكون به في الدنيا، فذوقوه اليوم.

(١) القرطبي ١٦/ ١٥١.

من أشدّ العذاب، النارُ التي تطَّلع على الأفئدة وهي عليهم مؤصدة في عمد ممدَّدَة

نعم إنها لمن أشد العذاب، تلك النار الموقدة التي تخرق الجلد والعظم فتصل إلى القلب، وهذه النار هي مؤصدة عليهم في عمد طويلة ممددة، تتناسب وأحجامهم وأجسادهم التي تضخُم حتى يكون ضرس الكافر في النار كجبل أُحد، **وسورة الهُمَزة** تصوِّر في مشهد معبِّر حرَكي واضح بيِّن، كيف يكون حال الكافر في جهنم وحال أشدهم على اللَّه عتياً، الذي كان يجمع المال يتلذذ به وينصرف به عن الإيمان والطاعة. والسورة تشير: وكأن الكافر المراد عذابه بهذا العذاب أن النار تكون عليه حامية، في مكان هو فيه مؤصد عليه مغلق بجدران عظيمة الارتفاع بواسطة العَمَد الممددة، واللَّه يصف تلك الأعمدة بأنها ممددة أي لا يعلم ارتفاعها إلا اللَّه سبحانه، وهذا الحصر في مكان حوله النار والجدران المرتفعة وكأنه في سجن إفرادي لا يرى أحداً ولا يراه أحد، وربما هذا يكون من أشد أشد العذاب.. فهو في هذا المكان حوله الجدران العظيمة المرفوعة على تلك العمد، وهي عليه مؤصدة فلا خروج منها إلا إذا أراد اللَّه سبحانه ليخرجه إلى نوع آخر من العذاب فأي عذاب هذا؟ وأي تحمل هذا؟ وأي صبر لهم على النار؟ وكيف يصبرون وهم يعيشون الخلد في هذا العذاب؟ وما يهلك على اللَّه إلا هالك.

يقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ * كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ * ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

[سورة الهمزة، الآيات: ١ ـ ٩]

يقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير سورة الهمزة:

١ ـ هلاك وخزي وعذاب شديد لكل هماز (كثير الهمز) وهو المغتاب الطعان في أعراض الناس وكراماتهم، ولمّاز (كثير اللمز) وهو العيّاب الذي يطعن بالناس خُفية باللسان أو العين أو اليد أو الرأس ونحوها تحقيراً لهم وترفعاً عليهم.

٢ ـ الذي يجمع الأموال، ويعدّها مرة بعد أخرى تلذذاً بإحصائها. وهذا سبب الهزء بالناس وتحقيرِهم.

٣ ـ يظن أن ماله يجعله حياً خالداً لا يموت، والمراد: أنه يعمل عمل من لا يفكر بالموت.

٤ ـ ﴿كَلَّا﴾: للزجر له عن هذا الفعل، واللَّه ليطرحن ويرمين بإهانة وتحقير في نار جهنم كثيرة التحطيم والتكسير لكل ما يلقى فيها. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: جواب قسم محذوف كما قدرنا.

٥ ـ وما أعلمك ما الحطمة: نار جهنم؟ وهذا للتهويل، أي أيّ شيء هي؟ كأنها غريبة عن المعقول!!

٦ ـ نار اللَّه الملتهبة التهاباً شديداً، والتي لا تخمُد أبداً.

٧ ـ التي تعلو أوساط القلوب أو تصل إلى أعماقها، وتحيط بها، وخصت القلوب، لأنها محل العقائد الزائغة.

٨ و٩ ـ إنها (النار) على أهلها مغلقة مطبقة. في أعمدة طويلة ممدودة، وهذا إشعار باليأس من التخلص أو الخروج منها[١].

وفي التفسير المنير يقول وهبة الزحيلي في تفسير سورة الهمزة:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أيْ خزي وعذاب شديد لكل من يغتاب الناس ويطعن بهم، أو يعيبهم في حضورهم، قال مقاتل: إن الهمزة: الذي يغتاب بالغيبة، واللمزة: الذي يغتاب في الوجه. وقال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ طَعِن معياب.

ثم ذكر أوصافاً أخرى له:

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي إن ذلك الهمزة اللمزة الذي يزدري الناس ويحتقرهم، ويترفع عليهم بسبب إعجابه بما جمع من المال وأحصاه، وظن أن له به الفضلَ على غيره، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ١٨]

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن أن ماله يضمن له الخلود ويتركه حياً مخلداً لا يموت، لشدة إعجابه بما يجمعه من المال، فلا يعود يفكر بما بعد الموت. ثم ردّ اللّه عليه أوهامه وزجره عن مزاعمه، فقال:

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي زجراً له وردعاً، فليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، بل ليلقين ويطرحن هذا الذي جمع ماله هو وماله في النار التي تحطم أو تهشم كل ما يلقى فيها.

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة (٦٠٣) مطبعة دار الفكر دمشق.

ثم هوَّل عليه شأن النار وعرفها له، فقال:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ * نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ أي وما أعلمك ما هذه النار، وأي شيء هي؟ فكأنها لا تدركها العقول، هي نار اللَّه الموقدة المستعرة بأمر اللَّه سبحانه، التي لا تخمد أبداً.

وفائدة وصف جهنم بالحطمة مناسبتها لحال المتكبر المتجبر بماله، المترفع على غيره، فهي تكسر كسراً كل ما يلقى فيها، لا تبقي ولا تذر.

وإضافة ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ للتفخيم، أي هي نار، لا كسائر النيران.

ثم وصف النار بأوصاف ثلاثة هي:

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ * إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ * فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ أي التي تعلو القلوب وتغشاها بحرّها الشديد، وتحرقهم وهم أحياء. والقلوب أشد أجزاء البدن تألماً، وخصت الأفئدة بالذكر لأنها محل العقائد الزائغة، والنيات الخبيثة وسوء الأخلاق من الكبر واحتقار الناس، والأعمال القبيحة للكافرين والمشركين.

وهي عليهم مطبقة، مغلقة عليهم أبوابها جميعاً، فلا منافذ، ولا يستطيعون الخروج منها، كما قال تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾.

[سورة البلد، الآية: ٢٠]

وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا . . .﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

وهي أيضاً كائنة في أعمدة ممددة طويلة موثقة. قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شدّت بأوتاد من حديد، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم رَوْح.

والآية تفيد المبالغة في العذاب بقوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي إنه موضع

له قعر عميق جداً كالبئر، وإن أبوابها لا تفتح ليزيد في حسرتهم، وتغلق إغلاقاً محكماً للتيئيس من الخروج منها، وممدَّدَة في أعمدة دائمة اللهب، فلا أمل في إطفائها أو تخفيف شدة حرارتها[١].

(١) التفسير المنير أ. د وهبة الزحيلي تفسير الجزء (٣٠) السورة (١٠٤) الهمزة ١ ـ ٩ صفحة (٣٩٩ ـ ٤٠١) طبعة دار الفكر دمشق.

كثرة أهل النار

لقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة دالةً بنصوصها على كثرة أهل النار من بني آدم لكثرة من يتبع إبليس وغوايته ويتبع الشهوات وينكر وحدانية اللّه وينكر اليوم الآخر.

يقول تعالى:

﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ .

[سورة المائدة، الآية: ٤٩]

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ١٤٩]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١٧]

ويقول أيضاً:

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

[سورة يوسف، الآية: ١٠٣]

ويقول تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

وكثيرة هي الآيات التي تتحدث عن كثرة الضالين غير المؤمنين على هذه الأرض، وقد بيّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم الكثير من قصص الأنبياء ومعاداة أقوامهم لهم بل ومحاربتهم بل وقتلهم بغير حق.

يقول تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٥٥]

وقَصص هؤلاء الأقوام الذين أرسل اللَّه سبحانه لهم الأنبياء لهدايتهم وكفروا وعصوا كثيرةٌ في القرآن الكريم، منها ما قصَّ اللَّه سبحانه على نبيه ﷺ في القرآن الكريم ومنها ما لم يقص، وكذلك من الأمم ما أعلمنا اللَّه سبحانه بعض علم عنهم ومنهم ما لم يعلمنا شيئاً.

يقول تعالى:

﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٧٨]

ويقول تعالى:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٦٤]

فإن أكثر الأنبياء عليهم السلام كانت تُرَدُّ دعوتهم من أقوامهم، وما يؤمن بهم وبرسالتهم إلا قليل.. ولقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ومع ذلك كانت النهاية أن أخذ اللَّه

سبحانه قومه بالطُّوفان بعد دعوتهم كل هذه القرون إلى اللَّه سبحانه وأن يؤمنوا به وباليوم الآخر، وما آمن معه إلا قليل.

يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ١٤]

وكذلك فإن ما يدلك ويبيّن لك كثرة الكفار يوم القيامة الذين يَصلَون نار جهنم خالدين فيها.. أن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرهط وهم الجماعة دون العشرة، والنبي معه الرجل والرجلان بل إن بعض الأنبياء يأتي وحيداً لم يؤمن به أحد.

- عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»(١).

- عن أبي أُمامة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من أحد يدخله اللَّه الجنة إلا زوَّجه اللَّه عزّ وجلّ اثنتين وسبعين زوجة: اثنتان من الحور العين، وسبعون من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُل شهي وله ذكر لا ينثني»(٢).

قال هشام بن خالد: من ميراثه من أهل النار يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءَهم.

وهذا الحديث الشريف يدل على كثرة أهل النار قياساً لأهل

(١) صحيح مسلم (١/ ١٩٨) ورقم الحديث (٢٢٠).
(٢) رواه ابن ماجه في سننه ورقم الحديث (٤٣٣٩).

الجنة، فإذا كان كل مؤمن له اثنتان من الحور العين وسبعون من ميراثه من أهل النار، فمعنى ذلك أن أهل النار أضعافٌ مضاعفة بالنسبة لأهل الجنة، لأنه كما مرَّ هنا في الأحاديث الشريفة: أن اللَّه سبحانه خلق لكل إنسان مقامين مقاماً في الجنة ومقاماً في النار، فمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن اتباع الشهوات والهوى فإن الجنة هي مأواه، وأما من طغى وآثر وفضل الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى.. فإذا أدخل اللَّه سبحانه أهل الجنة الجنة، أُري كل واحد منهم مقامه في النار، ويقال له: لو كفرت وطغيت وآثرت الحياة الدنيا لكان هذا مقامَك، فيحمَد اللَّه سبحانه أن هداه إلى صراطه المستقيم، وكذلك إذا أدخل الكافر النار أراه اللَّه سبحانه مقامه في الجنة، ويقال له: لو آمنت وخفت مقام ربك ونهيت نفسك عن الهوى لكان هذا مقامَك، فيزداد حسرة فوق حسرته.

.. ومما يدل على كثرة أهل النار الحديثُ الشريف.. عندما يُسأل آدم عليه السلام أن يخرج من ذريته بعث النار (أهل النار) فيقول لربه: وما بعث النار يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وفي رواية: من كل مِائة تسعة وتسعون.

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يقول اللَّه عزّ وجلّ: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد» قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول اللَّه، أينا ذلك الرجل؟ فقال: **«والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل**

الجنة»، فحمِدنا اللَّه وكبَّرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فحمدنا اللَّه وكبرَّنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر**[١] **أهل الجنة، إنما مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة**[٢] **في ذراع الحمار**»[٣].

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يقول اللَّه يا آدم، قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك، والخير بين يديك، يا رب، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، قال: فيومئذ يشيب المولود**». ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٢٢]

قال: فيقولون: أينا ذلك الواحد؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تسعمِائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد**» قال: فقال الناس: اللَّه أكبر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**واللَّه إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، واللَّه إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**».

قال: فكبَّر الناس، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض**»[٤].

---

(١) شطر: نصف.
(٢) كالرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع.
(٣) متفق عليه، مسلم ٢٢٢ الفتح (١٩/ ١٧٩).
(٤) رواه البخاري برقم (٤٧٤١)، ومسلم برقم (٢٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٣).

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته**[١]**، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث**[٢] **جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مِائة تسعة وتسعين**»، فقالوا: يا رسول اللّه إذا أخذ منا من كل مِائة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال: «**إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**»[٣].

تنبيه: في حديث قال: من كل ألف تسعمِائة وتسعة وتسعون، وفي حديث قال: من كل مِائة تسعة وتسعون... في ظاهر الحديثين تعارض؟ ولكن نقول: في حديث أبي سعيد حمل على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد.. وفي حديث أبي هريرة حمل على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرة.

... ومنها أيضاً أن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق جميعاً وأن حديث أبي هريرة يتعلق بهذه الأمة خاصة.

(١) أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.

(٢) البعث: بمعنى المبعوث وأصلها من السرايا التي يبعثها الأمير.

(٣) رواه البخاري، الفتح ١٤/ ١٧٨.

ما السبب في كثرة أهل النار؟؟

ليس من مؤمن إلا ويعلم حق العلم أن اللَّه سبحانه ليس بظلام للعبيد. ولقد وصف اللَّه سبحانه نفسه بأنه ليس بظلام للعبيد.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

[سورة الحج، الآية: ١٠]

ويقول سبحانه:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٦]

وكذلك ليس السبب عدم بلوغ رسالات اللَّه سبحانه إلى البشر، فقد جاء في القرآن الكريم قصص الأنبياء وأقوامهم، وأن اللَّه سبحانه أرسل الرسل لهداية البشر، ولم تخل أمة إلا وقد أرسل اللَّه سبحانه فيها رسولاً نذيراً.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٢٤]

وكذلك بيّن اللَّه سبحانه لنا في كتابه الكريم أنه لا يعذّب أمة لم يرسل لهم رسولاً أو يبعث فيهم رسولاً.

يقول تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ١٥]

ولكن.. السبب الحقيقي وراء كثرة أهل النار، أن القلة القليلة من تلك الأقوام هم الذين استجابوا لرسلهم، وأن السواد الأعظم من جميع تلك الأمم أصرت على الكفر وعاندت واستكبرت، وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة مبينة لهذا الأمر.

وأما لماذا لم يستجيبوا لرسلهم ويؤمنوا بربهم ويطيعوه ويعبدوه، ذلك أنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة واتبعوا الشهوات.

يقول تعالى:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٥٩]

ويقول تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٤]

ولتهافت تلك الأمم على عاجل الشهوات والمتع والطيبات، اعتبروا دعوة رسلهم هي من أساطير الأولين، ولذا كانوا يسألون رسلهم: إن كانوا صادقين في دعوتهم فليبعثوا آباءهم من قبورهم.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ * لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾.

[سورة النحل، الآيتان: ٦٧، ٦٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٥]

لذلك عندما يوقفهم ربهم على النار يوم القيامة يقول لهم: لقد أذهبتم طيباتكم في عاجل حياتكم الدنيا واليوم تلقون جزاءكم العادل.

يقول تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ويصف أهل النار أنفسهم عندما يصبحون في نار جهنم، ويُسألون عن سبب وجودهم؟ يجيبون: إنهم لم يكونوا يسمعون أو يعقلون.

يقول تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ١٠]

وهذا الإغلاق القلبي والسمعي سببه الرئيس: هو اتباع الشهوات واتباع الأبناء الآباءَ دون تبصر ورؤية منهم لحقائق الوجود وسبب الوجود.

يقول تعالى:

﴿ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ .

[سورة الزخرف، الآيتان: ٢٣، ٢٤]

ولابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي تعليق حول السبب في كثرة أهل النار يقول: «فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن أكثر بني آدم من أهل النار، وتدل أيضاً على أن أتباع الرسل قليل بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل كلهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة، أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيه من الاختلاف، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ، وكتاب مبدل، وهم أيضاً من أهل النار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾.

[سورة هود، الآية: ١٧]

وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضاً، وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهراً وباطناً فكثير منهم فُتن بالشبهات، وهم أهل البدع والضلال، وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة، وكثير منها أيضاً فتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار، ـ وإن لم يقتضِ ذلك الخلود فيها ـ فلم ينجُ من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة، وهي: المتمسكة بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ظاهراً وباطناً وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جداً لا سيما في هذه الأزمان»(١).

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لمَّا خلق اللَّه النار، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها ثمَّ جاء، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فحفَّها

---

(١) ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي، كتاب التخويف من النار صفحة (٢١٤).

بالشهوات، فقال: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع، قال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها»[١].

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[٢].

نسأل اللَّه سبحانه أن يبعدنا عن النار وأهوالها وأن نبتعد عن الشهوات، ولا نطيعَ النفس الأمارة بالسوء، وأن نلتزم بشرع ربنا وأوامره ونواهيه.

(١) رواه الترمذي في سننه وأبو داود وزاد النسائي بعد قوله: «اذهب فانظر إليها»، «وإلى ما أعددت لأهلها فيها». جامع الأصول (١٠/ ٥٢٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

لماذا أكثر من يدخل النار من النساء؟؟

لقد ذكر **القرطبي** رحمه اللَّه في كتاب التذكرة تعليقاً حول قلة عدد ساكني الجنة من النساء وكثرة أهل النار منهن فقال:

«وإنما كان النساء أقلَّ ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا، لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرهن إلى الأخرى، فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها، ولميلهن إلى الدنيا والتزين لها، ومع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الآخرة، لما فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهنَّ، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعيهنَّ من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى، وأعمالها من المتقين».

ومع ذلك ففيهن صالحات كثيرات، يقمن حدود اللَّه، ويلتزمن شريعته ويطعن اللَّه ورسوله، ويدخل منهنَّ الجنة خلق كثير، وفيهن من يسبقن كثيراً من الرجال بإيمانهنَّ وأعمالهن الصالحة.

فالكافرون والكافرات والمشركون والمشركات، وكذلك المنافقون والمنافقات هم جميعاً في النار سواء أكانوا رجالاً أم نساء.

أمَّا أهل التوحيد فإن الأحاديث الشريفة تشير إلى كثرة النساء منهم في النار.

ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار** »، فقلن: ولِمَ ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: « **تكثرن اللعن، وتكفرن العشير** »[١].

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الكسوف:

« **رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء** »[٢].

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « **وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء** »[٣].

وهذا لا يكون في عموم نساء المؤمنين، فإن من نساء المؤمنين من تكون لها الدرجات العلى إذا عملت بطاعة اللَّه، فإن اللَّه سبحانه لا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى، وإن الصالحات من النساء أعدّ اللَّه لهن أجراً عظيماً.

يقول تعالى:

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

ولقد امتدح اللَّه سبحانه الصالحات من النساء.

ويقول تعالى:

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣٤]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكذلك أعد اللَّه سبحانه للذاكرات الحافظات القانتات أجراً عظيماً.

يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]

والآيات الكريمة تبيّن أن اللَّه سبحانه لا يظلم أحداً منهن.. وتعلم كل امرأة مؤمنة مسلمة أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.. وما على المؤمنة التي تسعى إلى أن تكون دارها ومسكنها ومأواها عند رب العالمين جنات الخلد، إلا أن تسير على طريق اللَّه المستقيم، وأن لا تجعل الدنيا أكبرَ همها ولا مبلغ علمها، فالدنيا بزينتها فانية وزائلة ولا قيمة لها تذكر، وقد قدَّمنا لمثل هذا كثيراً من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة.

الفصل السادس

ما جاء في عذاب أهل المعاصي والكبائر من الموحدين

ـ ذنوب ومعاصي أهل التوحيد المتوعَّد عليها بالنار:

١ ـ الكذب على رسول الله ﷺ.

٢ ـ قتل النفس بغير حق.

٣ ـ الكبر والاستكبار.

٤ ـ قاتل نفسه (الانتحار).

٥ ـ العلماء غير المخلصين للَّه سبحانه.

٦ ـ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة.

٧ ـ المصوِّرون (النحاتون) الذين يصنعون التماثيل.

٨ ـ المدمنون شربَ الخمر.

٩ ـ مداهنة الظالمين والركون إليهم.

١٠ ـ العاق لوالديه (العقوق).

١١ ـ الذين يعذبون الناس في الدنيا.

١٢ ـ الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه.

١٣ ـ خطباء الأمة الذين يقولون ولا يفعلون.

١٤ ـ الظالمون.

١٥ ـ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عدواناً وظلماً.

١٦ ـ التولي يوم الزحف.

١٧ ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات.

١٨ ـ الكاسيات العاريات.. والذين يضربون الناس بالسياط.

١٩ ـ القضاة الجائرون في الحكم.

٢٠ ـ الذين امتنعوا عن الهجرة.

عذاب أهل
المعاصي من الموحدين

ما جاء في عذاب أهل المعاصي والكبائر من الموحدين

لقد ثبت في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة أن العصاة وأهل الكبائر من المسلمين يعذبون في النار بحسب تفاوت معاصيهم وبمقدار إتيانهم للكبائر.

عن الحارث بن قيس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعتي أكثر من حضرموت، وإن من أمتي من يعظُم للنار حتى يكون أحدَ زواياها**»[1].

فهذا الحديث النبوي الشريف الصحيح يشير إلى أن من عصاة أمة محمد ﷺ من يعذّب عذاباً شديداً فيضخم جسده حتى يكون أحَدَ زوايا جهنم.

فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرّته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره.

ـ عن سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**».

[رواه مسلم]

(١) رواه ابن ماجه، صحيح سنن ابن ماجه، رقم الحديث (٣٤٩٠).

وهذا الحديث والله أعلم هو للعصاة وأهل الكبائر من هذه الأمة.

فقد ذكر الفقيه أبو بكر بن بُرجان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[سورة الأحقاف، الآية: ١٩]

قال: أرى والله أعلم ـ أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية هم (أهلُ التوحيد) فإن الكافر لا تترك النار منه شيئاً، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شمِلته النار في الآخرة، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ١٦]

أي أن ما فوقهم ظلل لهم، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم.

وذكر ابن قتيبة الدِّينَوَري «في عيون الأخبار» له مرفوعاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا قضى بين خلقه، وزادت حسنات العبد دخل الجنة، وإنِ استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة، ثم بعد ذلك يدخل الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد، فيعذبون في النار على قدر أعمالهم، فمنهم من تنتهي له النار إلى كعبيه، ومنهم من تنتهي إلى ركبتيه، ومنهم من تنتهي النار إلى وسطه»**.

[وذكر الحديث الذي رواه مسلم في هذا الخصوص]

ذنوب ومعاصي
أهل التوحيد المتوعَّدُ عليها بالنار

لقد ذكرت النصوص تحديداً الذنوب والمعاصي والكبائر التي يستوجب بها أهل التوحيد الدخول في النار إذا اقترفوها وارتكبوها. . . ولكن دخولهم النار بسبب هذه الذنوب لا يعني خلودهم فيها، ولكن يدخلون النار مُدَدَاً يعلمها اللَّه سبحانه، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، ويخرج اللَّه برحمته أقواماً كثيرين من النار لم يعملوا خيراً ولكن لم يكونوا مشركين ولا كافرين.

١ ـ الكذب على رسول اللَّه ﷺ:

عن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« لا تكذبوا عليّ فإنه من يكذبْ عليّ يلجْ في النار»(١).

عن سلمة بن الأكوع رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ: يقول: **« من تقول عليّ ما لم أقل، فليتبوأْ مقعده في النار»**(٢).

عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم، جامع الأصول (١٠/ ٦١١).

عن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

. . . والكذب على رسول اللَّه ﷺ فيه خطر كبير على شريعة اللَّه سبحانه، ذلك أن رسول اللَّه ﷺ لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي من اللَّه سبحانه، فمن كذَب على رسول اللَّه ﷺ فكأنه كذب على اللَّه سبحانه. . . ولقد كثر الوضاعون والكذابون على رسول اللَّه ﷺ في التاريخ الإسلامي لمصالحَ دنيويةٍ، أو دافع خاص، أو لتنفيذ مأرب أو استجابةٍ لمطامعَ، ولكن اللَّه سبحانه هيأ في هذه الأمة رجالاً استطاعوا كشف وبيان كل حديث مكذوب وموضوع على رسول اللَّه ﷺ، وكذلك هيأ اللَّه سبحانه رجالاً من هذه الأمة بيّنوا الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف والضعيف جداً، وهذا فضل عظيم من اللَّه سبحانه على هذه الأمة المحمدية، ذلك أن اللَّه سبحانه حفظ كتابه الكريم وحفظ هذا الدين وحفظ بقدرته هذه السنة الشريفة.

٢ ـ قتل النفس بغير حق:

لقد خلق اللَّه سبحانه البشر وكان بهم رؤوفاً رحيماً، فأكرمهم وأعزَّهم وسخَّر لهم ما في السموات والأرض، وخلق لهم أرزاقهم وأمَّنهم في هذه الأرض، وحرَّم عليهم الظلم ومنع عنهم التكبر والتجبر وقتل أنفسهم أو قتل بعضهم بعضاً إلا بالحق وبالذي شرعه اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

---

(١) رواه البخاري وأبو داود في سننه.

ويقول تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١١]

والمعقبات: الملائكة التي تحفظه بأمر اللَّه سبحانه.

ويقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٤٣]

ويقول تعالى:

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وقد عظَّم اللَّه عقاب قتل المؤمن الموحِّد للَّه سبحانه، لعظيم إكرامه عند اللَّه سبحانه، فقد غضب اللَّه سبحانه على قاتل المؤمن ولَعنه وتوعَّده بنار جهنم خالداً فيها.

يقول تعالى:

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٩٣]

وقال المفسرون في هذه الآية الكريمة: أي ومن يقدم على قتل مؤمن عالماً بإيمانه، متعمداً لقتله بسبب إيمانه فجزاؤه جهنم مخلداً فيها على الدوام، وهذا محمول عند الجمهور على من استحل قتل

المؤمن كما **قال ابن عباس** لأنه باستحلال القتل يصبح كافراً، ثم يناله السخط الشديد من اللّه سبحانه والطرد من رحمة اللّه والعذاب الشديد في الآخرة[١].

وفي صفوة البيان لمعاني القرآن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ المراد من الخلود هنا: المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص على أن عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار، والجمهور على أن القاتل إذا تاب وأناب وعمل عملاً صالحاً بدّل اللّه سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظُلامته وأرضاه عن طِلابته، وما قيل من أنه: لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، محمول على التغليظ في الزجر[٢].

وفي تفسير ابن كثير: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآيَةَ، هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك باللّه في غير ما آية في كتاب اللّه، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية.

[سورة الفرقان، الآية: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية. إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥١]

والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال

---

(١) تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) صفحة (٢٧٥).

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف صفحة (١٢٦).

رسول اللَّه ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»، وفي حديث آخر: «**لزوال الدنيا أهون عند اللَّه من قتل رجل مسلم**»، وفي الحديث الآخر: «**لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم اللَّه في النار**»، وفي الحديث الآخر: «**من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة اللَّه**»، وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً، وقال البخاري عن المغيرة بن النعمان قال: سمعت ابن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقال في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى آخرها قال: نزلت في أهل الشرك. وقال ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: إلا من ندم، وروى سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند ابن عباس بعدما كُفَّ بصره فأتاه رجل فناداه: يا عبد اللَّه بن عباس، قال: أفرأيت إن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمداً، جاء يوم القيامة آخذاً بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟**» وأيم الذي نفس عبد اللَّه بيده لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم ﷺ وما نزل بعدها من برهان.

[أخرجه ابن جرير]

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجيء المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ قال، فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له فبُؤْ بإثمه، قال: فيهوي في النار سبعين خريفاً**».

[رواه أحمد والنسائي]

(حديث آخر): روى الإمام أحمد عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية رضي اللَّه عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**». والذي عليه الجُمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين اللَّه عزَّ وجلَّ، فإن تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عملاً صالحاً بدل اللَّه سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآيةَ، وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين وحمل هذه الآية على غير المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل، واللَّه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، فكل من تاب تاب اللَّه عليه، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٤٨]

فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي مذكورة

في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها، لتقوية الرجاء واللَّه أعلم. وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مِائة نفس، ثم سأل عالماً هل لي من توبة، فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أرشده إلى بلد يعبد اللَّه فيه، فهاجر إليه فمات في الطريق، فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه غير مرة. وإذا كان هذا في بني إسرائيل فالأحرى والأَوْلَى أن تكون في هذه الأمة التوبة مقبولة، لأن اللَّه وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وبعث نبينا بالحنيفية السمحة، فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**﴾ الآية، فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، وكذا كل وعيد على كل ذنب، لكنْ قد يكون كذلك معارِض من أعمال صالحة، تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قوليْ أصحاب الموازنة والإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد، واللَّه أعلم بالصواب. وبتقدير دخول القاتل في النار، أما على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحاً ينجو به فليس بمخلَّد فيها أبداً، بل الخلود هو المكث الطويل، وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ: «**أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان**»، وأما حديث معاوية: «**كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**» فعسى للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لانتفى وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل، لما ذكرنا من الأدلة.

وأما من مات كافراً فالنص أن اللَّه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة، فإنه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لا بدّ من ردها إليهم، ولا فرق بين المقتول أو المسروق منه، والمقذوف منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين،

فإن الإجماع منعقد على أنها ـ أي الحقوق الآدمية ـ لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بدّ من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذّر ذلك فلا بدّ من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تُصرَف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة أو يعوض اللّه المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها، ورفع درجته فيها ونحو ذلك واللّه أعلم[١].

. . . وعلى هذا فلا يجوز قتل النفس المسلمة إلا بإحدى ثلاث كما في الحديث.

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٢].

ـ عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا يزال المؤمن في فُسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»[٣].

ولقد روي عن ابن عمر رضي اللّه عنهما: **«إن من وَرَطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حلِّه»**.

وقد حذّر رسول اللّه ﷺ المسلمين أن يقاتل بعضهم بعضاً، وأخبر أن القاتل والمقتول في النار، فعن أبي بكرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار»** قال: فقلت، أو قيل: يا رسول اللّه، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: **«إنه كان**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (١) صفحة (٤٢١ ـ ٤٢٣).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

حريصاً على قتل صاحبه »[١] . ولذا فإن العبد الصالح من ابني آدم أبى أن يقاتل أخاه، خشية أن يكون من أهل النار، فباء القاتل بإثمه وإثم أخيه ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

[سورة المائدة، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

وكما ورد في تفسير ابن كثير الحديث الشريف:

« لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم اللّه في النار »[٢] .

٣ ـ الكبر والاستكبار:

لقد ذمَّ اللّه سبحانه الكبر والاستكبار في كتابه العزيز في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، بل وتوعَّد أهل الكبر والاستكبار نار جهنم.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٣٦]

ويقول تعالى:

﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢١٣).

(٢) تفسير ابن كثير صفحة (٤٢٢).

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٦٠]

ويقول سبحانه:

﴿ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٠]

فمن يستكبر عن الإيمان باللَّه سبحانه فإن له نار جهنم خالداً فيها، ومن يستكبر عن عبادة اللَّه وطاعته وإقامة فرائضه ولا يبتعد عن نواهيه ولا يأتمر بأوامره كذلك سيدخلهم اللَّه سبحانه جهنم داخرين.

وفي الحديث القدسي:

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: يقول رسول اللَّه ﷺ: «**يقول تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار**»(١). وفي رواية: أذقته النار.

ـ عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كِبْر**» فقال الرجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط النَّاس**»(٢).

والحق ما قاله رسول اللَّه ﷺ إذ إن المتكبر الذي يتعالى ويتفاخر على الناس، ولا يكون في قلبه إلا بطر الحق وغمط الناس والتعالي عليهم أو احتقارهم واحتقار شأنهم، ولا تكون فيه نوازع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، مشكاة المصابيح (٣/ ٦٣٤، ٦٣٥).

الخير التي تدفعه إلى فعل الخير والإحسان والصدقات وإعانة المحتاج وقضاء حوائج الناس. وكيف يقضي حوائجهم وهو متكبر عليهم ومتجبر. . . واللَّه أرحم الراحمين سألنا الرحمة بعباده والتراحم في ما بيننا وأن يعطف بعضنا على بعض، وأن يساعد بعضنا بعضاً، وأن يتصدق بعضنا على بعض.

. . . لذلك يكون عذاب المستكبرين الجبارين في الأرض عذابَ الذل والهوان في نار جهنم، وأن يطَأَه الناس يوم القيامة حتى لو كان من المسلمين ولكنه مستكبر وجبار في الأرض.

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة، في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»[(١)].

٤ ـ قاتل نفسه (الانتحار):

لا يحق لعبد أن يقتل نفسه، فالحياة والموت بأمر اللَّه سبحانه ومن تعدَّى على نفسه فقتلها فهو في نار جهنم خالداً فيها ـ ذلك أن اللَّه سبحانه أمرنا أن لا نقتل أنفسنا مهما كانت الأسباب، ذلك أن الدنيا امتحان وابتلاء وقد يشدد اللَّه سبحانه على الناس الابتلاء والامتحان ليرى مقدار صبرهم وحلمهم ابتغاء مرضاة اللَّه. . . فقد يمرض الإنسان مرضاً شديداً وقد يذهب ماله كله، وقد يتعرض للأذى والضرب والإهانة ويسجن ويعذب. وكل ذلك ليرى اللَّه سبحانه إيمان المؤمنين وصبر الصابرين وحلم الحليمين.

ولقد ضرب اللَّه سبحانه لنا الأمثلة في ذلك.

---

(١) رواه الترمذي، مشكاة المصابيح (٢/ ٦٣٥ برقم ٥١١٢).

يقول تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٤٢]

ويقول تعالى:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣]

.. لذلك أمر اللَّه عباده من البشر أن لا يقتلوا أنفسهم لأنه بهم رحيم، يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٢٩]

لذلك مهما كانت الأسباب ومهما عظم الخطب أو كانت المصيبة طامَّة، أو ضاقت الدنيا والأرض على العبد بما رحبت، فلا يحق له قتل نفسه لأن نفسه ونفس غيره ليست ملكَه ليتصرف بها كيف يشاء، بل هي مِلك للَّه سبحانه، فهو خلقها وأوجدها واللَّه وحده يحق له أن يفعل بها ما يشاء. ولقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ جزاء قتل الإنسان نفسه يوم القيامة وما يلقاه من عذاب في نار جهنم.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بِسَمّ فسَمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار

جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(١) . عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « **الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنُها في النار»**(٢) .

ويقول المفسرون في قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٢٩]

يقول ابن مخلوف في صفوة البيان:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ لا تهلكوها بارتكاب الآثام ومنها: أكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق، وقتل الإنسان نفسه.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

أي لا يسفك بعضكم دم بعض، والتعبير عنه بقتل النفس للمبالغة في الزجر أو هو على ظاهره بمعنى الانتحار، وذلك من رحمته تعالى بكم، **ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسَّرة:**

أي لا يقتل بعضكم بعضاً ظلماً وعدواناً بغير حق أثبته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة، إن اللَّه رحيم بكم في تحريم تلك الأمور أو منعه لكم من ذلك.

ويقول ابن كثير في المختصر:

وقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أي بارتكاب محارم اللَّه وتعاطي معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ أي فيما أمركم به ونهاكم عنه. عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه أنه قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) رواه البخاري في صحيحه.

لما بعثه النبي ﷺ عام (ذات سلاسل) قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلِك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول اللّه ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «**يا عمرو أصليت بأصحابك وأنت جنب**»؟ قال: قلت: يا رسول اللّه إني احتلمت في ليلة باردة فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيممت ثم صليت، فضحك رسول اللّه ﷺ ولم يقل شيئاً. وأورد ابن مردُويَهْ عند هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً**». وفي الصحيحين: «**من قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة**». وفي الصحيحين أيضاً عن جرير بن عبد اللّه البَجَلي قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جُرح فأخذ سكيناً نحر بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال اللّه عزّ وجلّ: عبدي بادرني بنفسه حرَّمت عليه الجنة**». ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ أي ومن يتعاطى ما نهاه اللّه عنه معتدياً فيه، ظالماً في تعاطيه، أي عالماً بتحريمه متجاسراً على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد[١].

٥ ـ العلماء غير المخلصين للّه سبحانه:

عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«**لا تعلّموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء،**

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد (١) صفحة (٣٧٩).

ولا تخيروا به المجالس، من فعل ذلك فالنار النار»[(١)] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من تعلَّم علماً مما يُبتغى به وجه اللَّه تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة، يعني ريحها»[(٢)] .

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«من تعلَّم علماً لغير اللَّه أو أراد به غير اللَّه فليتبوأ مقعده من النار»**[(٣)] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه تعالى يبغض كل عالم في الدنيا جاهلٍ بالآخرة»[(٤)] .

٦ ـ الذين يشربون في آنية الذهب والفضة:

عن أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يُجرجِر في بطنه نار جهنم»[(٥)] .

عن أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[(٦)] .

. . . ولقد نهانا رسول اللَّه ﷺ أن نأكل ونشرب في آنية الذهب والفضة، وكذلك لبس الحرير والديباج.

---

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه وأبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي، الترغيب والترهيب الحافظ المنذري (١/ ١٩١).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ـ صحيح.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه مسلم.

عن حذيفة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **لا تلبَسوا الحريرِ والديباج، ولا تأكلوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[١].

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **أُحِلَّ الذهب والحرير لإناث أمتي وحُرِّم على ذكورها**»[٢].

٧ ـ المصوِّرون « النحاتون » الذين يصنعون التماثيل:

إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرين الذين يضاهئون خلق اللَّه والذين يصنعون التماثيل لمضاهأة خلق اللَّه سبحانه وتعالى.

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **كل مصوِّر في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفساً، فيعذِّبه اللَّه في جهنم**» متفق عليه. وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال في النمرقة التي فيها تصاوير: « **إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» متفق عليه.

وعن عائشة رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: « **أشد الناس عذاباً الذين يضاهون بخلق اللَّه**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **قال اللَّه تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حَبة، أو شَعيرة**». [متفق عليه]

وفي الصحيحين:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

« **أشد الناس عذاباً عند اللَّه المصوِّرون**».

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد في مسنده والنسائي في السنن صحيح.

ولقد سبق لنا التعليق على هذا الأمر. . . المقصود المصوِّرون الذين يريدون مضاهأة خلق اللَّه سبحانه ـ أما التصوير والصور الفوتوغرافية للضرورة فلا شيء فيها ـ فالعمل بالنية ولكل امرئ ما نوى.

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي أو مصوِّر يصوِّر التماثيل».

[رواه أحمد] (١/ ٤٠٧)

فالحديث الشريف يشير إلى تصوير التماثيل كتلك التي كانت تُعبد في الجاهلية قبل الإسلام.

ولقد أعلمنا اللَّه سبحانه أن البشرية لو اجتمعت أن تخلق مثل ما خلق اللَّه ما فعلت، حتى لو أرادوا أن يخلقوا ذباباً وهو أضعف الخلق ما استطاعوا.

يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٧٣]

٨ ـ المدمنون شرب الخمر:

جميعنا يعلم أن اللَّه سبحانه حرَّم الخمر تحريماً قاطعاً، وأنذر شاربها بالعذاب الأليم في جهنم إذا مات ولم يتب منها، لمخالفته أمر اللَّه سبحانه. . . ذلك أن الخمر لها تأثيران سلبيان على الشارب في

الحياة الدنيا، فهي أولاً تنسيه ذكر اللَّه وواجباتِهِ الشرعيةَ، وتُذهب عقله ثانياً، وقد تذهب بأسرته وتضيعها لضياع صاحِب الأسرة وضياع ماله وإنفاقه على ما حرَّم اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

[سورة المائدة، الآية: ٩٠]

ورسول اللَّه ﷺ قال في أكثرَ من حديث شريف أن شارب الخمر لا يكلِّمه اللَّه سبحانه يوم القيامة ولا يزكيه ولا يدخله الجنة.

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدَّيوث الذي يقر في أهله الخبث**»(١).

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(٢).

عن عمار بن ياسر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً، الديوث، والرَّجُلة من النساء، ومدمن الخمر**»(٣).

٩ ـ مداهنة الظالمين والركون إليهم:

الظالم يعذَّب عذاباً شديداً يوم القيامة في نار جهنم... وكذلك

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في السنن والحاكم في المستدرك.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير وهو صحيح.

توعَّد اللَّه سبحانه الذين يركَنون إلى الظالمين ويداهنونهم نفاقاً ومصلحة وكأنهم يعينونهم على الظلم.

يقول تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ .

[سورة هود، الآية: ١١٣]

ومعنى الآية الكريمة أي لا تميلوا إلى الظلمة من الولاة وغيرهم من الفسقة الفجرة فتمسَّكم نار جهنم، قال البيضاوي: الركون هو الميل اليسير أي لا تميلوا إلى من وجد منه ما يُسمّى ظلماً، فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم؟!

١٠ ـ العاق لوالديه (العقوق):

لقد شدَّد اللَّه سبحانه في كتابه الكريم على طاعة الوالدين والإحسان إليهما وكان ذلك قضاءَه في القرآن الكريم:

يقول تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٢٣]

وقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ١٥]

وقد أوجب اللَّه سبحانه مصاحبتهما والإحسان إليهما، إلا إذا طلبا منه الكفر فلا يطيعهما فيه.

﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .

[سورة لقمان، الآية: ١٥]

وكذلك نبَّه رسول اللَّه ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة على طاعة الوالدين ووجوب الإحسان إليهما، ومن ثَمَّ أنذر المؤمنين بأن اللَّه سبحانه أعدّ للعاق عذاباً أليماً، وأنه محروم من رحمةِ اللَّه، والجنةِ يوم القيامة، لما لطاعة الوالدين من أهمية عظمى.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث»[١].

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة قد حرَّم اللَّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»[٢].

عن عمر رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر إليهم اللَّه يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المسترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن للخمر، والمنان بما أعطى»[٣].

١١ ـ الذين يعذبون الناس في الدنيا:

. . . ومعنى عذاب الناس تحمل على أشياءَ كثيرةٍ، فهناك العذاب الجسدي والعذاب النفسي، ولقد توعَّد اللَّه سبحانه على لسان نبيه محمد ﷺ الذين يعذبون الناس بأشد العذاب يوم القيامة.

---

(١) رواه أحمد والنسائي والحاكم في المستدرك، صحيح الجامع الصغير رقم الحديث (٣٠٦٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده.

(٣) رواه أحمد والنسائي، ورواه الحاكم في المستدرك.

ـ عن خالد بن الوليد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدّهم عذاباً للناس في الدنيا»(١).

ـ عن هشام بن حكيم بن حزام أنه مرَّ على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس فقال: ما شأنهم؟ قال: حُبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه عزّ وجلّ يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»**(٢). فسمع الوالي فتوقف عن ذلك.

١٢ ـ الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه:

. . . وهؤلاء هم الذين يأمرون الناس بالمعروف ولا يأتون منه شيئاً، وينهونهم عن المنكر ويفعلونه، يستخْفون من أعين الناس ولا يستخفون من اللَّه سبحانه وهو معهم ويراهم.

يقول تعالى:

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٨]

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يجاء برجل فيطرح في النار فتندلق أقتابه، فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أيْ فلان! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩٠) والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٤٣ والحاكم ٣/ ٢٩٠ وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (٢٦١٣).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٧).

ـ عن أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع إليه أهل النار: يا فلانُ بنَ فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»(١).

١٣ ـ خطباء الأمة الذين يقولون ولا يفعلون:

ـ الخطباء من أمة محمد ﷺ مؤتمنون على نشر الدعوة الصحيحة وتعليم الناس أمورَ دينهم، وأن يعلموهم الحلال والحرام بما أوتوا من علم وقرؤوا كتاب اللَّه.. فمن يأمر الناس ليعملوا ويفعلوا ما أمر اللَّه سبحانه ولا يفعلون، ويقرؤون لهم كتاب اللَّه ليعملوا به وهم لا يعملون به، فقد توعَّدهم اللَّه سبحانه على لسان رسوله ﷺ بعذاب أليم وشديد.

ـ عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قرضت رُدَّت، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون، ويقرؤون كتاب اللَّه ولا يعملون»(٢).

والذين يقولون ما لا يفعلون كبُر مقتهم عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

[سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣]

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٩٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم (٢/ ٣٨٧ و٦/ ٣٤٩) والخطيب البغدادي رقم ١١١ وحسن إسناده الشيخ الألباني رحمه اللَّه.

وكذلك نبّه اللَّه سبحانه أولئك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ولا يعقلون ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٤٤]

١٤ ـ الظالمون:

الظلم ظلمات يوم القيامة بكل أنواعه وأصنافه مهما تعددت صوره وأشكاله، فكل من جاء بظلم فقد خاب وخسر.

يقول تعالى عن يوم القيامة وأصحاب الظلم:

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ .

[سورة طه، الآية: ١١١]

ولقد حرَّم اللَّه الظلم على نفسه وأمر الناس أن لا تتظالم ولا يظلمَ أحد أحداً.

ـ وفي الحديث القدسي: روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال:

«**يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا**» .

وقد بيّن اللَّه سبحانه أنه لا يظلم أحداً من خلقه ولو كان مثقال ذرة.

يقول تعالى:

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٤٠]

وآيات كثيرة في خصوص الظلم والظالمين.. فالكفرة والمشركون

ظالمون وهذا هو الظلم الأكبر، فقد وصفهم اللّٰه سبحانه في أكثر من آية أنهم هم الظالمون. يقول تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]

وهناك الظلم الآخر الذي هو دون الشرك والكفر.. وهو ظلم النفس وظلم الآخرين.. وهذا يكون من كثير من الموحدين من أمة سيدنا محمد ﷺ وهؤلاء لهم العذاب يوم القيامة بما ظلموا الناس واعتدوا عليهم وعلى حرماتهم ورزقهم وأنفسهم وأعراضهم.

يقول تعالى:

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

ويقول تعالى:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧]

المنقلب: أي بعد الموت.

ويقول سبحانه:

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥١]

ويقول أيضاً:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٦٥]

ويقول تعالى:

﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ١٩]

وحتى يعلم العبد أن اللّٰه سبحانه سيريه يوم القيامة ما كبر من ظلمه وما صغر، وما كبر من ذنبه وما صغر، لدقة ميزان عدله وحكمه فيرتدع.

يقول تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

فأين سيذهب الظالمون يوم القيامة وهم بين يَدَي اللّٰه سبحانه الذي لا يخفى عليه مثاقيل الذر من الظلم.. أجارنا اللّٰه من الظلم والظالمين.

١٥ ـ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عدواناً وظلماً:

الأموال حركة الحياة، وهي أحد أكبر عناصر الابتلاء والامتحان الإلٰهي، إذ إن معظم مشكلات الناس وخلافاتهم وعداواتهم تكمن وراء الاختلاف حول الرزق والمال، لذلك توعَّد اللّٰه سبحانه الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بعذاب النار الأليم الشديد، والخطاب للمؤمنين الموحدين.

يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ٢٩، ٣٠]

والأعمال بالنيات فمن نوى أكل مال الناس ظلماً وعدواناً مع

النية والإصرار فهذا هو الموعود بعذاب النار. . أما من أخذ أموال الناس وفي نيته أداؤها والله أعلم بنفوس خلقه ثم أصابه ما أصابه من عجز وخسارة. . فإن هذا يرحم من الله سبحانه، لذا سأل الله سبحانه الدائنين الصبر أو التصدق بالدين على من كان ذا عسرة لسبب أَلَمَّ به أو خسارة تعرَّض لها.

يقول تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٠]

ولقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أن هذا النوع من المعسرين وفي نيته الدفع ووافته المنية، يؤدي الله سبحانه عنه يوم القيامة ويرضي الخصم. . ويعوِّضه عن دَيْنِهِ. . . والله أعلم.

١٦ ـ التولي يوم الزحف:

والخطاب في ذلك أيضاً للمؤمنين ومن يتولَّ عن الزحف عند النزال والحرب، فقد توعَّده الله سبحانه بجهنمَ يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

[سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦]

والتولي يوم الزحف جعله رسول الله ﷺ من السبع الموبقات يوم القيامة.

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي

حرَّم اللَّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصَنات المؤمنات الغافلات»[١].

١٧ ـ قذف المحصنات المؤمنات الغافلات:

إن من أعظم ما حرَّم اللَّه على المؤمنين أن يقذفوا المرأة المؤمنة الغافلة ويرموها ببهتان وظلم في عرضها وشرفها.. وهذا من الأمور التي لا يعفى عنها، لأنه يترتب عليه حقوق الآخرين ـ فالقاذف للمرأة المؤمنة الغافلة سيلقى الهوان والعذاب يوم القيامة.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ* يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ* يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ .

[سورة النور، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥]

ولقد تعددت الآيات الكريمة في هذا الخصوص.. ورسول اللَّه ﷺ اعتبر قذف المحصنات الغافلات المؤمنات من السبع الموبقات كما ورد في الحديث الشريف برقم ١٦.

عن حذيفة رضي اللَّه عنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: « **إن قذف المحصَنة لَيهدمُ عمل مائة سنة**» .

[رواه البزار والطبراني والحاكم في المستدرك.... الزيادة على الجامع الصغير]

١٨ ـ الكاسيات العاريات.. والذين يضربون الناس بالسياط:

هن كثيرات وخاصة في زماننا الأخير، حيث ظهرت النساء المؤمنات العاريات الكاسيات بصورة واضحة وفاضحة، مع أن اللَّه

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

سبحانه أمرهن أن يلبسن الحجاب ويسترن أجسادهن ولا يبدين زينتهن لأحد من غير المحارم.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

[سورة النور، الآية: ٣١]

فهذه آية موجهة إلى المؤمنات المسلمات.. فماذا يكون من أمر العاصيات لأوامر اللَّه سبحانه، اللواتي أبين إلا أن يُظهرن زينتهن وأجسادهن لمن حرَّم اللَّه عليهنَّ.

- عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»(١).

١٩ ـ القضاة الجائرون في الحكم:

لقد أنزل اللَّه سبحانه الكتاب مع المرسلين ليقوموا بين الناس بالقسط وليحكم الناس بما أنزل اللَّه سبحانه من كتاب.

يقول تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢٥]

ويقول تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.

[سورة النساء، الآية: ١٠٥]

(١) رواه مسلم، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ١٣٢٦.

ويقول سبحانه:

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ .

[سورة النساء، الآية: ٥٨]

والذين يحكمون بين الناس هم القضاة الذين يميزون الحق من الباطل بما أراهم اللَّه من الحق وبما تعلَّموا وعلموا ما جاء به القرآن الكريم والسنّة النبوية الطاهرة.

- عن بريدة بن الحصيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال:

« القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأمَّا الذي في الجنة، فرجل عرَف الحق وقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار»[١] .

٢٠ ـ الذين امتنعوا عن الهجرة:

لقد توعَّد سبحانه في كتابه أولئك الذين تعرَّضوا للفتنة والقهر والإذلال في ديار الكفر ولم يهاجروا منها إلى بلاد أخرى، فالأرض كلها للَّه والهجرة مشروعة في الإسلام إذا فتن المؤمن في دينه، فإذا مات ولم يهاجر فهو ظالم لنفسه ودينه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ .

[سورة النساء، الآيتان: ٩٧، ٩٨]

. . . **يقول محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير** عن تفسير تلك الآيتين الكريمتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي تتوفاهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم بالإقامة مع الكفار في دار

(١) رواه أبو داود، جامع الأصول (١٠/ ١٦٧).

الشرك وترك الهجرة إلى دار الإيمان ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي تقول لهم الملائكة: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟ وهو سؤال توبيخ وتقريع، قالوا معتذرين: كنا مستضعَفين في أرض مكة عاجزين عن إقامة الدين فيها ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أي قالت لهم الملائكة توبيخاً: أليست أرض اللَّه واسعة فتهاجروا من دار الكفر إلى دار تقدرون فيها على إقامة دين اللَّه كما فعله من هاجر إلى المدينة والحبشة، فقال تعالى بياناً لجرائمهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي مقرهم النَّار وساءت مصيراً.

ويقول ابن كثير في تفسيره: نزلت هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهرانَي المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع.

تنبيه وتعليق:

. . . وما ذكرت هو جملةٌ من الأسباب والأعمال التي ذكرها القرآن الكريم ورسول اللَّه ﷺ التي توجب على صاحبها وفاعلها من الموحدين الدخول في النار. . . ولكن يبقى سؤال حيث لم نذكر حكم تارك فرض من فروض اللَّه سبحانه ـ كالصلاة والزكاة والصيام والحج في هذا الجزء من الموسوعة وهذه الفِقرة من هذا الجزء. . . وجواب هذا السؤال: أننا ذكرنا في هذه الفقرة الأعمال التي يستحق صاحبها الدخول في النار والعذاب فيها بقدر ما اقترفت يداه من عمل يوجب عليه العقوبة والدخول في النار، أمَّا حكم تارك فروض اللَّه أو فرض من فروضه ومات على ذلك فقد ذكرناها في الجزء الثامن من الموسوعة. . ولا شك أن تارك فروض الإسلام وهو قادر عليها سينال عقابه وجزاءه عند اللَّه سبحانه، ويعذّب في النار بقدر تركه لتلك الفروض.

. . . وأقول أيضاً: إن هذه الأعمال التي ذُكرت، واستوجب أصحابها أن يعذّبوا بسببها في النار ـ يكون أصحابها بمنجى من النار إذا تابوا في الدنيا قبل الموت توبة نصوحاً، وردوا المظالم لأهلها واستغفروا اللَّه بقلب صادق.

لقوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

الفصل السابع

محطات في عالم النار وأهوالها يجب التوقف عندها

- اتقوا النار بالدعاء.
- اتقوا النار ولو بشق تمرة.
- الخوف والإشفاق من النار قد ينجي من عذابها.
- التعوّذ من النار في الدنيا وقاية منها في الآخرة.
- نداء أهل الجنة أهلَ النار ونداء أهل النار أهل الجنة.
- أعظم عذاب أهل النار حرمانهم من رؤية اللّٰه سبحانه.
- أهل النار لا يزالون في أمل الخروج من النار حتى يذبح الموت.
- أهل النار يطلبون الخروج منها أو الموت أو تخفيف العذاب من شدة ما يلقونه من الأهوال والعذاب.
- بكاء وصريخ أهل النار.
- أول ما يتحف به أهل النار عند دخولهم فيها.
- الكافر في نار جهنم يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت.
- أصناف وصفات أهل النار في أحاديث رسول اللّٰه ﷺ.
- الجنة والنار في كتاب كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
- دعوة مفتوحة للخروج من النار والدخول في الجنة.

محطات في عالم النار
وأهوالها يجب التوقف عندها

اتَّقوا النار بالدعاء

الدعاء من أهم ضروريات المؤمن في حياته الدنيا. . ذلك أن اللَّه سبحانه سألنا الدعاء وطلبه منَّا في الحياة الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ والدعاء هو العبادة وهو مخ العبادة، ومن لا يسأل اللَّه يغضب عليه. والدعاء مدرسةِ تربوية أخلاقية عظيمة علَّمنا إياها اللَّه سبحانه في القرآن الكريم ورسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة. . ومما سألنا إياه اللَّه سبحانه في الدعاء: أن ندعوه في الدنيا أن يقينا عذاب النار، ذلك أن الدعاء كما صح في الحديث إمَّا أن يعجّل له في الدنيا، وإما أن يكفّر عن المرء من سيئاته بقدر ما دعا، وإما أن يؤخّر إلى يوم القيامة. عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإمَّا أن يعجّل له في الدنيا، وإما أن يؤخّر له في الآخرة، وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا**».

[رواه الترمذي في سننه]

. . ومن دعاء الدنيا الذي هو للآخرة أن اللَّه سبحانه طلب منا أن ندعوه حتى يبعد عنا النار يوم القيامة ويقينا من شرها والدخول فيها.

يقول تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٠١]

ويقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

فهذا الدعاء بأن يقيَنا اللَّه سبحانه عذاب النار لا بد أن يكون له نصيب من الإجابة يوم القيامة، فاللَّه سبحانه لا يضيع عمل عامل ولا دعاء مؤمن ولا سؤال طالب ولا استغفار مستغفر.

فإذا دعوت اللَّه سبحانه من قلب صادق خائف راجٍ أن يقيك عذاب النار، فلا بد أن تنال يوم القيامة ما سألت وهو الوقاية من النار، وسيقيك اللَّه بحوله وقوته وسَعة عفوه نار جهنم، وإلا ما سألنا أن ندعوه أن يقينا عذاب النار، لذلك طلب منا أن ندعوَه بهذا الدعاء ﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ . فبرحمة اللَّه نتلقى الوقاية من النار في جهنم وفي كل مواقف يوم القيامة. وليس معنى الدعاء أننا نطلب من اللَّه حسنة واحدة في الدنيا وحسنة واحدة في الآخرة ونسأله النجاة من النار بل للآيات معانٍ كما في قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٠١]

فلقد جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية وبنينَ أبرارٍ، ودار رحبة، وزوجة حسناء، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هين، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها مندرجة في الحسنة في الدنيا. . . وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة، وتوابعها

من الأمن من الفزع الأكبر في العَرَصات وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو أمر يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام. . . وقال القاسم أبو عبد الرحمن: من أُعطي قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً وجسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار، ولهذا وردت السنّة بالترغيب في هذا الدعاء.

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[١].

وكان أنس رضي اللَّه عنه إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد صار مثل (الفَرْخ) فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**هل تدعو اللَّه بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبَني به في الآخرة فعجّله في الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**سبحان اللَّه لا تطيقه أو لا تستطيعه، فهلا قلت:** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾» قال: فدعا اللَّه فشفاه[٢][٣].

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم وقد انفرد به.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير صفحة ١٨٢ جزء سورة البقرة.

اتقوا النار ولو بشقّ تمرة

لقد أعلمنا رسول اللَّه ﷺ أن الصدقاتِ تقي من أهوال يوم القيامة، فهي تقي من الشمس التي تدنو من رؤوس العباد في أرض المحشر، فيكون الإنسان في ظل صدقته حتى ينتهي هذا الموقف العظيم الذي يطول أمده تحت أشعة الشمس الحارقة.

ـ عن عَدي بن حاتِم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[(١)] .

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

« من استطاع منكم، أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة فليفعل»[(٢)] .

ـ عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

ليقفنَّ أحدكم بين يدي اللَّه عزّ وجلّ، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: **« ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله، فلا يرى إلا النار، فليتقينَّ أحدكم النار ولو بشق تمرة**[(٣)] **فإن لم يجد، فبكلمة طيبة»**[(٤)] .

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) شق تمرة أي نصف تمرة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه.

الخوف والإشفاق من النار قد ينجي من عذابها يوم القيامة

لا شك ولا ريب، أَنَّ الذي يخاف من اللَّه سبحانه ويخاف من عذابه ويخاف من ناره في الدنيا استعظاماً، يقيه اللَّه سبحانه من عذاب النار يوم القيامة، فمن خاف من اللَّه سبحانه في الدنيا وخاف من عذاب النار وسأل اللَّه أن يبعده عنها.. فإن اللَّه لا يجمع عليه خوفين، فمن خافه في الدنيا أمِنه في الآخرة.

يقول تعالى:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا * وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

[سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ ـ ٦٦]

ويقول سبحانه عن المؤمنين الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٥٧]

والمعنى أن هؤلاء بعبادتهم اللَّه يرجون رحمته ويخافون عقابه

ويتسابقون إلى رضاه ذلك أن عذاب اللّه شديد ينبغي أن يحذر منه العبد ويخافَ من وقوعه وحصوله.

ويقول تعالى:

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ۞ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٤ ـ ١٦]

ويقول تعالى عن مقام الخوف من اللّه والإشفاق من عذابه:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآية: ٢٧]

ويقول تعالى:

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ .

[سورة الطور، الآيات: ٢٥ ـ ٢٧]

وكان رسول اللّه ﷺ كثيراً ما يستعيذ من النار ويفعل ذلك بالصلاة وغيرها.

عن أنس رضي اللّه عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

عن جابر رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال لرجل: « **كيف تقول في الصلاة** »؟ قال: أتشهَّد ثم أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دنْدنتك[١] ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: « **حولها ندندن** »[٢].

---

(١) الدندنة: أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم.

(٢) رواه أبو داود في سننه وابن ماجه.

عن سليم الأنصاري رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا سليم، ماذا معك من القرآن**»؟ قال: «**إني أسأل اللَّه الجنة وأعوذ به من النار، واللَّه ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ**»، فقال النبي ﷺ: «**وهل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل اللَّه الجنة ونعوذ به من النار**»(١).

. . . وخرَّج أبو نعيم أن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: لو نادى مناد من السماء، أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو.

. . وخرَّج الإمام أحمد عن طريق عبد اللَّه بن الرومي قال: بلغني أن عثمان رضي اللَّه عنه قال: لو أني بين الجنة والنار ـ ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعرف إلى أيتهما أصير.

وهذا مثال على خوف الصحابة من عذاب اللَّه ونار اللَّه وعقاب اللَّه، وهؤلاء هم من أهل التقوى والصلاح. . فنرجو اللَّه سبحانه أن يجعل في قلوبنا خوفاً منه واستعظاماً له وشفقة من عذابه وطمعاً في عطائه ورحمته ومغفرته.

. . . والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فعلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو هماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة للَّه عزّ وجلّ، لم يكن محموداً، ولا ننكر أن خشية اللَّه وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصودة أيضاً،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرّب إلى اللَّه بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه.

ومَتى صار الخوف مانعاً من ذلك وقاطعاً عنه، فقد انعكس المقصود منه، ولكن إذا حصل ذلك من غَلَبة، كان صاحبه معذوراً[١].

(١) ابن رجب الحنبلي، كتاب التخويف من النار صفحة ٣٤.

التعوّذ من النار
في الدنيا وقاية منها في الآخرة

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ. في ذكر الملائكة الذين يلتمسون مجالس الذكر، ومنه: «**إن اللّه عزّ وجلّ يسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: مما يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها؟ قالوا: لا واللّه ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد مخافة، قال: فيقول: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم**»[1].

عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما من مسلم يسأل اللّه الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استعاذ من النار ثلاثاً قالت النار: اللهم أجره من النار**»[2].

. . . ذلك أن اللّه سبحانه أجار من النار كل من استعاذه منها، وطلب منه في الدعاء أن يقيه عذاب جهنم. . فهؤلاء الذين يذكرون اللّه آناء اللّيل وأطراف النهار قعوداً وقياماً وعلى جنوبهم، مشفقون من النار مستعيذون منها.

يقول تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

إلى أن قال: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

نداء أهل الجنة
أهلَ النار ونداء أهل النار أهلَ الجنة

يقول تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٤٤]

وهذه من سعادة أهل الجنة، إذ يأذن لهم ربهم أن ينادوا أصحاب النار الذين كانوا يستهزئون بهم في الدنيا ويعتبرونهم من السفهاء: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٣]

ويضحكون منهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآية: ٢٩]

ويتغامزون فيهم سخرية واستهزاء: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآية: ٣٠]

ويعتبرونهم ضالين: ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾.

[سورة المطففين، الآية: ٣٢]

... فإذا رأوهم بعد النداء قالوا لهم: لقد وجدنا ما وعد ربنا حقاً من وعده الحق ومن صدق حديثه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨٧]

وكذلك مَن وعده الحق: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٧]

فيقولون: إننا وجدنا ما وعد ربنا حقاً ونحن في نعيم اللَّه وجناته الخالدة، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً بعد أن زعمتم أن لن تبعثوا ولن تحاسبوا؟ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

قال الكافرون جواباً للمؤمنين: نعم لقد وجدنا الذي وعدَنا به اللَّه حقاً، بأنه سيدخلنا نار جهنم التي كذبنا بها ونحن فيها الآن.. فيؤمر مؤذن أن يؤذن أنْ لعنة اللَّه على الكافرين.

ثم ينادي أصحابُ النار أصحاب الجنة كما ورد في القرآن الكريم.

يقول تعالى:

﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥٠]

يخبر تعالى عن المحاورة بين أهل النار وأهل الجنة بعد أن استقر بكلٍّ من الفريقين القرار واطمأنت به الدار، وعن استغاثتهم بهم عند نزول عظيم البلاء من شدة العطش والجوع، والمعنى ينادونهم يوم القيامة: أغيثونا بشيء من الماء لنسكِّن به حرارة النار والعطش أو مما رزقكم اللَّه من غيره من الأشربة فقد قتلنا العطش ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ

حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي منع الكافرين شراب الجنة وطعامها. **قال ابن عباس**: ينادي الرجل أخاه وأباه فيقول: قد احترقت فأفض عليَّ من الماء أو ممَّا رزقك اللَّه! فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: إن اللَّه حرَّمهما على الكافرين[(١)]، ثم وصف تعالى الكافرين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٥١]

أي هَزِئوا من دين اللَّه وجعلوا الدين سخرية ولعباً.

ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

يخبر تعالى عن ذلة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم وأنهم لا يجابون إلى ذلك، **قال السدي**: ﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني الطعام، وقال ابن أسلم: يستطعمونهم ويستسقونهم، **وقال سعيد بن جبير**: ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له: قد احترقت، فأفض عليَّ من الماء، فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، **قال ابن أسلم**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: يعني طعام الجنة وشرابها، وسئل ابن عباس: أي الصدقة أفضل؟ فقال: الماء، قال رسول اللَّه ﷺ: «**فضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لمَّا استغاثوا بأهل الجنة، قالوا**: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

وقال تعالى في مخاطبة أهل الجنة أهل النار.

يقول تعالى:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ

(١) الطبري ١٢/ ٤٧٣.

أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۞ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾.

[سورة الصافات، الآيات: ٥٠ ـ ٦١]

ثم أخبر تعالى عما يتحدث به أهل الجنة للأنس والسرور، وهم على موائد الشراب يتلذذون بكل ممتع، وينعَمون بتجاذب أطراف الحديث، فقال: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ أي جلسوا يتحدثون عما جرى لهم في الدنيا، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا وثمرة الإيمان ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴾ أي قال قائل من أهل الجنة: إني كان لي في الدنيا صديقٌ وجليس ينكر البعث ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ أي يقول لي: أتصدِّق بالبعث والجزاء؟ ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذراتٍ من التراب وعظاماً، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطَّلعون إلى النار لننظر كيف حال ذلك القرين؟ قال تعالى: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى بسعيرها ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ أي فخاطبه المؤمن شامتاً وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ أي ولولا فضلُ الله عليَّ بتثبيتي على الإيمان، لكنتُ معك في النار محضراً ومعذّباً في الجحيم. ثم يخاطبه مستهزئاً ساخراً كما كان ذلك الكافر يستهزئ به في الدنيا ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتةً واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب

ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة اللَّه عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ أي لمثل هذا الجزاء الكريم يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون. قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد اللَّه ويقصِّر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلاً على تكثير ماله، فانفصل عن شريكه لتقصيره، وكان كلما اشترى داراً أو جارية أو بستاناً أو نحو ذلك، عرضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدَّق بنحوٍ من ذلك ليشتري له به قصراً في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال: ما صنعت بمالك؟ قال: تصدَّقت به للَّه! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدِّقين؟ فكان مِن أمرهما ما قصَّ اللَّه علينا في كتابه العزيز «**صفوة التفاسير محمد علي الصابوني**» ويقول تعالى أيضاً في مخاطبة أهل الجنة أهل النار وجواب أهل النار لهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٣٨ ـ ٤٧]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ أي كل نفس محبوسةٌ بعملها، مرهونةٌ عند اللَّه بكسبها ولا تُفك حتى تؤديَ ما عليها من الحقوق والواجبات ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي إلا فريق السعداء المؤمنين، فإنهم فكوا رقابهم وخلّصوها من السجن والعذاب، بالإيمان وطاعة الرحمن ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي هم في جنات وبساتين لا يُدرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين الذين في النار، والسؤال

لزيادة تبكيت أولئك المجرمين وتوبيخهم، وإدخال الألم والحسرة على نفوسهم، يقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ **قال في البحر**: وسؤالهم سؤال توبيخ لهم وتحقير، وإلا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار(١). ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ أي قال المجرمون مجيبين للسائلين: لم نكن من المصلين في الدنيا لرب العالمين ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ أي ولم نكن نتصدَّق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، **قال ابن كثير**: مرادهم في الآيتين: ما عبدنا ربنا، ولا أحسنَّا إلى خلقه من جنسنا(٢)، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، ونقع معهم فيما لا ينبغي من الأباطيل، **قال في التسهيل**: والخوض هو كثرة الكلام فيما لا ينبغي من الباطل وشبههِ(٣)، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي نكذب بيوم القيامة، وبالجزاء والمعاد، وإنما أخّر التكذيب بيوم الدين تعظيماً له، لأنه أعظم جرائمهم وأفحشها ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ أي حتى جاءنا الموت ونحن غارقون في تلك المنكرات والضلالات، قال تعالى معقباً على اعترافهم بتلك الجرائم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي ليس لهم شافع ينقذهم من عذاب اللَّه سبحانه، ولو شفع لهم أهل الأرض ما قبلت شفاعتهم فيهم، **قال ابن كثير**: من كان متصفاً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع، لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلاً، فأما من وافى اللَّه كافراً فإنه مخلدِ في النار أبداً.

---

(١) البحر ٨/ ٣٨٠.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٣.
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٦٢.

أعظم عذاب أهل النار حرمانهم من رؤية اللَّه سبحانه

يقول تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

[سورة المطففين، الآيات: ١٤ ـ ١٧]

وفي التفسير: أي ليرتدع هذا الفاجر عن ذلك القول الباطل، فليس القرآن أساطيرَ الأولين، بل غطَّى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب، فطمست بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، قال المفسرون: الران هو الذنب على الذنب حتى يسودَّ القلب.. وفي الحديث الذي رواه الترمذي: « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر اللَّه وتاب صقُل قلبه، فإذا عاد زيد فيها حتى تعلوَ على قلبه** »، وهو الران الذي ذكره اللَّه سبحانه في كتابه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقوله سبحانه: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ أي ليرتدع هؤلاء المكذبون عن غيهم وضلالهم فهم في الآخرة محجوبون عن رؤية المولى عزّ وجلّ فلا يرونه، **قال الشافعي**: وفي الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزّ وجلّ، **وقال مالك**: لما حجب أعداءه فلم يروه تجلَّى لأوليائه حتى رأوه[١] .

---

(١) تفسير القرطبي.

﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي إنهم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن لداخلو الجحيم وذائقو عذابها ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أي ثم تقول لهم خزنة جهنم على وجه التقريع والتوبيخ: هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

ففي هذه الآيات الكريمة ذكر اللَّه ثلاثة أنواع من العذاب ـ حجابهم عنه، ثم صليهم الجحيم، ثم توبيخهم به في الدنيا، ووصفهم بالران على قلوبهم، وهو صدأ الذنوب الذي سوَّدَ قلوبهم، فلم يصل إليها بعد ذلك في الدنيا شيء من معرفة اللَّه ولا من إجلاله، فحجبوا في الآخرة عن رؤيته، وهذا خلاف حال أهل الجنة.

يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

ويقول سبحانه:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ .

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

والزيادة في الآية هي النظر إلى وجه اللَّه الكريم في الجنة.

وفي قول لجعفر بن سليمان أنه سمع أبا عمران الجوني يقول: إن اللَّه لم ينظر إلى إنسان قط نِظرة رحمة إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن قضى أن لا ينظر إليهم.

أهل النار لا يزالون في أمل الخروج من النار حتى يذبح الموت

ذكر عبد الرزاق في «تفسيره»، عن عبد اللَّه بن عيسى، عن زياد الخُراساني، أسنده إلى بعض أهل العلم، قال: إذا قيل لهم ﴿ ٱخْسَـُٔوا۟[1] فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ اسكتوا، فلا يسمع لهم فيها حس إلا كطنين الطَّست.

ولا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت، فحينئذٍ يقع منهم الإياس، وتعظم عليهم الحسرة والحزن.

وفي «الصحيحين»، عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح؛ فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت؛ ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت؛ قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ:

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٣٩]

---

(١) اخسؤوا فيها: ابعدوا واسكتوا سكوت ذل وهوان.

وخرّجه الترمذي بمعناه وزاد: «**فلولا أن اللّٰه قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء، لماتوا فرحاً؛ ولولا أن اللّٰه قضى لأهل النار بالحياة والبقاء، لماتوا ترحاً**»[(١)].

وخرّج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجهْ بمعناه، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: قال فيه: «**إن أهل الجنة يطّلعون، خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه؛ وإن أهل النار يطّلعون، مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه**»، وفي رواية الترمذي: «**مستبشرين يرجون الشفاعة**».

وخرّجاه في «الصحيحين» من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما، عن النبي ﷺ بمعناه؛ وفي حديثه: «**فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**» وخرّجه الترمذي، من حديث أبي سعيد رضي اللّٰه عنه، عن النبي ﷺ مختصراً؛ وفيه: «**فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار**».

وخرّج ابن أبي حاتم بإسناده، عن ابن مسعود رضي اللّٰه عنه، من قوله نحو هذا المعنى، غير مرفوع، وزاد: «**إنه ينادي أهل الجنة وأهل النار: هو الخلود أبد الآبدين**» قال: فيفرح أهل الجنة فرحة، لو كان أحد ميتاً من فرحة لماتوا، ويحزن أهل النار، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار وذلك قوله:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٨]

يوم الآزفة: يوم القيامة، وقد سميت بذلك لقربها وضيق وقتها، القلوب لدى الحناجر: وصلت القلوب إلى الحناجر وهذا التصوير لشدة الخوف والفزع.

---

(١) ترحاً: أسى وحزناً.

يوم الحسرة: يوم الندامة الشديدة على ما فات (هو يوم القيامة).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

والمعنى أن يوم القيامة هو يوم الحسرة والندم للكافرين والعصاة، لأنه لا أمل في نجاة ولا توبة ولا عودة إذ إن الأمر قد قضي من اللّه سبحانه وجاء الحساب والجزاء والعقاب.

وروى ابن أبي الدنيا، بإسناده، عن هاشم بن حسان، قال: مر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بكثيب من رمل فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: «**ذكرت أهل النار، فلو كانوا مخلدين في النار بعدد هذا الرمل، كان لهم أمد يمدون إليه أعناقهم، ولكنه الخلود أبداً**»، وقد روي عن ابن مسعود رضي اللّه عنه هذا المعنى أيضاً، مرفوعاً وموقوفاً، وسنذكره فيما بعد إن شاء اللّه تعالى[١].

---

(١) كتاب التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي صفحة ٢١٤.

أهل النار يطلبون الخروج منها أو الموت أو تخفيف العذاب من شدة ما يلقونه من الأهوال والعذاب

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا[١] فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨]

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

[سورة غافر، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

وفي حديث الأعمش، عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، في ذكر أهل النار، قال:

---

(١) اخسؤوا فيها: ابعدوا واسكتوا سكوت ذل وهوان.

فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٥٠]

قال: فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام، قال: فيقولون: ادعوا ربكم، فإنه ليس أحد خيراً من ربكم، فيقولون:

﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ * رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

قال: فيجيبهم: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

قال: فعند ذلك، يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الحسرة والزفير والويل.

[رواه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً على أبي الدرداء]

روى أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: لأهل النار خمس دعوات، يُكلَّمون أربعاً منها، ويُسكت عنهم في الخامسة، فلا يُكلمون، يقولون:

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١١]

فيرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٢]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٢]

فيرد عليهم: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٣]

إلى آخر الآيتين، ثم يقولون:

﴿ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾.

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٤]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

فيرد عليهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

ثم يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]

فيرد عليهم: ﴿ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٨ ـ ١١٠]

قال: فلا يتكلمون بعد ذلك؛ خرّجه آدم بن أبي إياس وابن أبي حاتم.

وروى ابن أبي حاتم، من رواية قتادة، عن أبي أيوب العتكي،

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، وقال: نادى أهل النار ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فخلى عنهم أربعين عاماً، ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ قال: فخلى عنهم مثل الدنيا، ثم أجابهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: فأطبقت عليهم، فيئس القوم بعد تلك الكلمة، وإن كان إلا الزفير والشهيق.

وعن عطاء بن السائب، عن أبي الحسن، عن ابن عباس، قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يقول: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾. وخرّجه البيهقي، وعنده عن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وقال سُنيد في تفسيره: حدّثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: نادى أهل النار خزنة جهنم أن ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فلم يجيبوهم ما شاء اللَّه، ثم أجابوهم بعد حين، وقالوا لهم: ﴿فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ ثم نادوا ﴿يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيسكت عنهم مالك، خازن جهنم، أربعين سنة، ثم أجابهم: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ ثم نادى الأشقياء ربهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ الآيتين، فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

بكاء وصريخ أهل النار

أهل النار يبكون ويصرُخون في النار من شدة آلامهم وعذابهم، وما يلقونه من الهوان والذل وتقريع وتوبيخ زبانية النار، جزاء وفاقاً على كفرهم وشركهم وظلمهم.

يقول تعالى:

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٧]

يصطرخون: أي يصرخون مستغيثين. ويصيحون بشدة من البكاء والعويل، روى معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «رأيت رؤيا»، فذكر حديثاً طويلاً وفيه، قال: «**ثم انطلقنا، فإذا نحن نرى دخاناً، ونسمع عواءً، قلت: ما هذا؟ قال: هذه جهنم**»[(١)].

وفي حديث حارثة: «**وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها**» وقد سبق.

ـ عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال:

«**يلقى البكاء على أهل النار فيبكون، حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم، حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ولو أرسلت فيه السفن لجرت**»[(٢)].

ـ وروى سلام بن مسكين، عن قتادة، عن أبي بردة عن أبي

---

(١) رواه الطبراني وغيره. (٢) رواه ابن ماجه.

موسى، عن أبيه قال: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع.

ـ وقال صالح المري: بلغني أنهم يصرخون في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع.

ـ وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب: زفروا في جهنم، فزفرت النار.

ـ وشهقوا فشهقت النار بما استحلُّوا من محارم اللَّه، وقال: الزفير من النَفَس والشهيق من البكاء[1].

(١) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي ص٢٠٦.

أول ما يتحف به
أهل النار عند دخولهم فيها

إن أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يحضرون مشاهد يوم القيامة عطاشاً، ثم يساقون إلى جهنم عطاشاً.

يقول تعالى:

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٨٦]

قال أبو عمران الجوني: بلغنا أن أهل النار يبعثون عطاشاً، ثم يقفون مشاهد يوم القيامة عطاشاً.

وقال مجاهد في تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ : متقطعة أعناقهم عطشاً، وقال مطر الوراق: عطاشاً ظماءً، وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً، ثم انصرِف بهم إلى النار، فيسقون من عين آنية قد آن حرُّها واشتد نضجُها.

ويقول تعالى مبيناً نُزُل الكفار الضالين المكذبين:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ .

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

والنزل هو ما يعد للضيف عند قدومه، فدلَّت هذه الآيات على أن أهل النار يتحفون عند دخولها بالأكل من شجرة الزقوم، والشرب من الحميم لأنهم إنما يساقون إلى جهنم عطاشاً.

وهذا ما يتحف به أهل النار، وهذا ما يُستقبلون به، وهذا ما ينالونه أول ضيافتهم في نار جهنم، ومن قبلها على أرض المحشر وعند الوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للعرض عليه والحساب. أجارنا اللَّه سبحانه من هذا النزل وهذه الضيافة وجعلنا من الهادين المهديين.

الكافر في نار جهنم يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت

قضى اللَّه سبحانه أن لا تخرج الأرواح من أجساد الكافرين يوم القيامة، حتى يبقى عذابهم خالداً أبداً لا يفتر عنهم ولا يقضى عليهم فيموتوا. . ففي الدنيا ومن رحمة اللَّه بنا أننا إذا مرضنا أو أصاب أجسادنا عطب أو تقطَّع أو ما شابه، أو أصابنا العجز أو الهرم أن يُقضى علينا بالموت فنستريح من العذاب والآلام والهرم والعجز والمرض. . أما في جهنم رغم أن جلود الكافرين تحترق، وأجسادهم تحترق حتى تطّلع النار على أفئدتهم، إلا أن اللَّه سبحانه لا يأمر الأرواح أن تخرج من هؤلاء الكفرة الفجرة حتى يستمر العذاب وتستمر الآلام بلا انقطاع ولا توقف.

يقول تعالى:

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۞ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .

[سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ ـ ١٧]

فالاحتراق والجوع والعطش وتقطع الأمعاء واندلاقها، كل ذلك من أسباب الموت في الدنيا، ولكن هذه الأسباب تتوقف في نار جهنم حيث يأتي إلى الكافر أسبابُ الموت من كل مكان، من فوقه ومن

تحته ولكن لا يموت فيها، فتبقى الروح معلقةً بهذا الكافر حتى لو احترق، لأن جلده يحترق ويعاد مرة أخرى ثم يحترق ويعاد إلى ما لا نهاية، والروح باقية في جسده معلقة لا تخرج أبداً، وهذه من قدرة اللَّه سبحانه وإرادته التي أرادها في هؤلاء المنافقين والكافرين والمشركين لأن الدنيا دار الأسباب والآخرة دار العجائب. . .

ويقول المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي يأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ولكنه لا يموت، ليستكمل عذابه، فمن بين يديه عذاب أشدُّ مما قبله وأغلظ.

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

[سورة الأعلى، الآية: ١٣]

أي لا يموت فيستريح ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة، بل هو موجود دائماً في العذاب والشقاء.

ويقول د. الزحيلي في التفسير المنير: الذي يصلى النار الكبرى يخلد في عذابها، فلا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة هنيئة ينتفع أو يسعد فيها كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾.

[سورة فاطر، الآية: ٣٦]

أصناف وصفات أهل النار في أحاديث رسول اللّه ﷺ

لقد أخبرنا رسول اللّه ﷺ في أحاديثه الشريفة عن أصناف وصفات أهل النار من أهل الدنيا والذين هم في غالب صفاتهم ـ المستكبرون ـ والظالمون، وقساة القلوب، والفاجرون إلى غير ذلك من الصفات الذميمة.

ـ وعن حارثة بن وهب، عن النبي ﷺ، قال: « **ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعَّف، لو أقسم على اللّه لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍّ جَوّاظٍ مستكبر**»[1].

و«العتل» قال مجاهد وعكرمة: هو القوي. وقال أبو رزين: هو الصحيح. وقال عطاء بن يسار، عن وهب الذماري قال: تبكي السماء والأرض من رجل أتم اللّه خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه معظِماً من الدنيا، ثم يكون ظلوماً غشوماً للناس، فذلك العتلّ الزنيم. وقال إبراهيم النخعي: العتل: الفاجر، والزنيم: اللئيم في أخلاق الناس.

وأما المستكبر، فهو الذي يتعاطى الكبر على الناس والتعاظم عليهم، وقد قال اللّه تعالى:

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٠]

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد ذكرنا فيما سبق حديث: « **يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، يساقون إلى سجن في النار، يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يغشاهم الذل من كل مكان** ». فإن عقوبة التكبر الهوان والذل، كما قال اللَّه تعالى:

﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ .

[سورة الأحقاف، الآية: ٢٠]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ، فيما يحكيه عن ربه عزّ وجلّ، قال: « **الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار** » يعني ألقيته في جهنم(١).

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غُنْم أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة جوّاظٌ ولا جعظريّ ولا العتل الزنيم** ». فقال رجل من المسلمين: ما الجواظ الجعظري والعتل الزنيم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: « **الجواظ: الذي جمع ومنع، وأما الجعظري: فالفظ الغليظ** »(٢).

قال اللَّه تعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ .

[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]

وأما العتل الزنيم: فشديد الخلق، رحيب الجوف، مصحح، أكول شروب، واجد للطعام، ظلوم للأنام.

ـ عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: « **افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب، يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب، يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين** »

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

ذكر الحديث بمعنى ما تقدم، وسبب هذا، أن اللَّه عزّ وجلّ، حفَّ الجنة بالمكاره، وحفَّ النار بالشهوات، كما قال تعالى[١]:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٤١]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطهم، قال اللَّه عزّ وجلّ للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، وأما النار فلا تمتلئ حتى يضع عليها رجله، فتقول: قطّ قطّ، فهنالك تمتلئ، وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم اللَّه من خلقه أحداً، وأما الجنة، فإن اللَّه ينشئ لها خلقاً**»[٢]. وفي رواية خرَّجها ابن أبي حاتم: «**فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون والأشراف وأصحاب الأموال**»؟ وفي الحديث الشريف التالي يتبيَّن لنا أن التنعم بالشهوات والتكبّر والتعاظم على خلق اللَّه سبحانه، هي صفات أهل النار وكذلك الاستكبار عن طاعة اللَّه سبحانه وعبادته، وانقياد نفس الفاجر إلى الشهوات واتباع الطغيان والبغي الذي يسوقه إليه ماله، وتعاظمه في نفسه، فالعظمة والغرور واتباع الهوى والميل نحو كل ساقط من شهوات الدنيا هي من الأسباب الموجبة لدخول النار.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لما خلق اللَّه الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما**

---

(١) رواه الإمام أحمد.　(٢) رواه البخاري ومسلم.

أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها، فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها؛ فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها؛ فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، فانظر إلى ما أعددت لأهلها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه، فقال: وعزتك، لقد خفت ألا يدخلها أحد؛ قال: فاذهب إلى النار، فانظر إلى ما أعددت لأهلها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد فيدخلَها، فأمر بها فحفت بالشهوات؛ فقال: ارجع إليها، فقال: وعزتك، لقد خشيت ألا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1].

فتبيَّن بهذا، أن صحة الجسد وقوته وكثرة المال والتنعم بشهوات الدنيا والتكبّر والتعاظم على الخلق، وهي صفات أهل النار التي ذكرت في حديث حارثة بن وهب، هي جماع الطغيان والبغي، كما قال تعالى:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾.

[سورة العلق، الآية: ٦، ٧]

والطغيان وإيثار الحياة الدنيا وشهواتها من موجبات النار كما قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بصفة أهل الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول اللَّه، قال: كل ضعيف متضعَّف، ذو طمرين، لو أقسم على اللَّه لأبره؛ ألا أنبئكم بأهل النار؟ قلنا: بلى يا**

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي صحيح.

رسول اللَّه، قال: كل جعظري مستكبر، قال: فسألته ما الجعظري؟ قال: الضخم، وما الجعظري؟ قال: العظيم في نفسه»[١].

عن عياض بن حمار، أن النبي ﷺ، قال في خطبته: « **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط**[٢] **متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال؛ وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر**[٣] **له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا هو يخادعك عن أهلك ومالك»** وذكر البخل والكذب والشنظير[٤] الفاحش[٥].

ففي هذا الحديث الشريف قسّم رسول اللَّه ﷺ أهل النار إلى خمسة أصناف:

الأول: الضعيف الذي لا عقل له (لا زبر له) ينتفع به لعمل الصالحات التي تنجيه من عذاب النار يوم القيامة أي عقله ينصرف نحو الدنيا فقط وليس مجنوناً.

الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه أي يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت صغيرة وحقيرة ويسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

الثالث: المخادع الذي يخادع الناس في أموالهم وأهليهم ويكون دأبه على ذلك دائماً، وهذا الصنف من أصناف المنافقين.

الرابع: البخل والكذب وهما من أذم الصفات في الإنسان الذي

---

(١) رواه الطبراني صحيح.
(٢) المقسط: العادل.
(٣) أي الذي لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي.
(٤) الشنظير: السيئ الخلق.
(٥) رواه مسلم في صحيحه.

يكون من أهل النار لما في تلك الصفتين من عِظَم الخطر على الولد والأهل والمجتمع والأمة بأسرها.

الخامس: الشنظير الفاحش وقد فسر هذا المعنى المفسرون بأنه السيئ الخلق الفاحش المتفحش ـ من سوء خلقه ولسانه ويده وسواد قلبه.

عن عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من شر الناس منزلة عند اللَّه يوم القيامة من تركه الناس لفحشه**»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم.

الجنة والنار في كتاب كبرى اليقينيّات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

لقد رأيت أن أختم هذا الجزء من الموسوعة بتلك الرائعة من روائع كتابات الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، حول رؤيته عن الجنة والنار والخلود فيهما وأن نعيم الجنة حقيقي مادي محسوس، وأن عذاب النار حقيقي ومادي محسوس، مفنّداً بذلك لكل رأي مخالف لما جاء في كتاب اللّه تعالى وسنة نبيه ﷺ.

يقول الدكتور البوطي: الجنة والنار والخلود في كل منهما هما العاقبة التي لا بد أن تنتهي إلى إحداهما حياة الإنسان، وهي عاقبة أخيرة لا عاقبة بعدها، ولا مجال لوصف أهوال النار وعذابها، ولا لوصف نعيم الجنة وأسباب السعادة فيها، فحديث ذلك يطول، وهو على كل لا يكاد يصوّر شيئاً من الواقع الذي هو اليوم غيب عن الناس كلهم، إلى أن يأتي ميقات ذلك اليوم المعلوم والمحدد في علم اللّه جلَّ جلاله.

وإنما يتعلق الحديث هنا ببيان حقيقتين اثنتين لا بد أن يعيَهما المسلم ويعتقدهما اعتقاداً جازماً.

الحقيقة الأولى: الجنة والنار شيئان ماديان:

نعم إن الجنة والنار حقيقتان ماديتان من متعلقات كل من النفس والجسم معاً، وليستا مجردَ وهم يطوف بالنفس أو الروح وحدها.

إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة أي معنى للمعاد الجسمي الذي فرغنا من بيانه، والذي حفِل كتاب اللَّه تعالى بذكره وتأكيده والتحذير من عواقبه في كثير من نصوصه وآياته القاطعة. وبدهي أنه لا ينكر مادية كل من الجنة والنار إلا من أنكر قبل ذلك الحشر والمعاد الجسمي وعودة الأرواح إلى أجسادها.

ومن أوضح الأدلة وأجلاها على هذه الحقيقة، الطريقة التي يصف بها القرآن كلاً من الجنة والنار، وهي طريقة قد تثير استفساراً لدى بعض الناس عن حكمة اتباع القرآن لهما والتزامه إياها. فالحكمة منها أنها تعبير عن أن نعيم الجنة حسي مادي يلقاه الجسد والروح معاً، وأنها تأكيد لهذه الحقيقة بأقوى الأساليب العربية المؤكدة.

تأمل هذه الآيات في وصف الجنة وأهلها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٨ ـ ١٦]

وهذه الآيات أيضاً: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ ـ ٣٤]

فما الحكمة من وصف هذه الجزئيات كلها من الجنة ونعيمها، ومعلوم أن أحدنا إذا أراد أن يصف مظهراً من مظاهر النعيم قد لا يجد نفسه بحاجة إلى أن يتناول في وصفه له هذه الدقائق الجزئية كلها؟

الجواب، إنه منتهى ما يمكن أن يتمثل به الأسلوب العربي في تأكيد أن نعيم الجنة شيء حسي ملموس، يعيش فيه الإنسان بكل

حواسه ومشاعره، وليس معنًى روحياً مجرداً كما يتخيل اليوم بعض من يريدون أن يقفوا في اعتقادهم أمام حد وسط بين الإيمان والإلحاد. وهو في الحقيقة الإلحاد ذاته جاء ملوناً بهذا اللون السخيف.

ثم تأمل في هذه الآيات وهي تصف النار وأهلها: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾.

[سورة الغاشية، الآية: ٢ ـ ٧]

وفي هذه الآيات الأخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٥١ ـ ٥٦]

وفي قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

[سورة القمر، الآيتان: ٤٧، ٤٨]

وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٥٦]

فما الحكمة من هذا الوصف التفصيلي بهذا الشكل؟.. إنه أيضاً بيان وإيضاح للناس كلهم: أنه عذاب مادي محسوس ملموس تنغمس فيه حواس الكافرين وجسومهم ومشاعرهم، وليس كرباً روحانياً مجرداً على نحو ما يتوهم ويتخيل الذين يحلو لهم، في غرور عجيب، أن يصعدوا على منبر من الغرور أقاموه من سنوات عمرهم

القصير وتفكيرهم المحدود، ليبعثوا منه بقرارهم عن قصة هذا الكون كله وعن حقيقة الحياة والموت وما بعدهما، وحقيقة ما جاء من أمر الجنة والنار والحساب والعذاب. وكأنهم شركاء للَّه في تدبير كونه، وليسوا خلقاً مَهيناً من ملايين مخلوقاته عاشوا لمحة واحدة من عمر الدهر، وكانوا قبل ذلك عدماً في طوايا الكون، ثم استحالوا جيفاً في باطن الأرض في انتظار الأجل المحتوم واليوم الموعود..

الحقيقة الثانية: كل ما في الجنة والنار خالد لا نهاية له:

إن نعيم الجنة باقٍ خالدٌ لا نهاية له، وعذاب جهنم باق لا نهاية له، والآيات التي توضح هذه الحقيقة في كتاب اللَّه تعالى كثيرة جداً.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥]

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾.

[سورة الزخرف، الآية: ٧٧]

وقد جاءت السنّة بمزيد من التأكيد لهذه الحقيقة، وذلك في أحاديثَ كثيرةٍ، منها ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**». وسواء أكان تجسيد

الموت وذبحه بهذا الشكل حقيقة، أم كان ذلك كنايةً عن القضاء على معنى الموت وإزالته من الوجود ـ فإن الحديث على كل حال ينطوي على أبلغ الأساليب المؤكدة لمعنى الخلود في كل من الجنة والنار، على أنّا لا نرى داعياً إلى إدخال أي تأويل على ظاهر الحديث.

غير أن الذين يستقرون خالدين في عذاب اللّه تعالى إنما هم الكافرون بمختلف فئاتهم وأضرابهم، من مشركين وملاحدة وأهل كتاب ممن لم يؤمنوا بنبوة الأنبياء كلهم، أما العصاة من المؤمنين باللّه ورسله وكتبه واليوم الآخر فمصيرهم، مهما طال عليهم العذاب، إلى مغفرة اللّه وجنته[1].

وربما استشكلت بهذا الصدد قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

[سورة هود، الآيات: ١٠٦ ـ ١٠٨]

ذلك أن ظاهر قوله: شقوا، في الآية الأولى، ومن قوله: سعدوا في الآية الثانية، أي إن جميع الأشقياء خالدون في النار إلا ما شاء اللّه منهم أن لا يخلدوا فيها، وهم العصاة من أهل الإيمان والتوحيد، كما دلّت على ذلك الأدلة الكثيرة الأخرى. وجميع أهل

---

(١) حاذر أن تطوف بذهنك تلك اللوثة التي يعاني منها بعض الجهال والمنافقين، ممن يزعمون أن أهل الكتاب مؤمنون، وأنهم فئة أخرى غير الكفار. فلا يعاقبون عقابهم ولا يخلدون في النار خلودهم، فإن هذا الزعم تحدٍّ صارخٌ لقوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية**﴾ [البينة: ٦٠] فقد قسمت الآية الكفار إلى أهل كتاب ومشركين، ثم شمِلتهم جميعاً بهذا الوعيد العظيم.

السعادة خالدون في الجنة إلا من شاء اللَّه منهم أن يتعذب في النار إلى أمد قبل ذلك، وهم أولئك الذين غَمَرت حياتهم المعاصي والأوزارُ من المؤمنين ولم تكتب لهم الشفاعة أولاً.

وإنما لم يأت الاستثناء بصيغة: إلا من شاء ربك، كما كان يقتضي ظاهر الاستثناء، لأن المراد من المستثنى منه العدد المجرد لا الأشخاص بأعيانهم حتى يراعى فيهم العقل، وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٣]

فقد عبَّر عن النساء بما، عندما كان الملاحظ فيهن العددَ لا الشخص.

فهذه هي جملة الحقائق الغيبية التي يجب أن يعيَها الإنسان ويعتقدها اعتقاداً جازماً بعد أن اجتاز مرحلة الإيمان باللَّه ورسله وكتبه، ولا يمكن عقلاً أن ينفك الإيمان باللَّه عن الإيمان بهذه المغيَّبات، إذ هما متلازمان تلازماً واضحاً لكل ذي عقل[١].

(١) كتاب كبرى اليقينيات الكونية، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي صفحة (٣٥٨ ـ ٣٦٢).

دعوة مفتوحة للخروج من النار والدخول في الجنة

الخروج من النار والدخول في الجنة دعوة مفتوحة من أرحم الراحمين إلى عباده في الأرض إلى أن تشرق الشمس من مغربها. . وأقصد التوبة والرجوع إلى اللَّه سبحانه من الآثام والمعاصي والفواحش واتباع الشهوات، وترك عبادة اللَّه وطاعته التي توجب بمجملها إذا مات عليها العبد الدخولَ في النار يوم القيامة.

لقد خلق اللَّه سبحانه الجنة وهي تسع لكل خلقه، على عظيم ما فيها من النعيم والاتساع والمقام الكريم الأمين. . فقد دعانا اللَّه سبحانه إلى جناته ولم يدعنا إلى ناره.

يقول تعالى:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

ويقول تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

وكذلك دعا اللَّه سبحانه في كتابه الكريم مرَّات ومرَّات إلى التوبة والعودة إليه وترك المعاصي والذنوب، فإنه الغفور الرحيم، ومن ثَمَّ يدخلهم جناتِه الخالدات.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٥٣]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة التحريم، الآية: ٨]

وحتى لا يكون الإنسان في قنوط من رحمة اللَّه وقبول توبته أو الخوف من أن اللَّه سبحانه لن يقبله بعد كل هذه الذنوب والفواحش التي ارتكبها.. فماذا تفعل توبته فيما بقي له من العمر أمام ما ارتكب من الآثام وعصى اللَّه سبحانه وترك طاعته وعبادته وفرائضه... فإن اللَّه سبحانه توجه إلى عباده جميعاً دون تفريق ولا تمييز، أنه فيما لو رجعوا واستغفروا اللَّه سبحانه وتابوا إليه توبة نصوحاً، أنه لن يقبل توبتهم فقط بل سيبدل كل سيئاتهم إلى حسنات، مهما عظم أمرها وكثرت وتنوعت وكذلك حتى لا يتعاظم عبدٌ ذنوبَه أمام رحمة اللَّه وعظيم غفرانه وكرمه.

يقول تعالى:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾.

[سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠، ٧١]

. . . فهل توجد رحمة أعظم من تلك الرحمة الإلٰهية بعباده على الأرض. . . ذلك بأن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات وأن يغفر لهم ويدخلهم في عباده الصالحين. . فأي قلم يستطيع أن يعبّر عن تلك الرحمة ولو أوتي جوامع الكلم وحاز العلم والمعرفة.

. . . لقد توسعت في هذا الجزء من الموسوعة لأهميته العظيمة وكذلك توسعت في الجزء العاشر عندما تحدثت عن الجنة ونعيمها. . ذلك أن المصير بعد كل تلك الأحداث الجسام والحياة التي عشناها وعالم البرزخ، إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار فهما المصيران الأخيران لكل مخلوق من البشر، فكل حياة وحدث له انقضاء إلا الجنة والنار فلا انقضاء لهما، وفيهما الخلود الأبدي. . لذلك توسعت فيهما ليعلم كل إنسان أن هذا هو مصيره، وليختار أيهما بالنسبة إليه أفضل؟ فهل النار أفضل؟ أم الجنة أفضل؟ وقد فرّق اللَّه ما بين هذين المصيرين.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

. . . فليس من عاقل بعد أن يقرأ هذا الجزء من الموسوعة (النار أهوالها وعذابها) يرضى لنفسه أن يكون من أهل النار، وأن لا يعود إلى اللَّه سبحانه، وقد فتح اللَّه سبحانه لنا كل هذه الأبواب من الرحمة للتوبة والعودة إليه، مهما عظم الخطب وكثرت الذنوب وتقدَّم بنا العمر، لأن اللَّه من واسع رحمته جعل التوبة مقبولة من العبد طالما أنه لم يغرغر، أي لم تصل الروح عند النزع والموت إلى الحلق قبل الخروج بقليل. . فقد روى أحمد والترمذي وابن ماجهْ عن رسول

اللَّه ﷺ: «**إن توبة العبد مقبولة ما لم يغرغر**». . فليس للإنسان عذر عند اللَّه يوم القيامة بعد كل هذه الأبواب المفتوحة أمامه، فأي منا قادر على أن يتحمل النار ولو لدقائقَ أو لساعاتٍ أو لأيام؟ فكيف بمن تكون مصيرَه أبد الآبدين. . فهل تعود أخي المؤمن إلى اللَّه سبحانه أم تبقى على حال المعصية؟ وتغلق السمع والعقل على الفَهم والاستجابة وتكون ممن قال اللَّه سبحانه فيهم:

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]

. . . فاللَّه سبحانه من عظيم رحمته لم يدعُ البشر إلى النار كما دعاهم إلى الجنة، ولكن سألهم وطلب منهم أن يسرعوا إلى التوبة والإنابة قبل أن يكون المصير مظلماً وقاتماً ومؤلماً في نار جهنم، ساعة يعَض الظالم على يديه، وتعصر الحسرة والندم قلوب الذين لم يستجيبوا إلى ربهم ولم يتوبوا إليه ولم يستغفروه.

يقول تعالى:

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

[سورة الزمر، الآيات: ٥٤ ـ ٥٨]

هذه هي دعوة اللَّه في آياته الكريمة إلى خلقه من البشر، فمن لم يستجب فلا يلومنَّ إلا نفسه يوم القيامة، وما ربك بظلام للعبيد ولا يهلك على اللَّه إلا هالك. وصدق رسول اللَّه ﷺ عندما قال في

خطبته أن أهل النار خمسة كما سبق في الحديث، وقال عن أولهم: «**الضعيف الذي لا زبر له**» أي لا عقل له.

اللهم ألهمنا التوبة والإنابة والاستغفار، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا وأجرنا من النار، وألهمنا الرشد والحق والصواب، وألهم كل من عصاك وكان من أهل الذنوب والمعاصي والآثام أن ينيب ويعود ويتوب إليك، ليكون من أهل فضلك وكرمك ورحمتك إنك على كل شيء قدير.

الخاتمة

.. كل جزء من أجزاء الموسوعة له خاتمة، كتبتها وأنا سعيد وتغمرني السعادة بتوفيق اللَّه سبحانه ولإنجاز الجزء من الموسوعة.

... وكذلك ما كتبت جزءاً من الأجزاء إلا وكنت متفاعلاً معه سواء في متابعة التفسيرات والمراجع، وسواء في كتابتي الخاصة وتحليلي للمواقف والأحداث إلا في هذا الجزء من الموسوعة.. الذي يتحدث عن (النار أهوالها وعذابها) فقد أمضيت فيه وقتاً أطول بكثير من كتابة أي جزء.. ذلك لتوقفي عند الكثير من الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث رسول اللَّه ﷺ وتفسير العلماء ورأي الفقهاء وتحليل أهل العلم حول النار وأهوالها وعذابها والخلود فيها.

... كم توقفت وقلت: أجارنا اللَّه سبحانه من النار وأهوالها وذلها ومهانتها وآلامها، وكم دعوت اللَّه سبحانه أن يجيرني والمسلمين جميعاً من هذا العذاب الذي لا يطاق ولا يحتمل في نار جهنم؟

... وكم سألت اللَّه أن يبعدنا عنها ولا يسمعنا حسيسها ولا يجعلنا من روَّادها ولو لساعاتٍ أو دقائقَ معلومة؟

... وكم أشفقت على أولئك الذين يصرون على معاصيهم من المسلمين؟

... وكم سألت اللَّه سبحانه أن يتوب على أولئك العصاة الذين تركوا طاعة اللَّه وعبادته وأن يثيبهم إلى رشدهم خوفاً عليهم من

عذاب يوم عظيم، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، لا يفديه أحد ولا هو يفتدي أحداً، ولا هو يفتدي نفسه من العذاب ولو جاء بملءِ الأرض ذهباً. . . هذا الجزء يتحدث عن النار وأهوالها. . فمن قرأ من عاقل فلا بد أن يعود إلى رشده ويتوب مما فيه من الذنوب والمعاصي، ويلجأ إلى اللَّه سبحانه ورحمته، لينال ما عنده من الأجر والثواب ـ لا أن يلجأ بمعاصيه إلى غضب اللَّه فينال عذاب النار يوم القيامة بما قدَّمت يداه.

. . . لقد تحدثت في هذا الجزء بشيء من التفصيل عن كل ما يتعلق بالنار وجهنم وأبوابها وأنواع العذاب فيها، وشقاء أهلها وعذابهم وهوانهم وذلهم، لقد تحدثت عن وَقودها من الناسِ والحجارة، وتحدثت عن جبالها وأوديتها، وكذلك تحدثت عن عِظم أجساد الداخلين إلى النار وسواد وجوههم، وتخاصم أهلها ولعن بعضهم بعضاً، وتحدثت عن استغاثتهم وصريخهم وبكائهم وسؤال اللَّه أن يخفف عنهم يوماً من العذاب ـ وكذلك تحدثت عن أهل المعاصي والكبائر من الموحدين، وبيَّنت كم سيلاقون من العذاب والهوان بما لا يطيقون ولا يتحملون، وذكرت تفسير المفسرين وآراء أصحاب الرأي والعلم، غير ما قدَّمت من الرأي والتحليل والتفسير وأبعدت كل ما هو غير صحيح وضعيف ولا سند له من رواية أو أصل. نعم لقد توسعت في هذا الجزء ليحذر الناس وليتنبه الناس وليحتاطوا وليستعدوا جميعاً إلى يوم القيامة، وعظيم ما فيه من الأهوال والمشقة والعذاب، وأرجو من اللَّه سبحانه أن أكون قد أرضيت ربنا بما يرضيه من الحديث عن النار وأهوالها، وأن أكون ممن أصاب في أكثر الكتاب، لأنه لن يصح إلا كتاب اللَّه وكتب غيره من البشر يعتريها النقص والخطأ

والنسيان، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

[سورة النساء، الآية: ٨٢]

ولذا أرجو اللَّه أن يغفر لي زلاتي ونسياني وأخطائي في هذا الجزء من الموسوعة، فلم أكن عامداً في خطأ، ولم أُسِئْ إلى أحد، مبتغياً القول الحق، واللَّه يشهد أني قد قدَّمت كل جهدي في هذا الجزء وفي الموسوعة كلها بما يرضي اللَّه سبحانه، ويعين الناس على فَهم آخرتهم وما يكون فيها من سعادة وشقاوة، وليس لي من رجاء إلا أن يقبل اللَّه مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساهم معي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللَّه بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين

المؤلف

ماهر أحمد الصوفي

أبو ظبي ص. ب. ٢٩٢٢

جوال ٧٥٢٦٦٩١ ـ ٥٠ ـ ٩٧١

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف

ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللّٰه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجهْ.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع




ISBN 9953-34-340-3
9 789953 343402